مكتبة
الحبر الإلكتروني
@bookkn
d110d

موازين اللغة

صالح بن سعد اللحيدان

العبيكان
Obeikan

شركة العبيكان للنشر، ١144هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر اللحيدان؛ صالح بن سعد بن صالح

موازين اللغة./ صالح بن سعد بن صالح اللحيدان. -الرياض، ١٤٤١هـ

ردمك: ٥-٢٩٧-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨

١-اللغة العربية أ. العنوان ديوي ٤١٠ ١٣٢٩/ ١٤٤١

حقوق الطباعة محفوظة للناشر الطبعة الأولى 1441 ه/ 2020م

نشر وتوزيع العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية-الرياض طريق الملك فهد-مقابل برج المملكة

هاتف: 4808654 11 966+، فاكس: 4808095 11 966+ ص.ب: 67622 الرياض 11517

جميع الحقوق محفوظة. ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكيـــة، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

مكتبة الحبر الإلكتروني

مكتبة العرب الحصرية

مدخل

الحمد لله تعالى، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد.

أما بعد: فلست بكاتب مقدمة، ولست بكاتب تمهيدًا لهذا المعجم، فمقدمته ما سوف يطالعه القارئ، وينظره الواعي، ويطالعه المدرك هو معجم لغوي، لكني خالفت فيه ابن منظور والفيروزآبادي والجوهري ومسلم بن الحجاج والعيني، خالفتهم في الشرح والبيان، وما تضمن ذلك خلاله من طرح، رأيت أنه لا بد منه، من حالات ذات تحليل مهم، يتعلق هذا كله بمعنى الكلمة، التي وضحت معناها، مثل صفات العبقري والعظيم والقدير من الناس والمسيطر والموهوب وحالاتهم، والعقل وحقيقته والمرحلة الظنية، والخلل العقلي، وهكذا.

فهو (معجم) فيه سبق لم يكن من قبل، لعله يسد مسدًّا جيدًا لدى العلماء والباحثين من لغويين ونحويين ونقاد وإداريين وأطباء، وفي سياسة الإدارة والقدرات الموهوبة، لا سيما لدى القضاة وسواهم، وما ترغبه، وأنت تقرأ هذا المعجم تطالع الفهرس، لكن لا تحكم عليَّ إلا إذا قرأته بشفافية، وحسن وعي، وكررت القراءة مرات عديدة.

المؤلف

صالح بن سعد بن صالح اللحيدان

كيف وقع الخلل في كتب العلماء؟

دوَّن بعض العلماء وكثير من الباحثين آثارًا ومواضع كثيرة لم يحققوا أصولها، ولكن إنما عوَّلوا على كتب علمية وتاريخية وإخبارية، هي نفسها، أم لم يعد أصحابها إلى الأصول والقواعد من الكتب، التي بينت حقيقة، وأصول هذه الآثار والأحكام، فوقع عندهم الخطأ، ويعود السبب في هذا: أن الكتب التي عوَّلوا عليها كانت مشهورة ومعروفة، فظنوا أو هكذا خيل إليهم: أنها محل ثقة بما ترويه وتورده، ومثال ذلك على سبيل المثال: كتب (مروج الذهب)، و(الأغاني)، و(العقد الفريد)، و(خاص الخاص)، و(أخبار مكة)، و(البيان والتبيين)، و(البخلاء)، و(حياة الصحابة)، و(أخبار المدينة)، و(الأمالي).

وهذه الكتب جيدة للاسترواح والتفكه، لكنها ليست مصدرًا للنقل منها، إنها حقائق مسلمة. فهذا يسبب بلبلة للعقل العلمي واضطرابًا للفكر.

وخذ مثلاً مما ورد في (الأغاني)، ففيه أكثر من ثلاث آلاف رواية وموضع وخبر لم تصح.

وخذ مثلاً من كتب التفسير (تفسير فخر الدين الرازي)، ففيه مئة وخمسة عشر رأيًا خالف في ذلك ما ورد خلافها من الآثار الصحيحة، وقد عالج بعض الغيبيات لكنه تاه، وهذا أورده مثالاً قائمًا أبدًا لا يريم.

سوف أذكر بعضًا مما ورد فيها أو في غيرها من كتب أخرى، مثل التي ذكرت فيها عجب مما لا يصح، ومع ذلك فقد اعتمدها بعض العلماء والمحققين وجملة من الأدباء، سواء في هذا الحين، أو ما كان قبل ذلك من الأحايين، فخذ مثلاً:

1. أن الصخرة في القدس معلقة، وليس الأمر كذلك.
2. أن بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلوم مكانه بمكة.
3. أن الكليني هو ثقة الإسلام.
4. أن مزينة من قبيلة حرب وهذا خطأ. نعم هناك فخذ من قبيلة حرب تدعى (مزينة).

معلوم أن قبيلة حرب خولانية يمانية عالية المقام، وأما قبيلة مزينة فهذه عدنانية.

5. أن ضرار بن الخطاب هو أخو عمر بن الخطاب.
6. أن شعيبًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان أعمى.
2. أن ابن منظور قد أخذ من غيره في (لسان العرب).
3. أن ابن مالك قد أخذ من غيره في ألفيته.
4. أن الحكيم الترمذي هو الإمام محمد بن سورة الترمذي صاحب السنن.

5. أن كتاب (الموطأ) للإمام مالك هو أصح كتب السنة، وهذا إنما كان قبل أن يصنف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (الصحيح).

6. أن حديث (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[1] صحيح، بل هو ضعيف.

7. أن أول ما خلق الله تعالى (العقل) والصواب (القلم).

8. أن عمار بن ياسر (تقتله الفئة الباغية) وهذا صحيح. (والفئة الباغية هم الخوارج)، وليس كما أورده بعضهم: أنهم الصحابة الذين قاتلوا الخوارج مع معاوية.

9. أن (المعز لدين الله الفاطمي من العرب)، والصحيح أنه عربي بالولاء، وإلا فهو من (قم).

ولعل أصل ما وقع ويقع عند القوم من هذه الأمور الآنفة الذكر، إنما جاءت بسبب أمور، كنت قد حللتها نفسيًّا، وذلك بعد تدبر وطول مكث: أن من أسباب ذلك النقل المجرد، وتلقف الأخبار كيفما اتفق.

ولعل المشكلة هنا كما هي المشكلة هناك: أن العجلة ومجرد حب التأليف وتقديم العاطفة، كل ذلك أوجد ما أوجد من كتب، ذكرت بعضها آنفًا -فلولا حيل النفس وطغيان العاطفة وحب العجلة، لما كان هذا الكم من التأليف، كل شهر قرابة ألف كتاب، ما بين علمي وثقافي وقصة ورواية وشعر.

هذا، لست أراه وجيهًا ممن يحسن استعمال العقل المكين المسؤول في هذا الحين وكل حين.

الـحمق صفـاتـه وحـالاتـه

الحمق صفة لازمة لمن اتصف بها، والحمق صفة لا يدركها صاحبها، ولهذا يتكرر الخطأ من الأحمق في الشيء الواحد، دون تنبه منه، وذلك بسبب غياب الذهن والغفلة الطبيعية لديه.

والأحمق وجد أن أغلبهم لا يقر بخطئه، وذلك لأنه يبرر من باب الحيل النفسية، التي لا يدركها.

والأحمق يجر إلى نفسه وعليها كثيرًا من العداوات، وينسحب عند المواجهة، حتى وإن كان الحق معه في بعض الحالات.

وقد وجدت من خلال معاينتي لكثير منهم، أنه يتصف غالبًا بما يلي:

1. سرعة التصرف.
2. كثرة الشكوك.
3. إسقاطات على الآخرين غير مقصودة.
4. الحقد، لكنه لا يدفعها إلى شيء.
5. يظن أنه محسود، أو أن هناك من يراقبه أو يتابعه.
6. تضيع عليه كثير من الفرص الجيدة.
7. ضعيف التحمل للمسؤولية، كما أنه يفقد الابتكار.
8. حاد الذكاء وكريم بطبعه وخدوم.
9. يحب التزلف ليشعر بالأمن والراحة.
10. وجدت أن أغلبهم يشك في زوجته دون دليل أو قرينة.

قلت: وأصل كلمة أحمق، أنها نوع من أنواع الاختلاط، اختلاط الأمزجة.
ويجعله بعضهم ضربًا من الخلل العقلي.
وقد ذهب آخرون إلى أن الحمق نوع من القصور العقلي لا الخلل. وقال بعض الأطباء التجريبيين في الطب النفسي: إن الحمق خلل وظيفي يتعلق بالفهم.

قلت: وجدت أن أغلبهم يحسد قريبه أو زميله، إذا كان أحدهم ناجحًا، ويشوش عليه وقد يقذفه.

قلت: ويحمق وأحمق: سيء التصرف.
وأحمق: عجول وسيء الحكم.
وأحمق: علا صوته، وساء فعله.
وتحامق: تجاهل وتغافل، ولا يدخل هذا في الحمق.

وأحمق: مجنون بصورة من الصور.
وأحمق: أرعن من الرعونة، وهي الشدة، ولكنها شدة هوجاء.

ومن نافلة القول، وقد رأيت هذا ضروريًّا: إن هناك كتابين نسبا إلى الإمام ابن الجوزي، وهما ليسا له: (أخبار الحمقى والمغفلين)، و(الأذكياء). وقد رأيت من يستشهد ببعض ما جاء فيهما أو في أحدهما من الكتاب والمثقفين وبعض القصاص، وهذا محرم شرعًا.

ويعود بنا الحديث إلى الحمق، فالأحمق قد يصل إلى مناصب عليا، لكنه قد يسف فيجمع مع ذلك التجارة باسم ولده أو زوجته مثلاً، مع شيء من التزلف حتى قد يتم التغاضي عنه.

وقد يصل الأحمق إلى قدرات عالية وجيدة، لكنها متقطعة ومتذبذبة، لا سيما في الشعر والرواية، ذلك أنه يتبذل ويلقي القول على علاته، وقد يورد ألفاظًا سوقية من عدم المبالاة.

وهو يحب التصدر، ولا يكاد يفطن لهذا إلا القلة من النابهين من العلماء وساسة العقول الفطنة.

ما هو النظر والقضاء والرسائل العلياء

النظر في هذا المعجم مفردة، تحتاج إلى تسلسل لبيان بعض معانيها، وما ألتمسه من خلال ذلك من طارق، وطارق مختلف ومتفق، لعلي أبين شيئًا جديدًا، أستفيد منه وأفيد، وعليه أذكر ما يلي:

1. النظر: يراد به الإدراك، وشدة التوقي.
2. النظر: بعد النظر للمسائل المطروحة.
3. النظر، يقال: نظر ينظر: يبحث.
4. النظر: الإرجاء، تقول: نظره وأنظره: أجله، والأول قليل.
5. النظر: الموهبة حيال أمر ما، أو حالات خاصة.
6. النظر: يراد بهذا الإبصار بالعين المجردة.
7. النظر: سعة الفطنة، وهذا من المعاني.
8. النظر: قوة الملاحظة لما بين يديه.
9. النظر، يقال: عنده نظر، أي فهم جيد.
10. النظر، تقول: هذا عنده نظر. ونظر آخر، أي اجتهاد خاص.
11. النظر، نظر ينظر: حدد مراده، وإنما ذلك بحسب المقتضى.

كت النظر بصفة الرؤية بالعين المجردة، فإن ما هو أهم من ذلك أو يقاربه هو نظر العقل، وتدبر أوجه الحياة ومسالك المعاش.

12. النظر بعد بضم العين، أي قوة المدى للإبصار، ولعل رؤية الإنسان للبعد الطولي يبلغ مداه قرابة العشرة كيلاً، وقد يبلغ مداه ليلاً مقابل الضوء قرابة الأربعين كيلاً.

وحقيقة النظر أعني الإبصار، إنما ذلك من خلال العقل، فقد تحدد النظر إلى شيء ما أمامك، لكنك لا تراه ذلك، أن فكرك منصرف إلى شيء آخر تفكر فيه، وقد جاء في المنزل الحكيم قول الباري جل وعلا: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:١٩٨]،

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وبحسب دراساتي التحليلية في القضاء الجنائي، والتحليل النفسي التجريبي، وجدت أن النظر على حالات، فمن ذلك مثلاً:

1. نظر ضعيف الشخصية، يكون فيه زوغان، وكثرة إرماش، وقد تحمر عيناه عند النقاش، ويرفع صوته، وهذا قد يشكل عليه ضررًا عند التقاضي أو التحقيق، لأنه قد يعترف لينجو، وليس له جريرة ما لم يكن القاضي ذا موهبة سباقة وشدة تحر.
2. نظر المهزوز الشخصية (الخائف)، تكون عيناه مستطيلة، وفيها نعوسة ظاهرة، وقد يبكي أمام قوي الشخصية، فإن كان من أمامه قوي الفطنة وصادق التجربة فسوف يدرك الحقيقة.
3. نظر المظلوم تكون عيناه تنظر إلى الأسفل، وقد ينكس رأسه حال المؤاخذة والنقاش، وقد وجدت أن غالب هذا النوع يذهب حقه لعدم إحسانه التعبير.
4. نظر البريء، وهو غير المظلوم، وإن تشابها كثيرًا، فهو يفرقع أصابعه، وقد تنتفخ عيناه وتضيق.
5. نظر المتسائل، وهذا قد يتفق مع نظر البريء، وتشعر أنه في حيرة مع كثرة الالتفات.
6. نظر الندم فيهما ضعف ظاهر، وقلة إرماش، ويظهر من وضعه: أنه يضع يديه بين ركبتيه، وقد يستهل باكيًا.

أقول: وليست هذه حسب دراساتي ضربة لازب، لكنها رؤية مجرب في القضاء التطبيقي والنظر النفسي، وسوف يجد غالب القضاة والأطباء وعامة القراء الأعزاء شيئًا من بعض ذلك في كتاب (يسألونك)، وكتاب (حال المتهم في مجلس القضاء)، فقد ألمحت هناك أشياء لعلها تجدي وتفيد.

الــر أي و الــر أي الــحر

في هذا الجزء من المعجم أبين كلمة تحتاج إلى بيان المراد منها، وإنما ذلك حسب الحالة الواقعة.

ولما كانت هذه الكلمة تدور دائمًا في اللقاءات الدولية ومن خلال المؤتمرات، وكذا المجالس والهيئات العلمية والطبية، تلك التي تحتاج إلى بذل الرأي، فقد رأيت طرحها مع شيء من شرح مختصر لعله يفيد.

فمن هنا أذكر ما يلي على أساس التدرج حيالها.

1. الرأي: هو النظر بعين العقل، تقول رأى رأيًا، أي ذهب بفكره إلى رأي تحصل عليه بعد تأمل ومراجعة.
2. الرأي: التدبر ومعالجة ما يعن للعالم أو المفكر أو السياسي من وجهة نظره.
3. الرأي: الحكمة بالنسبة لصاحب الرأي بعد الاستشارة ومطارحة العقول.
4. الرأي: تدبر الأمر بحنكة.
5. الرأي: الحكم النهائي لما لم يكن في البحث من دليل أو سابق آراء مجتمعة.
6. الرأي: معالجة ما حصل بشدة توقٍ وطرح لحظ النفس.
7. الرأي: تسديد القول، وصواب إنزال الحكم على وجه قائم يقبله هذا وذاك، ولو لم يرضه أحد، وهذا النوع لعلي أحصره على القاضي الموهوب والولي الحكيم البعيد النظر.
8. الرأي: الفطنة للشيء للعمل على وجه راجح.
9. الرأي: خلاصة التجارب.
10. الرأي: قوة العقل وتمييزه، للأخذ بوجه سليم.
11. الرأي: قوة التأمل، وشدة الاحتياط، والحذر من الزلل بوجه من الوجوه.

أقول: ومن المعلوم من حال ذوي الرأي السديد بالضرورة: أنهم يتصفون بما يلي:

1. الوداعة والسكون.
2. التمهل في أثناء الحديث.
3. لديهم إشعاع نفسي مقبول.
4. يملكون جاذبية التأثير.
5. يميلون للصمت وهدوء الطبع.
6. يميلون كحال الموهوب إلى الانطواء.
7. لديهم إحساس مرهف تجاه الآخر.

8. لديهم ميل للطرفة والمزاح حال التبسط.
9. غالبهم يتنازل إذا أحس الواحد منهم بمن يقلل قدرهم، ولو من طرف خفي، ثم يتجنبونهم، وهذا من سعة الدهاء الصامت لديهم.
10. قد يفهمهم طرف ما أو إنسان ما خطأ، إذا رأى عدم اهتمامهم بأنفسهم لباسًا أو أكلاً.
11. ذوو حساسية شديدة لما سوف يحدث، أو يتوقعون حدوثه.
12. لدى غالبهم روح المعاندة، التي قد تجر على بعضهم مواقف ليست حسنة، لكنهم ذوو صبر عجيب.
13. قد يتعرض الواحد منهم للأذى من قريب ونحوه، لكنهم يصبرون، ويقاسون من جراء ذلك الويل الصامت، لكنهم يتوقعون مع ذلك النصر، ولو بعد حين.
14. من خلال التجارب الميدانية يتضح أنهم يميلون ظاهرًا لضعف الشخصية عند من لا يقدرهم.
15. من عجيب أمرهم أنهم يميلون للخشونة في اللباس.
16. غالبهم جاد، ولدى الواحد منهم ميل لخدمة الآخر.

هذا النوع أعني الذين يتصفون بهذه الصفات أو جلها وجودهم قليل؛ إذ إنهم يكرهون الانضباط والسير على منوال واحد، وهذا ما يجعلهم منسيين، أو لا يلتفت إليهم.

وهذا يعود إلى كراهيتهم للبروز، أو للحذر منهم، إذ إن بعضهم لديه شيء من الغموض وما هو بغموض.

ومن نافلة القول فيما يمكن قوله: إن هذا النوع تجب حمايته، دون شعور منه، والاستفادة من آرائه على مهل.

من هي: ثقيف وعائلة الحكمي؟

بالنسبة لـ(ثقيف) فيذكر المؤرخون: أن رجلاً اسمه: قيس بن منبه بن بكر ابن هوازن، كان قد رحل إلى (قرية وِجٍ) شرق (مكة) على مُرتفعٍ عالٍ، فقابل رائد (وج) عامر العدواني، وكان رجلاً مهيبًا كريمًا حييًّا، ورغب إليه أن يتزوج ابنته، وفي رواية: إحدى بناته، فقبل رغبته لما توسم فيه من النجابة والخشونة، وأنجب منها قيس أولاده، ثم واقعها مرض، وتوفيت على إثره، فخطب أختها فزوجه إياها. ثم مكث (قيس) في: (وج)، وبدأ يزرع بحرفة ودقة، وقد نمت الزراعة من ذلك وكثرت، ويذكر أن أهل (وج) قالوا: ما أهاه. وأنبله، كيف أدرك ذلك، و(ثَقَّفَ) هذا؟

ومن حينه نسي الناس عبر تطاول القرون اسم: قيس، وعُرف من حينها بـ(ثقيف)، ومرَّ دهر ودهر، حتى نما لثقيف من زوجتيه أولاد كثيرون. وكان (وجٌ) في أصله وادٍ يمر مرورًا من الجنوب إلى انحراف يسير نحو الشرق، ومع الأيام اتخذ الوادي ممرًّا دائمًا من الشرق إلى الغرب، فهو يصبُّ في الوهطِ، والهوهيط. هذا من جهة ومن جهة (وج) فأصله -والله تعالى أعلم- إلى رجل اسمه فيما أعلم: (وج بن عبدالحي)، ونسبته إلى (العماليق). وفي حينٍ مُتأخر رأى بعضُ الثقفيين أن يُبنى حول: (وج) سور دائر عليها إلا لمجاري السيل، ذلك حتى يتم تحصين (وج)، فأصبح هذا السور دائريًّا متعرجًا حسب أطوال: (وج)، وصار هذا السور يطوف بالمدينة: (وج) فسُميتْ بهذا: الطائف.

ولم أر خلاف ذلك، إذًا (ثقيف) ليست اسمًا بل ذلك: صفة على رجل. وسميت القبيلة بهذا لغلبة الصفة على الاسم، وهذا موجود في الأنساب كثيرًا، وفي: الكنى والألقاب مثل: قريش، فإن اسمه: فهر، وقيل: عامر، وهكذا. وقد ظهر في (ثقيف) صحابة كبار، غيروا مجرى التاريخ، وظهر كبار العلماء خلال القرون المتتالية في: الحديث، والفقه، والمصطلح، والأصول، والتاريخ، والنقد. وثقيف كثير منها نزحت الآن إلى: شرق جنوب الطائف. ومن ثقيف فخذ (عوف)، الواحد منهم (عوفي)، وعند النسبة يُقالُ: (فلان بن فلان العوفي).

وأما الحكمي سكنها جنوب مكة بعيدة عنها، ولستُ أعلم متى تمت النسبة، لكني سمعت سماعًا: أنها تنتسب إلى: حكيم بن حزام صحابي جليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فلعل غيري أدرى بذلك يفيد ويستفيد.

(العلم والشعر) أين الموهبة والقدرات؟

الذين درسوا أسرار اللغة ومرامي النحو وحالات الحكم والأمثال تلك، نطق بها العرب، ومن زلف إليهم من غيرهم يُدرك من خلال الدراسة المتأنية العميقة الحالة النفسية لكل شاعر وخطيب، بل رئيس قوم، ذلك أنه وفي كثير من الحالات التي يمر بها الشاعر أو الخطيب أو الرئيس (العميد) تُدركُ جيدًا الحالة النفسية التي يكون عليها، ناهيك أنه قد يكون بسببها يقرب من العبقرية أو هو (قاب قوسين منها أو أدنى)، والذين يمرون بحالاتٍ كثيرة من المعاناة الشديدة، مع توازن جيد وواقعية، يميلون كل الميل إلى الجودة المتناهية في رمي المعاني الجليلة، من خلال مفرداتٍ قوية آسرة.

وإذا كانت البيئة والتربيةُ كلتاهما تؤثران في نفسية الرجل، فإن القدرات والطموح الجيد المتوازن الواعي، كل ذلكَ يجر لهم أقوى لحالة كل أحد نُخضعه للدراسة، ولهذا كانت كثير من الأسر تُدركُ هذا على حالٍ جيدةٍ من البصيرة، فيكون السبيل في تمامه، حتى يبلغُ الابن الشاعر أو الحكيم أو الرئيس شأوًا عاليًا من النجابة والقوة والموهبة، ألا نتذوق الفرق بين امرئ القيس وزُهير بن أبي سُلمى المزني، فذاك طائش عربيد مُتنقّل، وهذا شاعر مُتماسك حكيم مُهذب، وإن كان كلاهما من فحول الشعراء.

وهذا الجاحظ وابن قتيبة، كلاهما قد تضلّع من العربية والنحو والأدب، لكن ذاك خلط هزلاً ماجنًا مُسفًّا، وهذا لقبه النُّقادُ بالإمام لشدة حيائه، وبعد عقله عن السفاسف وساقط القول، وإن كان لا يُستغنى عن كتبهما مع جلال وثقل كتب ابن قتيبة.

وهذا (البخاري) (محمد بن إسماعيل) وابن خلدون، كلاهما أجاد في التاريخ والرواية والترجمة.

لكن ذاك خلط في تاريخه الضعيف بما لا أصل له، وبرواياتٍ لا سند لها، بينما هذا.في تواريخه الثلاثة: (الكبير، والصغير، والأوسط) قد نال الإمامة الكبرى عبر تطاول العهود.

وهذا أبو الفرج الأصفهاني في كتابه: (الأغاني) خاصة، وهذا ابن الأثير الجزري في رواياته، وأخباره، وقصصه في (تاريخه) الخالد.

فذاك خلط بين السفه، والكذب. وناثر القول وروايات هشة، وهذا قعَّد وأصَّل وأجاد فيما رواه وجلبه في تاريخه.

فحين نُخضع حياة أولئك لبحث نفسي واعٍ مُتأنٍ مبسوط، قد أتى على كل حال وكل طرف، نجد الخلل الفيسولوجي يكمن في الأداء ذاته.

ولا يُقال: إن امرأ القيس أجاد الوصف. فهذا لا شك فيه، لكنه وصف لا يصعد إلى الحكمة ومجرى الأمثال.

نعم تعجب من وصفه، لكنك تعجب من داخل (القلب)، لكن زهيرًا يقودك لتعجب به من خلال (عقلك)، وهذا هو ما فات عليَّ حينما زعم أن الشعر الجاهلي منحول، ونقله عنه (طه حسين) في كتابه (الشعر الجاهلي) دون أن يذكره.

وعلة هذا أن (فاقد الشيء لا يعطيه)، فدراسة الحالات كلها توهن عظم من زعم أنه منحول، (فطه حسين) رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يُدرك البُعد النفسي في المواهب والقدرات والحالات والطبيعة، إنما نظر من خلال نظارة أوروبية، لعله لم يكن أصلاً مقتنعًا بها.

وليس هذا مني. (جملة عارضة). بين قول وقول، فإن قصدي ينصب كله على أن التربية الخلقية والأسرية والروحية هي الفرقُ بين امرئ القيس وابن أبي سُلمى، وقس على هذا.

أقول: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ [فاطر:١٤]..

وفي المنطلق ذاته فإن (المعز لدين الله الفاطمي)، (وصلاح الدين الأيوبي) كلاهما قد حكم ونظر وساس، لكن ذاك مال مع تربية لا شعورية إلى مذهب كان وبالاً عليه، وقد كان يُدركُ هذا، لكنه وترسخات التربية الباكرة وترسباتها مع طموح مع الأيام إلى طمع فأودى به هذا إلى المذمة.

و(صلاح) اختلف عنه من حيث البعد السابق نحو المعالي. وتقرب حال صلاح من حال عبدالرحمن الناصر.

فالمقصود هنا كما هو المقصود هناك: أن بناء العقل وبناء الأخلاق وبناء النفس المتوازنة الواعية النزيهة الكريمة. هذا كله معطيات جازمة، لتعطي التاريخ حقيقة البذل من شاعر أو حكيم أو عميد، ولا مهرب من القول في هذا كله: إن المرء أيًّا كان يستطيع بناء نفسه من سوابق غيره من التاريخ المتطاول لسير الشعراء.

وسواهم ممن نال حظًّا من الذكر، ولو بسبب بيت أو بيتين.

كيف يقع الخلل عند الأدباء؟

لقد سبق القول عند معالجة أصل الخطأ لدى بعض العلماء والباحثين المعاصرين. سبق أن العجلة وإرادة الوصول إلى النتيجة هكذا قد تكونان سببًا لحصول الزلل في البحوث والدراسات. وكذا لدى بعض الكتّاب اليوم.

وكنتُ سلفًا قد بيَّنت شيئًا ذات الأهمية البالغة والمسائل النحوية.

واليوم لعلي -أقول لعلي:- أبيّن بعض ما يقع فيه بعض الذين يزاولون الكتابة أو المحاضرات أو الفتيا، مما لا يحسن أن يكون.

ومن أوجب ما أردت نظره هنا على بسط مختصر، ما يقع في باب الاستثناء.

وهذا الباب مهم بحد ذاته لحصول الإشكال في بعض حالاته، وحال أدواته.

فمثلاً من المعلوم من حال الأدوات: أن أداة (إلا) هي الأداة الشائعة عند عامة ذوي العلم والثقافة، لكن هناك أدوات غيرها وردت، ويقع فيها الإشكال من هذه الحيثية.. وأبيِّن ما يأتي:

1. حقيقة الاستثناء اسم يقع للضرورة بعد (إلا).

ن النووي في شرحه على (صحيح مسلم بن الحجاج) والعيني في شرحه على (صحيح البخاري)، وبيّنه كثيرًا ابن العربي في (أحكام القرآن)، وأورده أبو حيان التوحيدي في (البحر المحيط). وبالعودة إلى هذه المطولات بشيء من التأني وسعة البطان والتكرار، لبان عظم هذا الباب من أبواب (علم النحو)، الذي لا تدرك المعاني إعرابًا إلا به.

2. فمثلاً: (إلا) يكون ما بعدها من الأسماء يدور بين وجوب النصب بلازمه، أو يكون حاله كحال ما قبل (إلا).
3. أو يكون ما بعد (إلا) استثناء مفرغًا؛ فهنا يختلف الوضع الإعرابي، ولم أجد مخالفًا، فتكون (إلا) في هذا النسق أداة حصر، يدرك هذا من خلال السياق.
4. وهذه الحالة من الإعراب مثل سابقتها، قد يقع الخلل الإعرابي من العالم، أو الباحث، أو المفتي، أو الكاتب دون قصد، لكن وقوعه شائن مشين.

الحال) هي أن يعرب الاسم أو الأسماء بعد (إلا) بحسب الموقع من الإعراب، وهذا ما

أدعو لتأمله ومعاودته.

5. هناك (أدوات) تغني عن (إلا) عند اللازم للإيراد، لكن الخلل يقع إذا وقع بسبب التشابه؛ فهناك (عدا)، و(ليس)، و(خلا)، و(لا يكون)، و(حاشا)، و(سوى). والإعراب بعد هذه الأدوات يختلف حسب دلالة المفردات، وبحسب حال الأداة. فتنبه.

6. ولعل الممارسة والاستعداد الجيد هو ما يفهم من خلاله الإعراب، ولا بصعب المنال فهمًا وواقعًا.

بعض أمثلة الخلل:

1. صدقوني أيها الحضور، (ليس إلا أنا)، العبارة صحيحة، لكن لو قال: (إلا محدثكم).
2. هنا لم يأتِ أحد سوى نفرٍ.
3. هذا هو الكلام غير أحد.

: (سوى الصواب الكسر تنوينًا)، ومثل هذا ما بعد (غير).

4. العبرة دائمًا تكون مثله إلا القيل والقال. العبارة جيدة (لكن المحاضر بأحد النوادي الأدبية سكن (القيل والقال)، مع استمراره بالحديث عن أصول الأدب العربي ومصادره.
5. تلكم العبارة جميلة، إلا أنها ذات مردود المحاضر هنا فتح (ذات) مع أن حقها (الضم).

النقض والحكم القضائي الجيد

النقض أصل من أصول ضبط الحكم القضائي، حينما ينظر من خلاله إلى (الاعتراض) من المدعي إذا حكم عليه، أو من المدعى عليه إذا كان كذلك.

وأصل النقض على أنه موازنة حقوقية، أصله هو ضبط القضاء أن يزل أو يتسرع أو ينخرم أو ينقص في الأوراق، ما يدعو إلى الخطأ في الحكم القضائي. والقاضي ليس يحكم إلا من خلال ما بين يديه، وما يتسمع إليه من أدلةٍ وبراهين وشهود ووثائق.

لكن إذا كان القاضي موهوبًا بصرف النظر عن ورعه وقوته وسمته فإنه قد يُدرك أمورًا ليست بين يديه، وحين يبحث ويستنطق ويقارن تتكشف أمامه أمور يدرك منها ما يوجب إعادة النظر والحكم من جديد، وهذا أسميه نقض (الحكم القضائي) من خلال نقض القاضي حكمه السابق، ليحكم ينظر من جديد.

لا سيما إذا كان المدعي أو المدعى عليه أو أحد أطراف القضية ضعيفًا أو خائفًا، أو لا يُحسن المرافعة، ولا يُحسن الكلام، وإيصال ما يُريده، فهنا فإن (الموهبة) لا الفراسة تعطي شيئًا جليلاً ليس في القضاء، بل في سائر الحالات، التي تخضع للنظر قضائيًّا أو سياسيًّا أو إداريًّا أو ثقافيًّا أو خلقيًّا.

وفي هذا (المعجم) أبين مفردات النقض حسب الجهد، فأذكر أن:

1. النقض: الإبطال.
2. النقض: الإزالة.
3. النقض: إفساد ما ظاهره الصلاح.
4. ونقض: هدم.
5. ونقض: ترك.
6. وناقض: مبطل. بكسر الطاء.
7. ومنتقض: يراد هنا أن اللائحة الاعتراضية ليست بشيء، (وهذا يكون بكسر القاف).
8. ومنتقض: بفتح (القاف)، وهذا أعني به أن الحكم قد يتم نقضه.

وأصل الكلمة ثلاثية(ن. ق. ض).

ومن المعاني في هذا قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد:٢٠]، وقد تكلم عن النقض كثير من العلماء: كابن قدامة، والسرخسي، والنواوي، وابن عابدين، والأموي.

وذكره على أساس التقعيد والتأصيل كل من:

1. السمعاني في (قواطع الأدلة) **430/8**.
2. الغزالي في (شفاء الغليل) ص**217**.
3. البغدادي الخطيب في (الفقيه والمتفقه) **522/1**.
4. البيضاوي في (المنهاج) ص**211**.
5. عبدالعزيز البخاري في (كشف الأسرار) **76/4**.
6. الجصاص في (الأصول) **255/4**.
7. الباجي في (المنهاج في ترتيب الحجاج) ص**185**.

لكن هذه الأسفار لعله لا يكفي فيها مجرد القراءة، بل التدبر وقوة التمعن وإعادة القراءة، خاصة ما ذكره (الجصاص) و(السمعاني) و(البيضاوي)، ولعل للعقل الدور الأوفر في استنطاق المراد، مما ذكره هؤلاء الكبار حقًّا.

وغالب الظن أن تدبرها بروية وشفافية هذا كافٍ لصقل الموهبة حال وجودها أصلاً، لكنها أي هذه الكتب تعطي اكتسابًا جيدًا لمن تضاءلت لديه الموهبة، أو كان من طبعه العجلة، أو مجرد التجارب من خلال طول العمل، أو كان لديه طبع حار، أعني بذلك شديد الحساسية.

والنقض بحد ذاته مشكلة، تحتاج إلى قوة نظر، وشدة عموم تدبر، وتمعن، ورهافة حس، للوقوف على أشياء قد تكون ناقصة، أو قد تحتاجها القضية.

وهذه نقطة يُحسن نظرها وتدبرها، لأنها بحاجة إلى العقل المكين المستوعب، قوي الملاحظة، ومعرفة الأشباه والنظائر.

من أخطاء (العلماء. والكتاب)

تتسم الأطروحات الحديثة في كثير من تناولها لمسائل العلم، وكذا بعض ما يكتب في المجلات المحكمة، ومثل ذلك ملاحق الثقافة، تتسم كثيرًا بتلقائية الطرح، ثقةً قد يكون بمخزون لغوي، أو تراثي، أو علمي، خاصة كبار العلماء، ورواد الأدب والنقد، والذين يزاولون الكتابة بين يومٍ ويوم.

وليس عليَّ اليوم ثمة من مخالف، لكنه الدليل بناهضٍ، يقوم ولا يقعد.

سوف أختار في هذا (الجزء من المعجم) شيئًا ذا بالٍ، بل لعله لافتٌ للنظر لمن ألقى السمع وهو شهيد، يجد ذلك من هو جاد المتابعة للمطروح في ثنايا الكتب، والأبحاث العلمية، واللغوية، والمجلات.

وما الدليل إلا علاقة لا تريم على صحة دعوى المدعي، على ماثلٍ يقوم ولا يقعد.

ففتش وتأمل وتعمق وادرس ما بين يديك، فإنك واجدٌ ما أذكره ذلك، إذا كنت ذا نظرٍ فاحص في مسالك الآثار، ومفردات اللغة، وحقائق تنزيل اللفظ في مكانه الصحيح، سوف أضع هنا جدولاً للدلالة على هذا وأنت وذاك.

الأول: (وهذا شيءٌ هامٌ).
الصواب: (وهذا شيءٌ مهمٌّ).
الثاني: (ليته لم يقول هذا).
الصواب: (لم يقل).
الثالث: (هذه الآثارُ بها أحكامٌ واضحة).
الصواب: (هذه الآثار فيها).)
الرابع: (عنده ما به بأسٌ).
الصواب أو لعله الصواب: (ليس به بأسٌ).
الخامس: (جاء في الصحيح: الأقربون أولى بالمعروف).
الصواب: (هذا ليس حديثًا أصلاً).

السادس: (من أجل ذلك أحكم على هذه الإفرادات اللغوية).

الصواب: (المفردات اللغوية).
السابع: (وصديقنا عالم فذ جليل كبير المقام).
لعل الصواب: (وصديقنا عالم فذ).
الثامن: (وهذه الجملات كثيرة وواردة).
الصواب: (وهذه الجمل).

التاسع: (هذا كلامٌ فجٌّ وسامجٌ ومخالفٌ).
الصواب: (هذا كلامٌ ليس بصحيح ومخالف).
العاشر: (البنات جيدة، لكنها مثل أجى وسلما).
الصواب: (أجأ وسلمى).
الحادي عشر: (لما قرأ مثل هذا الكتاب أبدًا).
الصواب: (لعلي لم أقرأ).
الثاني عشر: (لا تنظري، ولا تلتفتي).
الصواب: (لا تنظرين، ولا تلتفتين).
الثالث عشر: (وهذا مجمع عند عامة العلماء).
الصواب: (وهذا مجمع عليه).

(ملاحظة) لكن هذا الباحث ماذا أراد؟

1. هل أراد: المحدثين؟
2. أم: الفقهاء؟
3. أم: المفسرين؟
4. أم: الأصوليين؟

أم ماذا أراد؟
الرابع عشر: (وكنا نأخذ العصيان من الأودية).
الصواب: (نأخذ العصي).
الخامس عشر: (وذكر ابن الجوزي في كتاب الروح).
الصواب: (ابن قيم الجوزية).
السادس عشر: (وأسس وأصول وقواعد النقد).
الصواب: (وأسس النقد وقواعده).
السابع عشر: (ويتم الفراق بعد الحيضات الثلاث).
الصواب: (ويتم الفراق بعد نهاية الحيضة الثالثة).
الثامن عشر: (الخمار هو: تغطية الشعر)
الصواب: (قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١]).
التاسع عشر: (التعزير هو: رد المخالف بقوة).
الصواب: (التعزير هو التأديب).

نقد أساسيات الكتابة المعاصرة

تُشكلُ الكتابات والدراسات اللغوية والعلمية التي يتم نشرها بين حين وحين في الصحف والمجلات السائرة، رافدًا جيدًا في حيثيات بروز العلم واللغة، ولا سيما الذين يكتبون في هذا وذاك لهم باعٌ لا بأس به في الحرص على خدمة اللغة والعلم، حسب الجهد والطاقة، وكلنا نلمس هذا الجهد وتلك الطاقة، خاصة أولئك الذين يداومون الكتابة تترا، ولستُ أظن أن أحدًا من هؤلاء وهؤلاء يريد قتل الفراغ؛ ليكتب مقاله الأسبوعي أو مقاله الدوري. كلا لست أظن ذلك، لكنني (والرائد لا يكذب قومه) ألمس في هذا كله نحوًا مما يلي:

1. تكرار الطرح بأسلوبٍ مختلف جدًّا بين مقال ومقالٍ آخر.
2. اختصار ما يتم عرضه من كتابة، عن كتاب، أو بحث، أو رسالة علمية.

لاختصار مخل دون ريب في الأداء ووجهة النظر، لأن الاختصار مشكلة كبيرة، ولا سيما إذا كان القصد المجاملة لصاحب الكتاب أو الرسالة.

3. هناك منذ عشرين عامًا وفي السنوات العشر الماضية **1426** حدة في الكتابة، وجرأة في الكتابة.
4. مما يطرح اليوم. عاينت شيئًا جديدًا لم يكن من قبل، وهذا يكون أن بعض الكتابات الأسبوعية خاصة. وجدت فيها إلزامًا للطرف الآخر، بما يراه الكاتب من فكرة أو رأي بل قد يجنح بعضهم ويميل إلى قوة رأيه، وأنه الصواب، وهذه معضلة، لا بأس إن قلت: إنها ذات عور نفسي، وعور فكري، وأنها تشكل خللاً في مسار ما يتناوله الكاتب، ولا سيما من يكتبون في حقائق التوحيد، والآراء العلمية عند المعتزلة والأشاعرة والمرجئة والسلفية المتعددة.

وما كتبه ابن تيمية وابن قيم الجوزية والمازري، وما دونه أبو الحسن الأشعري، وما طرحه الشاطبي، أو كتبه الآمدي.

وكذا ما ألفه السيرافي وابن جني، أو ابن هشام أو ابن عقيل.

ولهذا لا تجد من يناقشهم، بل إذا تم ذلك (أعادها جذعة) وبطرح غاية في صحة ما ذهب إليه، مُدللاً ومعللاً على ذهابه إلى ما ذهب إليه، دون جعل خط رجعة.

وهذه مشكلة حتى في الرسائل العلمية التي أناقش بعضها.

وخلل الحال هنا: أن بعض المدرسين خاصة في الجامعات الذين يكتبون اليوم يظهرون متنورين، هم يظنون ذلك بما يطرح من جرأة وتكرار، بل وإلزام بماجاء به.

هذا كله وجدته وقرأته، وعرض عليَّ بعضه، فكنت أتألم لهذا، ولا سيما ما يتم تناوله في مقال ما، يحتاج إلى كتاب مُستقل بما يوازي **200** صفحة، إن لم أكن باخسًا، أرأيتم كيف؟.

أرأيتم ما يتم؟

5. لمست كثيرًا -ولعلها فراسة تخطئ وتصيب- لمست أن بعضًا مما يكتب فيه ضيق نفس وسرعة، وإن شئت قُل: عجلة، والسبب في هذا هو: إرادة الوصول إلى ما يرمي إليه، وعرضه الذي يريده، أفليس هذا مشكلة؟

أليس هذا فيه إرغام للإرادة، إرادة تعبئة الفراغ.

هذا كله يُسبب تدهورًا في عجلة العلم، ويُسبب ضعفًا في مسار اللغة، بل قد يلوم المرء نفسه بعد دهر، أنه كتب في وادٍ، وما يريده الحق في واد آخر.

هذا يُعطل حقيقة العقل المتجدد. العقل الباذل. العقل الذي يأتي بجديد، بطول نفس، ومراوحة بين قوة التأمل وصناعة التاريخ، بجديد حي صادق متين.

هذا يولد طرح العقل المنتج؛ ليبرز القلب فقط، وتسمو العاطفة فقط.

هذا جزمًا قد يسهم في ضعف معلومات المتلقي. أو قد يعطيه فهمًا خاصًّا، ورأيًا خاصًّا، ونظرية خاصة.

هذا قد يجعل المتلقي بعد انطلاقته بنفسه، ليقرأ ويحلل ويتدبر يندب وقته، ذلك الوقت الذي لم يستطع فيه إلا أن يقرأ ما يراه له غيره.

هذا كله. والحق يُقال: ما جعل كثيرًا من كبار العلماء على تجرم القرون الطوال يحذرون الإلزام والمناكفة ولي العقل الآخر، حتى يرى ما يراه له غيره.

وهذا ما جعل أبا الحسن الأشعري[2] يتجدد ويُجدد، وهو ما صنعه ابن رجب[3] والماوردي وابن عابدين والكرماني، وهو ما وضعه وقرره مسلم في المقدمة[4]، وبينه النواوي، وذلكم كذلك هو ما عوَّل عليه ابن تغري بردي وسحنون وعمرو بن عثمان أعني: سيبويه، وهو ما عرَّض به السيرافي[5]، وما ترجمه الذهبي مطولاً في الكاشف، وتاريخ الإسلام المطول، هذه كل الحال في هذا الحين.

ولا مناص من القول: إن الغوص في داخل خبايا النفس ومصادقتها، ومحاكمة ما يتم طرحه قبل نشره وذيوعه[6]، هذا يولد أحيانًا صدق إبداء الآراء وتحريرها من العاطفة وحب الذات، بل إن هذا[7] يجر العاقل الفطن إلى معاودة قناعاته، أو غير قناعاته، إذا كان يكتب

ليرضي نفسه فيما يهدف، وما يطلبه في هذه الحياة، وأجزم**.** ولا ألزم أن العاقل الحر يدرك أن قراءً كثرتهم عامة من العقلاء المدركين جيدًا الفطنين جدًّا قد يستغرق كثيرًا ضاحكًا:

كيف هذا..؟

أين وجهات النظر؟

أين قوة المحاكمة، للآراء؟

أين العمق، وسعة النظر؟

أين بذل الجهد والتوسع العقلي المتين؟

أين الكتابة الحرة لتخلد عبر العهود؟

هذه الحال

وهذه هي الأسئلة بعضها لا كلها خاصة، وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة:١٤-١٥] وهو ما نبهت سورة **(**يونس**)** إليه، وذكره ابن العربي في **(**الأحكام**)**.

متى يضيع علم النحو؟

يُعرِّف النحويون الإضافة بتعريف عام جيد، وذلكم هو: بضم اسم إلى اسمٍ آخر، وذلك نحو: بيتُ منصور.

فبيتُ: مضاف.

ومنصور: مضاف إليه.

وقس على هذا ما لم يكن هناك صارف ما، وليس هذا محل جدل فيما وقفت عليه عند كبار العلماء.

لكن هناك بعض حالات يغفل عنها كثير من الدارسين. والذين يكتبون في مجالات: الأخبار والتحقيق والنشر، ولعل مرد هذا إلى أمور منها، وقد سبرتها، فمن ذلك:

1. الجهل بحالات الإضافة.
2. العجلة.
3. اختلاط العربية بالعامية.
4. الاجتهاد الخاطئ.
5. الفهم المبني على سماع ليس بذاك.

لا سيما في حالات الإضافة، التي لا بد من فهمها، بناءً على شعور بالمسؤولية، والحرص على الفهم الجيد، بنوع من زيادة القراءة والتطبيق.

وهذه أمثلة مقاربة لما يحصل في مثل هذا الحين.

خذ مثلاً:

1. نون التثنية:

ـالما نيسابور.

ن إماما الحديث.

و الصواب، وذلك هو حذف نون التثنية في: عالما.. وإماما.

أت:

ؤرخان مكة.

الكاتب أديب جيد، فلعلها غلطة بسبب ما.

2. نون الجمع:

ضيوفو المجلس

ثُ: (ضيوفوا) بألف بعد واو الجماعة، وهذا لا يكون لأنّ الألف لا مكان لها هنا، إنما ترد بعد جمع الفعل ليس إلا هذا.

ربوا.

: سافروا.

: علموا.

أما: مصلوا

: مجاهدوا

ح هذا، بل: مصلو، ومجاهدو. بحذف الألف بعد واو الجماعة.

ك من يخلط بين: الإضافة المحضة وغير المحضة.

وسبب الخلط والله عَزَّوَجَلَّ أعلم بهذا، إما لسوء الفهم أو الجهل بحقيقة التنوع النحوي، فيما سمع عن العرب وبينه، ومثل القروم من أئمة النحو والحديث، ولهذا فيما سئل أحدهم عن تعريفٍ للإضافة المحضة؟ قال: وما يضرني إن لم أعرف، وفعلاً لم يكن هو يعرف، مع أنه من أساطين النحو، كما يقولون.

ولا خلاف بين عامة علماء النحو والحديث: أن (التعريف) يوجب التفريق بين: الأمثلة عند الكتابة أو الاستشهاد.

وإذا كانت الإضافة المحضة هي: ما كان المضاف فيها ليس وصفًا يُشبه الفعل، لكن لا بد أن يكون مُضارعًا.

والإضافة غير المحضة:

ما كان المضاف فيها. كذا. ذا وصفٍ يشبه الفعل المضارع ولا بد، وإن كان هذا قد يصعب على كثيرين، ويوردون من الأمثلة ما يكفي عن التعريف، لكن من ضرورات العلم أنه لا بد من معرفة الأصل وفهمه لكل حال ونوع، وذلك هو: التعريف.

ولذلك كان السيرافي شارح كتاب سيبويه (الكتاب) من أجود من قام بمثل هذا، جامعًا بين التعريف والمثال.والشرح والإعراب والبيان، وابن جني قد فعل هذا.

وكذا الإمام النواوي في (شرحه) لمسلم. والعيني في (شرحه) للبخاري.

والنحو، وعلم الحديث كلاهما يحتاج إلى طول تأمُّل، وسعة صدر، وعدم الملال، ووفرة صفاء الذهن، وحسن الخلق: أخذًا وعطاءً.

ولم أر خيرًا من حسن الخلق، وجمال الأدب عند العلماء والباحثين، وعند ذوي الرأي المكين، وهذا سبب كبير للتجديد النوعي، بعيدًا عن: التكرار، ولت وعجن القول، وترداد

القول على علاته.

وذلكم يُعطي صورة عالية القيمة، بعيدًا عن الانتصار للنفس، والفهم الآحادي الملزم للطرف الآخر، ولو على سبيل الوقاحة، وجرأة الكلام، وإبداء سعة الاطلاع، وليس بالأمر كذلك، ناهيك بكثرة الكتابة إسبوعيًّا بكتابات وقتية مثيرة، قد يعيد صاحبها قراءتها عشر مرات، بينما يمر عليها آخرون مرورًا فهم يضحكون.

وليس أجمل بل ولا أفضل من التمتع بقراءة كتاب:

1. الأدب المفرد، للبخاري.
2. وحي القلم، للرافعي.
3. كتاب العلم من صحيح مسلم.
4. إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية.

الحكم عند كبار العلماء عبر القرون

1. الحكم: (بضم الحاء والكاف): المنع والرد.
2. الحكم: أصل وضعه منع الظلم ورد الحيف.
3. الحكم: أخذ الحق ورده إلى صاحبه، حتى ولو لم تُحب صاحبه، أو كنت تتهمه بوشاية أو سعاية.
4. الحكم: القضاء بالعدل التام.
5. وحكم: قطع.
6. حكم: عدل وأنصف.
7. وحكم: ساوى بالحق.
8. وحكم: نظر نظرًا عميقًا بفقه الأدلة الصحيحة.
9. وحكم: جلس وجزم بالحكم بين المتخاصمين.
10. وحكم: أنصف من نفسه لغيره، مهما كان ذلك الغير.

ووجدت في هذه الأسفار:

1. (مختار الصحاح) ص **148** للجوهري.
2. و (نهاية الأصول) **141/1** لابن الساعاتي.
3. و (تيسير التحرير) **139/2**.
4. و(فتح الغفار) لابن نجيم.
5. و(الأحكام) للآمدي.
6. و(التمهيد) ص**5** للأسنوي.
7. و(إرشاد الفحول) ص**5**.

ما يقرب مما ذكرتُهُ هُنا فيُعاد إليها. قلتُ: ويُضاف إلى هذا بأن الحكم: نطق الحكم على سبيل الوضوح والبيان بدليل وتعليل.

وأصل هذا حسبما وعيتُ من مطولات السور: (براءة) و(الأنفال) و(يوسف) و(الشعراء) و(القصص) و(النمل)، وما جاء في أسفار الأولين عند ابن قدامة وابن حزم والسرخسي وابن فرحون والشاطبي وابن حجر والعيني، وسواهم خلق مضوا أن الحكم:

القطع والإلزام والبيان بحجة لا تقبل جدلاً، وعليها النص الصحيح، ويقبلها العقل الصحيح والسليم، وفي تقدير الأئمة عبر القرون هو قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ

﴾]الإسراء:٩[.

وأخرى مثلها لا تعدوها قول الحق سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾]ص:٢٦[،وجاء في النص: على مثلها، المراد هنا البينة على المخطئ أو الشهود العدول الأمناء، وتمام ذلك: على مثلها فاشهد[8] يُريدُ على مثل الشمس.

وأصل تنزيل الحكم في موضعه: أن ذات الحكم يكون بمنوالٍ، حيثُ لا يريم أن يكون هناك:

1. دعوى واضحة.
2. مُدعٍ عليه بالغ عاقل مميز.
3. المدعي العاقل البالغ المميز.
4. الأدلة الصحيحة المقبولة.
5. الشواهد. والقرائن.
6. الشهود العدول الأمناء.
7. حماية المدعي والمدعى عليه، سواء بسواء.
8. وضوح الحكم بدليله وتعليله.
9. رد الاعتبار عند البراءة.
10. طلب العفو منه، وهذا رد لازم، لأنه من المعاني.
11. تجنب وشاية، القريب أو الصديق أو الزميل.
12. مُراعاة (حال المدعى عليه)، أو حال المشبوه من حالات منها:

المرض النفسي، الخلل العقلي غير الظاهر، شدة مُلاحظة، (مرض الفصام).

ولا شك أن مثل هذا بيانه يطول، ومن يحكم قلتُ: إنه من ضرورات القول هنا، أن يكون ذا موهبة ظاهرة، ونزاهة بينة، وقوة رزينة هادئة وواعية.

وليس (المعجم) محلًّا لهذا، لكن أردتُ بيان معنى دلالات الحكم عند حصوله، فلعله يُعادُ إلى المطولات في كتب القوم الأقدمين.

الإنسان و الظن و النظر و العلاج

يدخل الظن من الحيثية المعنوية في دائرة المختلفات لدى صاحبه، ولكنه يختلف ما بين ظان وظان، كذلك الشك، إلا أن هذا أقوى منه في الأمر المشكوك فيه.

وإذا كان الإنسان في حال شك، فإن الظن هو ذاك، إلا أنه أقل قلقًا في نفس صاحبه بحال من الحالات.

وعلى هذا، فإن الظن له صور، تختلف ما بين شخص وآخر، قد يكون المرء نفسه لا يدرك ذلك.

سوف بإذن الله تعالى آتي على بعضها، من ذلك مثلاً:

1. يقال: ظن شك.
2. ويقال: ظن ارتاب.
3. وظن تردد في حال ما بين شك وشك.
4. وظن أساء النية والاتجاه.
5. وظن ويظنون يرتابون في الحق حسب تصورهم. قال الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح:١٢].
6. ويقال: ظان شاك ومتوقع.
7. ويظن: يتهم.
8. ويظن يفكر في توجس من حال إلى حال.
9. وظن فهو يظن: إحساس داخلي باضطراب الحكم على المقابل.
10. وظن يتخيل، ويورى له أن ظنه هو الحق، وليس كذلك.

والظن ما لم يدعمه دليل أو قرينة قوية نزيهة، فيبقى الظن في دائرة الشك مع الإنصاف والعدل السالم المبين.

فما لم يكن الإنسان سويًّا تتعاضد في داخله الغرائز والوجدان وإرادة السلوك، فإن الظن يبقى مرضًا لا شعوريًّا قد لا يدركه صاحبه أو من بلي به.

والظن يجر ويلات على صاحبه، وقد يطول هذا معه، ولهذا يكون لدى الظان نوع من العمى المركب، فيرى أنه هو هو.

ومن هذا السبيل قد يستغل الظان من قبل القوي أو صاحب النفوذ، وهو يتصور أنه ليس مثله أحد، بينما يتم توجيهه دون شعور منه، وقل من يتنبه لهذا، فإن كان فهو يسكت لضعف فيه، وإن صورت له نفسه أنه قدير وقوي، وهذه من حيل النفس وتلاعب العاطفة بمسار العقل.

والظن كذلك الظلم مرتعه وخيم، قيل هذا منذ فجر الإنسانية على أيدي المرسلين الأكرمين، وعلى أيدي النبيين الهادين، ونهض بهذا الحكماء عبر غابر الدهر في تلك الأحايين.

والظن مشكلة لأنه قد لا يدعو صاحبه إلى طلب المشورة، لترفعه مثلاً أو خوفه أو أنه لا يدري فيقع في العمى.

وليس الظن في التحليل القضائي الموهوب أو الطب النفسي التحليلي، إلا صفة لازمة ما دام وراثيًّا، وقد يهون الأمر إذا كان مكتسبًا ذلك أن الظن المكتسب، قد تنفع صاحبه المشورة والتشخيص الجيد.

والنوع المكتسب يحصل إلى أن يتنبه صاحبه بخطئه عن طريق الإسقاطات النفسية، فلعله يتدارك سوء الظن، ونتائج ذلك ببعد النظر، ومحاكمة العقل وجعل العاطفة متأخرة عن العقل، وكذلك الحيلولة دون النفس أن تلعب ألاعيبها.

ومن الجيد التنبه إلى ذوي الزلفى أو المتسلق من الأصحاب أو الرفقاء على سبيل المثال.

والظن ليس هو الحذر، أو هو أخذ الحيطة، أو هو الاحتراس، فإن كان كذلك ووقع هذا، فإن هذا خلط، وهو بحد ذاته ما يجن نظره.

وكثير ما جر الظن حتى من بعض الحكماء وبالاً جرت إليه العاطفة ونسيان تداعيات المستقبل.

ولعلي أبين حسب تجربتي القضائية والتحليل النفسي المتطاول أبين شيئًا، ولو قليلاً من بعض الصفات اللاصقة بصاحب الظن.

من ذلك:

1. الذكاء المرن لا الدهاء وسعة البال.
2. كثرة محبة النفس.

ة مصطنعة.

4. البساطة المصطنعة مع الترسم.
5. الغفلة عمن هو أذكى منه وأقدر.
6. تفوته الحكمة من بعض المواقف.

المسؤولية بين المسيطر و القوي

يعتقد جل الناس أن السيطرة هي القوة أو أنها تقرب منها، فإذا سيطر الإنسان على من حوله من الناس ظن الظان: أن هذه هي القوة التي تقود إلى الغرض فرض الإرادة.

ويذهب بعض الحكماء وهو وجيه، حسب التحليل الأخير أن السيطرة لا تعني القيادة.

في هذا الجزء أحاول حسب جهدي أن أبين المراد شيئًا من معاني السيطرة، وجالبًا في سياق ذلك الفروق بينها وبين المشابه لها، مما يظنه بعض الناس أنها هي، ولكن ليست كذلك حسب تجارب الحالات المتوازنة تلك التي لاحظتها خلال نظري وملاحظاتي.

وعلى هذا الأساس أذكر ما موجبه البيان والفرق بين حالة وحالة، فأذكر على سبيل المثال ما يلي، وذلك حتى تتضح الصورة.

من هنا أبين ما يلي:

1. السيطرة: مأخوذة من سيطر إذا تغلب.
2. السيطرة: يراد بها القوة ظاهرًا ليس إلا.
3. السيطرة: من سيطر إذا عم بغلبته غيره.
4. السيطرة: من سيطر يسيطر إذا ساد لكن بوجه مقيد.
5. السيطرة: سماعية من سيطر إذا ألزم الناس بالرجوع إليه.
6. السيطرة: الظهور بصورة من الصور.
7. السيطرة: الأمر بالاتباع ولو بدون قناعة.
8. السيطرة: مسيطر مصدر ميمي الغالبون، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾

٣].

9. السيطرة: الإحاطة بالصائل كالسيطرة على الباغي أو السبع مثلاً.
10. السيطرة: التمكن من المراد.
11. السيطرة: الإقناع وفرض الرأي.

ولعل هذا غالب ما تعنيه هذه المفردة في هذا (المعجم) حسب المستطاع.

ولكن هناك كلامًا أدونه هنا، يبين الفرق بينها وبين سواها على شكل التدرج:

1. السيطرة لا تعني: القوة.
2. السيطرة لا تعني: القيادة.
3. السيطرة لا تعني: القناعة بالمقابل.

4. السيطرة لا تعني: حسن التصرف.

وعلى أساس سبري لها من حالات متنوعة، فإن السيطرة من صفات العاطفة، لكن العاطفة تلك التي تطغى على رؤية العقل المكيث، ولهذا فإن صاحبها يتصف بهذه الصفات حسب التجارب الميدانية المستقلة، ولكن ذلك على وجه الأغلب من ذلك:

1. سرعة التصرف.
2. حب البروز والثناء.
3. الميل كثيرًا للآمال البعيدة.
4. لديه شبه إحساسي بالثقة.
5. تفوت المسيطر بعض العواقب فلا ينتبه لها.
6. يميل للسهر كثيرًا بدعوى الانشغال.
7. لديه نشوة ظاهرة إذا مدح فينسى الحذر.
8. يكره من يضايقه.
9. يميل للبساطة لكنها بساطة عاطفية ذاتية.
10. لم يوجد بينهم من يكون مقبولاً مطلقًا.
11. يهمل ويسيء إلى من يشك فيه دون سعة بال وقوة عقل جيد نزيه.
12. وجد أن كثيرًا منهم كثير الأحلام لا الرؤى.
13. إذا ضعف في موقف ما فهو يهادن مع كثرة التبسم.

وإذا كانت السيطرة من صفات العاطفة، فإن المسيطر غالبًا قد يفيق لكن بعد الضربات الموجعة العابثة للعقل الغريزي.

وأما تحليل القوة في دهاليز الطب النفسي التجريبي، والقضاء الجنائي الموهوب، وليس كل قضاء قضاء، فإن القوة أنواع تختلف ما بين شخص إلى شخص آخر، لكنها في الجملة من صفات العقل الجبلي.

لست أعني هنا بالقوة شدة البأس، أو قوة إيقاع العقوبة، أو ثقل الشخصية، أو عدم نقض الأمر، أو الإصرار على الموقف، كلا فهذه كلها أو بعضها، قد تحصل لمن استغل مكانته، إلا أنني أعني بالقوة (القوة الموهوبة) الضاربة في أعماق الشخصية، سواء كان صاحبها رجلاً أو امرأة، لكن سوف أذكر بعض صفاتها مع اختصار لا بد منه حتى يتبين الفرق على حال لازمة، يحسن بها القول كما يحسن العمل فمن ذلك:

1. أن يكون صاحبها نحيفًا أو يقرب من ذلك.
2. ملاحة ظاهرة مشعة توحي بالثقة.
3. وفرة شعر الرأس، وقد يكون أصلع الرأس.
4. لا يتفاجأ عند الرد عليه أو إهماله.
5. يميل غالبهم إلى السمرة.

6. تكثر القالة حوله.
7. لديه سبق ذهني واضح.
8. يتورع عن الخطأ جدًّا بخلاف المسيطر.
9. لم يوجد بينهم من يراهن.
10. يميل إلى لين العريكة إذا طلب منه شيء ما.
11. القوي يميل إلى الدهاء المركز والمسيطر إلى الذكاء.
12. حساس بطبعه تجاه الأحداث، ولديه صبر عجيب.
13. المسيطر سريع الإنجاز، يحب العمل والأوامر والثناء من طرف خفي، لكن القوي بخلافه.

فليس لديه سرعة إنجاز، لكنه يضيف جديدًا لم يسبق إليه، إذا أنجز عملاً ما، وهو يكره التكرار، ويتضايق من الثناء، ويظهر هذا عليه من نظراته وحدة مزاجه، مشكلته أنه صريح، ومن هذا الباب فقد تحول حوله بعض التهم، وهو ليس كذلك.

قل لي: ما هو (القدر)؟ أقل لك: من أنت؟

أبين هنا فقط إشارات لا بد منها، لعلها جرت وتجري على الألسنة، حتى لعله من علية القوم، (دع عنك العوام)، وهذا الذي يجري إنما مرده الجهل بحقيقة القدر، من الناحية العقلية العالية الفهم التركيزي، ناهيك عن الخلط بينه وبين القضاء، هو ما يجعل الأمر ملتبسًا عند الأكثر.

وهذه نماذج تجري على بعض الألسنة بجهل، وبتعالم أحيانًا، أو بفهم فيه من الخطأ بقدر ما فيه من الجهل الجريء، وأحيانًا بسبب فهم جلبه شرح ممن لا يحسن الشرح، حتى إن كان من طلاب العلم؛ للجهل بأصول التقعيد والتأصيل لمثل هذا الأمر الجليل، الذي يحتاج إلى مكنة من العقل قوية.

فمن هذه النماذج عند حصول شيء ما، يقول القائل مثلاً

1. قضاء وقدر. وهذا خلط.
2. هذا قضاء الله وقدره. وهذا كلام عام.
3. هذا قدر يا أخي. وهذا كلام عام.
4. ما كتب على المخلوق كائن. نعم، لكن أين التفريق؟
5. القضاء محتوم. وقد لا يقع بإذن الله تعالى.
6. الأقدار صايرة. صحيح، لكن أين البيان؟
7. يا أخي قدر. كلام عام فيه خلط.
8. قضاء وخلاص. ليس كذلك، أين التفصيل؟

ولا جرم، فإن هذه الألفاظ دارجة، ولأن القائل قد فاته المعنى، فهي عنده مسلمة، وندرك الفرق بين القضاء والقدر، وأن الخلط بينهما ليس صوابًا.

لقد قلت من قبل: إن القدر هو ما قدره الله عَزَّوَجَلَّ على كيفية أرادها سبحانه وتعالى؛ ككون الإنسان أسود أو أبيض، أو كونه طويلاً أو قصيرًا، أو أنه ولد أعمى، أو أنه ولد مجنونًا، هذا هو القدر، وهو ما قدره الله عَزَّوَجَلَّ سلفًا، ولا حيلة للبشر فيه.

ولكن القضاء هو محط القول هنا، كما ذكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، كما في سورة براءة والأنفال والنحل والإسراء ويس ونوح.

القضاء هو ما للإنسان فيه اختيار: كالزواج، والبيع والشراء، والسفر، والعدل، والأمانة، وهذا هو ما يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة، ما لم يعجل الله تعالى العقوبة في الدنيا والآخرة: كالزنا والعقوق مثلاً.

ولهذا قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في حقيقة القضاء: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩-١٠]، فجعل عَزَّوَجَلَّ للبشر اختيارًا، لأن لديه الاختيار، ووهبه العقل والإرادة والعمل، كما وهبه القول.

وقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧]، سواء الكتاب والسنة، وذلك أنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَقد قال «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»[9] والحديث صحيح.

والعمل بالقرآن وحده دون السنة هذا هو المروق، لأن القرآن جاء مجملاً، وجاءت السنة الصحيحة مبينة لهذا الإجمال: كشروط العدل والأمانة، وكعدد ركعات الصلاة، وأنصبة الزكاة.

ولعل من أصعب ما يمر به الإنسان في هذه الحياة في حقيقة القضاء هو الإيغال في تحكيم النفس، وإحاطة الهوى بالعقل، ثم حجبه كليًّا، ذلك حتى يصل المرء إلى ما يريد من هوى النفس وحيلها، وميولها إلى حب الصيت.

والمشكلة غشيان النفس، وطغيان العاطفة على العقل، وهذا شاهد عند المرء نفسه، إذا خلا بها، وحاكمها بتأنٍ ووضوح رؤية وصفاء ذهن، وجعل نفسه حكمًا مستقلًّا، كأنه شخص آخر، ليس له إلا الحكم.

والمشكلة هنا هي في عمى البال والعيش دون تفكير عقلي مكين، ودون تفكير منطقي، لا جرم ثقيل، وترك الحبل على الغارب بصرف النظر عن القضاء، وبصرف النظر عن القدر هنا، فقد ينتكس المرء، فيرى الحياة في صورة عذاب، إن غطى هذا بالرفاهية والمتعة والترحال هنا وهناك.

وحقيقة القول دائمًا بالعبرة المشاهدة أبدًا بالنتيجة حال الهرم أو مرض، عضال لا يرجى برؤه، أو قل ما يجري نحو هذا، وما في معناه.

الإرادة العلمية، أين العلماء منها؟

الإرادة العلمية والقيادية والإرادة الفكرية في هذا (المعجم)، أحاول تلمس ما هي الإرادة أصلاً؟ حتى تتسنى حقيقة هذه الكلمة من هنا أبين معناها، ثم أبين أنواعها لعل ذلك يسهم في فهمها، فأقول:

1. أراد: طلب من السعي أصلاً، وهي رباعية، أراد، يُريد، إرادةً.
2. أراد: نشد ورغب.
3. أراد: شاء شيئًا يُريده.
4. أراد: من الفعل الماضي (نوى).
5. أراد: قدِم (بكسر الدال) على القيام بأمرٍ ما.
6. أراد: ابتداء القيام، لكنه لم يفعل إنما أراد.
7. أراد: هم من الهم بفعل شيء ما.
8. أراد: نوى ويحاول سيان.
9. أراد: من أفعال التردد، فقد يفعل وقد يترك.
10. أراد: لا يتحقق معناها إلا بالعمل، وإلا فتبقى على الإطلاق.
11. أراد: يُريد إرادة، كما سبق في (1) أي بذل، لكنه قد يعجز، فلا يتعلق بهذا حكم وتُترك النية، (لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰوحده).
12. أراد: قرر لكنه لم يجزم، فقد يُلغي ما قرره ما لم تقم القرينةُ، فتُحدد الإرادة.
13. أراد: من الشُّبه (بضم الشين)، فلا يؤخذ الجاني بمجرد الإرادة، ما لم يكن لديه سوابق، فتكون الإرادة قرينة فقط.

والإرادة من المشترك اللفظي، ويُحدد هذا الكلام المتكلم أو نفسه من أراد، وبهذا تكون الإرادة على هذا المقتضى:

1. الإرادة الذهنية: وهي التنبه الإرادي للقيام بعمل أو قول شيء يُريده.
2. الإرادة العقلية: وتلك هي العزم على تحقيق ما نواه بعد عقل وتعقل، لما أراده بحيث يدرك أنه عقل الأمر وساسه.
3. ...ادة الفكرية: وهذه تكون خلاصة تجارب وقراءات مُديمة، أراد أن يقوم بها نشرًا أو كلامًا.
4. الإرادة العازمة: وهي الإرادة النشطة لمبادرة الشيء، والقيام به بعد تدبر وشدة توقٍ.
5. الإرادة الحية: وهذه الإرادة إرادة قل أن تكون، لأن حيزها ضيق جدًّا، وهذه الإرادة يُحيطها عزمٌ وقوةٌ وصدق توجهٍ عاقلٍ مكين، ذلك أنها تختص برد الحق أو

الحقوق الحسي منها والمعنوي، لمن أو إلى من وقع عليه حيفٌ أو جورٌ أو هتكُ عرضٍ أو لم يعط حقه.

6. الإرادة الحذرة: وهي الإرادة التي يكون صاحبها دائمًا ذا تنبه إرادي جيد، وهذه الإرادة من غالب صفات صاحبها ما يلي:

ة الكلام.

الصبر على المكاره.

شدة التوقي من الإساءة إلى: الضعيف أو الجاهل، أو كبير السن، خاصة الوالد حال الهرم.

راجعة النفس دائمًا والتحوط الكثير.

7. الإرادة القيادية: وهذه هي الرابعة عشرة من أنواع الإرادة، حسب استنتاجي وملاحظاتي، ونوع هذه الإرادة أنها إرادة واضحة لمن تعمق فيها، وأدرك صفاتها بشيء من التروي ودقة المتابعة والملاحظة.

هذه الإرادة قد تجتمع فيها غالب الصفات، تلك التي تكون إيجابية ما لم يمل صاحبها إلى الذاتية ونرجسية الحياة الخاصة، فقد تكون إرادة عجولة، فيها تهور وحذر لا مكان له أصلاً، وتجر على صاحبها كثرة التفكير، والميل إلى الدعابة عند خاصته، ليشعر نفسه بالعظمة.

لكن دعوني أُفيد بذكر الإرادة القيادية، فما هي صفات صاحبها؟

صفات صاحبها أنه:

1. أنك تهابه من (الهيبة)، ولا تتخوف منه.
2. تشعر أنه ثقيل، أي أنه (فخم) مُفخم.
3. يوحي إليك بالأنس والراحة.
4. قراره لا يتراجع عنه إلا بعد لأي.
5. من الصعب جدًّا أن يُؤاخيه، أو يعمل معه صاحب مصلحة نفعية، فهيبته وقوته العقلية تبعد عنه ذوي المصالح.
6. خفيف النوم، وينام مبكرًا.

ه الفاحش قولاً وعملاً، لضخامة إرادته العقلية، وميله للنزاهة، وحب العدل لديه أخذ حيزًا كبيرًا من عقله لا من قلبه.

8. في بيته كأنه واحد منهم، ويُحب مداعبة الأطفال كثيرًا.
9. يغضب إذا روجع في (الجرائم الأخلاقية)، بل قد يرفع صوته بخشونة.
10. لديه حلم عجيب وسعة بال.
11. لديه صبر متزن، وروية ظاهرة.
12. لم يوجد بينهم من (يحقد) بخلاف النرجسي، ولا يحسن قرن الغضب بالحقد.
13. لا تخف من هذا النوع، فله رحابة صدر، وقوة بأس شديدة، ما لم يكن قد أخذ عنك صورة بسبب وشاية، أو كلام أُسيء فهمه، فهو هنا يجفاك ويبعدك، لكن من

خلال الدراسات التحليلية، وجد أن كثيرًا منهم يُعاود من نُقلت عنه وشاية أو كلام، وذلك يعود لنقاء سريرة هذا النوع من العظماء، وثقته بنفسه وخوفه الجبلي الخلقي من الحيف.

العبقري والتجديد. أين هو؟

أصل كلمة (العبقرية) أنها تقود إلى وادٍ في بلاد اليمن، يُدعى (وادي عبقر)، وهو وادٍ موحش طويل، تكتنفه الجبال من جانبيه، ولا يكاد أحد ما يجتازه، أو يقطعه ليلاً، إلا قوي القلب، وهم يزعمون أن الجن تسكنه، وليس ببعيد. ومن يجتازه يُسمى (عبقريًّا) لجرأته وقوة قلبه. وقد ينسب هذا تجوزًا إلى عالم أو طبيب أو مُحقق أو ناقد، إذا تجاوز وجاء بجديد لم يُسبق إليه، ويوصف به القائد والمفكر والحاكم. وعلى هذا الأساس جرى الوصف به لكل من اتصف بالقوة والعدل والنباهة والجديد من الأمور الجيدة.

وهنا في هذا المعجم أحاول بسط ذلك بشيء من الاختصار مع ضرورة ذكر بعض صفات العباقرة رجالاً ونساءً. وإذا كنت قد ذكرت سبب التسمية مما هي العبقرية أقول:

1. إنها صفة عقلية (من القطع).
2. إنها صفة فكرية (من الإضافة النوعية).
3. إنها صفة ذهنية (من إجادة الرأي).
4. إنها صفة علمية (من التجديد العلمي الرزين).
5. إنها صفة نفسية (من سلامة النفس وقوة الثقة).
6. إنها صفة قلبية (من الجسادة المتزنة).
7. وهي صفة للقوي في سياسته وأوامره.
8. وكذلك يتصف بها من انتقد وأضاف وبذل.
9. والعبقرية صفة من صفات الموهبة، يؤتاها المكيث المتأني من الساسة والقضاة والعلماء، خاصة أهل التحقيق من ذوي الباع التأصيلي.
10. ويوصف بها الشجاع المدرك مَواطن الكر والفر.
11. وتوصف بها (المرأة) إذا سادت وخرج منها الأفذاذ بتربية حرة جيدة عالية، وهذا معلوم، فيقال: (تلك عبقرية).

هي صفة للداهية من الرجال والنساء إذا اتصف بما موجبه، يرمي إليها كسداد الرأي وقوته وحرارته.

13. وأورد الإمام البخاري في (الصحيح) عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه وصف عمر

خطاب، فقال: ﴿فلم أرَ عبقريًّا يفري فريه﴾[10]. وهي كناية عن القوة العقلية والنفسية والبدنية.

14. يوصف الإنسان بالعبقرية إذا كان ينزع لرهافة الحس وحسن الملاحظة وحسن التصور للأشياء ابتداءً.

15. تكون العبقرية حسب الدراسات البحثية، ذات نزوع إلى صلافة الشخصية، وحدة الطبع والإلهامات التي يتحقق منها الكثير. وعلى هذا فالعبقري في التحليل الأخير يُعدُّ (نسيجًا وحده).

ولعلي أذكر أنه من المفيد هنا: أن العبقري قد يختفي بسبب طغيان الذكي والنابغة؛ لأن من صفات الذكي والنابغة الميل إلى حب الترؤس وإظهار الذات، وإن كان النابغة أمهر من الذكي؛ لإخفاء عواطفه حتى يصل إلى مراده.

لكن العبقري لديه امتعاض شديد، يقوده إلى كراهية التقمص وحب الذات ومصالحها؛ ولهذا فهو قد لا يلتفت إليه ما لم يُبحث عنه بشدة مراقبة حتى يوضع في مكانه الصحيح؛ ليستفاد منه طرًا، حتى وإن كان صريحًا، وفي بعض آرائه تجاوزات؛ فهذه طبيعته وجبلته؛ ولهذا تعد (العبقرية) من الصفات الأولى من صفات الموهبة الحرة.

المشكلة في العبقري حال الطفولة المبكرة: أنه ذو ميول إلى عدم المبالاة، مع شيء ظاهر من العناد، بخلاف الذكي والنابغة، فإنهما يميلان لشيء ظاهر من المجاملة وحب التزلف، وذلك ما بين سن (10 سنوات حتى 18 سنة).

ولهذا قد يُبعد العبقري، ويُقرب الذكي والنابغة، وفي هذا خسارة للسير، نحو: (التجديد النوعي).

وهذا -ولا جرم- فيه أرجوحة للسير صوب العجلة وظواهر العمل دون بواطنها، تلك التي تحتاج إلى التركيز عليها دون سواها.

(العبقري) مشكلته أنه حساس، لديه -كما يقول العوام- (نرفزة)، لكنها محببة؛ إذ توحي بصدقه، وليست تلك (النرفزة) المختلطة بالعناد وفرض الشخصية؛ فهذا وذاك دالان على الضعف، والعبقري ليس كذلك.

والعبقري مكانه حسب ميوله في الصدارة كرئيس أو قائد، وما شابه ذلك، سواء في القضاء أو الفكر أو الاقتصاد أو الطب. وقس على هذا، لكن يجب -بحسب دراساتي وقراءاتي- أن يتغاضى الكل عن صراحته؛ فالتغاضي بتجاهله مهم لشحذ عقليته على التجديد والسبق، لا على الظواهر والشكليات والبهرجة فقط.

من صفات العبقري ما يأتي:

1. ميله للانطواء الإيجابي.
2. ثقته العالية بقدراته.
3. حبه للجد دائمًا.

4. يستعمل كلتا يديه، غالبًا الشمال.
5. يُسرع الصلع عليه وسط الرأس.
6. يستلقي على ظهره غالبًا.
7. لديه خوف طبيعي إيجابي.
8. قد تفوته بعض المواقف لطهارة سجيته؛ فيقع في براثن العداوة والوقوف ضده. ومن هنا قد ينكسر ويهيم في جو الهم والكدر ما لم يؤخذ بيده، ويُحسن وضعه من قِبل رؤسائه.
9. قوي الاستيعاب لما يقال له، لكنه قد يضيف جديدًا على ما قيل له.

الأسف ونضوج العقل

الأسف كلمة عالية القيمة إذا جاءت بعد خطأ أو زلل ما أضر بأحد. ومن لم يأسف على خطأ فعله أو قاله، فهذه صفة قاسية، تلحق صاحبها أبدًا.

فما هو الأسف؟ وما هي أنواعه؟

1. أسف: كما ترى حروفها ثلاثية. أسف: ندم، ويأسف: يندم.
2. أسف: تراجع ورجع.
3. أسف: من الأسف (شدة الندم).
4. أسف: خاب ظنه، وهذا من معانيها.
5. أسف: أصابه القهر على شيء قد فاته.
6. أسف: تحسر من الحسرة.
7. أسف: قلق على شيء ما أو بسببه.
8. أسف: مقدمة معنوية للاعتذار.
9. أسف: هذا فعلٌ ماضٍ يُراد على شيء سلف، وهذا بخلاف (آسف) بالألف الممدودة، فهذا اعتذار مُباشر لأمرٍ ما حصل.
10. الأسف: مصدر، وهو: الندم، وليس هو خالص الندم، بل خالصة الحسرة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾]التوبة:١١٠[؛ ذلك أن الحسرة هي شدة العذاب المعنوي، الذي يفوق الأمراض المعنوية كافة. وقد وقف الطب النفسي التحليلي السريري شبه عاجز عن العلاج، مع معرفة الأسباب خلال التحليل وتشريح المشكلة؛ ولهذا يتوقف كثير من العقلاء عند الخصومات واقتراب انتهاك المحارم عند حد لا يؤدي إلى الحسرة فيما بعد، بل هم يبتعدون جدًّا عن مجرد الاقتراب مما يؤدي إلى الأسف. وغالب من تصيبه الحسرة، هو ذلك الذي لم يستطع أن يرد حق مَن أساء إليه في عرضه، حينما لا يستطيع الإفصاح عما عمله من قبل. وهنا لا مجال للتوبة إلا بطلب الصفح ورد الاعتبار، لكن هناك ما لا يمكن أن يذكره أو يورده من أُصيب بالحسرة لخطورة ذلك عليه؛ فيقدم حظ الدنيا، ويتعلل، والحسرة تسري في عروقه ودمه وفمه.

والأسف مُقدمة للندم، والندم مُقدمة للحسرة ما لم يتدارك الإنسان وضعه بقوة وعزيمة مدروسة، فيها من القوة بقدر ما فيها من الدهاء الحكيم الجازم. وقد فعلتها (الغامدية، وماعز) -رضي الله تعالى عنها- وقس على هذا.

والأسف على ما سلف القول عنه أنواع، منها:

1. الأسف: مما يمكن الأسف منه قبل الخطأ.
2. الأسف: مما لا يمكن الأسف منه بعد حصول الخطأ.
3. الأسف: من الغير على من وقع منه الخطأ.
4. الأسف: من عدم إكمال ما يلزم نحو تصحيح الخطأ.
5. الأسف: على صحبة من لا تحب صحبته.
6. الأسف: على وقت ضاع هدرًا.
7. الأسف: وهذا من النوع الشديد، الندم على استغلال الضعيف والمضطر والأطغى لحظ ذات النفس.
8. الأسف: على الولد ذكرًا أو أنثى أنهما أو أنهم لم يبروا ولم يصلوا الرحم، وهذا يُسمى (الأسف عليهم).
9. الأسف: الأسف على ضياع أو فقدان شيء ما من مال أو غرض أو حاجة، وهذا بمعنى الحزن كما في قصة يعقوب ﷺ حينما فَقَد يوسف ﷺ صغيرًا.
10. الأسف: على خطأ جرى ودام مع صاحبه بذلك.
11. الأسف: على فوات الفرصة الجيدة.
12. الأسف: على إثم كان ليته لم يكن.

ولهذا أقول: الندم في بعض صوره أشد ألمًا من الأسف، والحسرة في صورها كافة، أشد من هذا وذاك. قلت: (والسعيد من وعظ بغيره)، والسعيد كذلك من لم يكن عبرة لغيره.

قلت أيضًا:

1. مات من لم يأسف على الخطأ.
2. هلك المصر على ترك الأسف.
3. ما تأسف إلا حر كريم.
4. الحر يتأسف على الخطأ، والأحمق يتعلل.
5. ترك الأسف يجر إلى التلذذ بالزلل.
6. يخطئ من يظن النرجسي يأسف.
7. الأسف من علامات نضوج العقل.

ومما أورده تمامًا (أسفت عليك: حزنت)، وأيضًا (يأسفون من العمل) يملون، وهذا قليل. ومثل هذا: (أسفت المرأة) ندمت مع الحزن. ولست أشك أنَّ الأسف الذي هو الاعتذار من

أرقى درجات الأخلاق عند سائر الأمم، وهو دال على نبل وجودة وصفاء ذهن.

تـدهـور الـعـقـل الـعـلمـي

هي كلمة مُهمة بحد ذاتها لأنها ذات معانٍ تدل على أن التدهور -شائن مشين- وسوف تدرك ذلك من خلال هذا (المعجم) بيانًا وشرحًا حسب الجهد، وحسب علمي على مثل هذا.

فأقول متدرجًا حول (التدهور) الآتي:

1. تدهور: ضعف وتردى.
2. تدهور: خماسية الحروف من التدهور، وهو: الهم والضياع من وجه واحد.
3. تدهور: ذهب أمره.
4. تدهور: اختلطت حالته بعلةٍ من العلل.
5. تدهور: قلت حيلته.
6. تدهور: تدهورت صحته بمرضٍ ما.
7. تدهور: ضاقت عليه المسالك.
8. تدهور: اضطرب لأمرٍ ما.
9. تدهور: سقط معنويًّا بسبب من الأسباب.

والتدهور يدخلها القياس اللغوي، فهي كلمة لها معانٍ متعددة، لكنها في الغالب تعني تردي وضعف الإنسان، لكنها كلمة يُراد منها أن المرء في حال صعبة، وأشد من ذلك إذا تخطى الأمر إلى الحالة النفسية.

وعلى هذا، فالتدهور أنواع تحتاج إلى مزيد بيان، و(فقه الواقع) يضطرني إلى الاختصار، لأن مثل هذا العبارة معلومة من واقع الحال بالضرورة، وعلى هذا أُبين ما يلي:

1. التدهور -المالي-: وهي الخسارة المتتالية، إما لسوء التصرف، أو البذل غير المنظم دون الحساب للعوارض.

2. التدهور -النفسي-: وهي حالة نفسية يصاب بها الإنسان، لا سيما الاكتئاب الحاد أو المزمن، وكذا الكآبة، وهذان المرضان بحسب تتبعي يُعدَّان من الأمراض المنتشرة بين قلة وكثرة، وإنما غالب من يصاب بهذين المرضين هم أولئك الذين يميلون إلى الحساسية المفرطة تجاه الأحداث، أو أنهم من ذوي الميول العاطفية أكثر من اللازم، ولم يوظفوا الحساسية أو العاطفة توظيفًا عاقلاً متوازنًا.

3. التدهور -الأسري-: وهي حالة تُعاني منها بعض الأسر عند فقدان المثل الأعلى في الأسرة، أو ما يشكله العناد بين الزوجين، فتتدهور الأسرة، ويجني غالبًا الأولاد ثمرة ذلك إبّان الطفولة الأولى، ما بين (**3** سنوات حتى سن **18** عامًا)، حيثُ

تتراكم في (اللاشعور) أحداث تؤثر سلبًا على الإنسان طيلة حياته، ما لم تتداركه رحمة الله تعالى.

4. التدهور **-**المرضي**-:** وهذا يتعلق بالمرض العضوي: كالقلب والكبد والسكر والجلطة، وقسّ على هذا.

وقد وجدت في دول الشرق الأوسط وكثير من دول إفريقيا: أن غالب الناس لا يذهبون إلى المستشفى إلا بعد حصول المرض، وهذا خطأ كبير جدًّا، لأن الأولى طبيًّا الكشف الدوري كل ستة أشهر على كثير مما لابد منه، ويُعرف هذا غالبًا عن طريق تحليل الدم أو زراعته، وقد قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾]البقرة:١٩٥[.

فمن لم يكشف دوريًّا ومن لم يحتط لنفسه فأرى أنه قد أهمل.

5. التدهور **-**العلمي**-** ومثله **-**الثقافي**-:** وهذا في جملته يعود إلى فقدان الموهبة، أو صرفها إلى شيء آخر عن طريق التعديل الإيحائي.

يعود إلى أسباب منها:

ضعف القراءة.

سوء الفهم.

لسطو بطريقة ذكية.

العجلة في الكتابة أو التأليف.

لنقل المجرد دون تقعيد.

حب ذيوع الصيت وانتشاره.

لتنافس والخلط بين النقد ومجرد الآراء.

الادعاء ادعاء الرواية أو الشعر، أو ادعاء علم الحديث، أو النقد أو الفقه، أو الاستشارات الأسرية مثلاً.

تكليف الغير بالبحث، وإنما للعالم أو المثقف أو الناقد مجرد الاسم فقط.

قصور علو الهمة، وهذا يُعدُّ مشكلة لأنها تدعو إلى التطاول والتزلف.

تبادل المصالح: (اكتب عني وأكتب عنك، أو اكتب عني، وقدّرني، وأشد بي كصديق أو صاحب)، وقسّ عليه.

6. التدهور **-**العقلي**-:** لستُ أقصد (الانفصام)، بل إقصاء العقل، ليحل محله القلب، وتحوطه النفس بحيلها وخداعها.

وهذه حالة مرضية ظاهرة، لأن إلغاء العقل معناه سيطرة الهوى، ورؤية الحياة من خلال رؤية عوراء أو سقيمة غاية السقم، وهذا النوع من (التدهور) يوجد بكثرة في حالات كثيرة عند: الجدل، النقاش، النقد، بذل الرأي، الخصومة، التنافر، الكره، القطيعة، حب الحياة، دون فقه لها، وحق الآخر.

والتدهور العقلي لما وجد بين بعض الناس وبعض القبائل أوار العصبية من دهور خلت، حتى لقد قال المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «دعوها فإنها مُنتنة»[11] فلما ساد القلب، ولعبت النفس لعبتها غاب العقل، فحصلت العصبية وما يتبعها، وقسّ على هذا.

والتدهور العقلي بتغييب (العقل) يورث الندم، فكم ندم إنسان بسبب ذلك، وجرّ عليه ندمه الحسرة، وكم جرّ الندم حين (تدهور العقل) من خلاف واختلاف.

الإنسان هل هو قدير أو عظيم؟

في هذا الجزء من هذا (المعجم) دعني أسألك: ما هي القدرة؟ ثم ما هي العظمة؟ ذلك حتى لا يتم الخلط بينهما في حال الموهبة والاكتساب، ولست بزاعم أني ابنُ بجدتها، لكن هذا جهدي، وما توصلتُ إليه بعد نظر وبحث قوي وطويل، أبدأ الآن بفك مُفردات القدرة؛ لآتي على ما يجب نحو هذا، فأقول:

1. القدرة: القوة بوجهٍ من الوجوه، وأصل هذه الكلمة رباعية الحروف على خلاف من قال: إنها ثلاثية.
2. القدرة: مِن قدر يقدر، نسبة إلى صاحبها لا إلى الصفة.
3. القدرة: القيام بتمام العمل على وجه صالح.
4. القدرة: الاستطاعة.
5. القدرة: البذل ما وسع البذل.
6. القدرة: الإحاطة لإنجاز شيء ما.
7. القدرة: الاقتدار بشيء ممكن على شيء ممكن.

وبهذا كما ترى فإن القدرة تختلف عن العظمة، فالعظيم قدير، وليس العكس.

ومن خلال الدراسات الميدانية للعظماء، خلال تجارب جيدة متطاولة بنسبة عالية، فإن العظيم تتشكل صفاته من الموهبة منذ ولادته.

ومن صفات العظيم المتفق عليها ما يلي:

1. ترتيب حروف كلامه، وهدوء نبرته.
2. لين العريكة، وحسن الاستجابة.
3. سرعة الفهم.
4. يتغافل عن الأخطاء، ويتعامل بحكمة.
5. يتماسك جيدًا عند المثيرات والإحباطات.
6. لا يحس بالألم الذاتي، لكنه يحس به موضوعيًّا.
7. من طبيعته النوم مبكرًا.
8. له حضور نفسي، وهيبته واضحة.
9. حسن العشرة، جميل التلطف.
10. يميل للتردد عند سماع كل خبر، وعند كل حادثة، فهو لا يصدق مباشرة.
11. يقل في هذا النوع (الملحد)؛ لقوة تأمله واستيعابه، ومن تظهر عليه علامات الإلحاد، فهي من باب التساؤل، ثم يدع ذلك.

12. يتألم عند الخطأ، ويتضايق كثيرًا حتى يصحح ذلك.
13. يكثر حساده، خاصة من الأقرباء الأكبر سنًّا.
14. يميل للسرحان غالبًا، وقد يضعف سمعه، مع قوة الملاحظة، ورفاه الحس.

وأما القدير فهو بخلاف العظيم، وهذا يلاحظه ذوو الاختصاص الدقيق في مجال الطب النفسي التجريبي، لا علم النفس العام.

فمن صفات القدير بشكل عام ما يلي:

1. حب الرئاسة، ويحاول ألا يعمل معه إلا الضعيف.
2. له صبر عجيب، حتى يبلغ هدفه.
3. له أنس واضح، ولديه تواضع، وحب لبذل المعروف، لكن كل ذلك من أجل ذاتيته.
4. يتزلف، ويحب البروز، لكن بذكاء مرن.
5. يميل للسكن الفاره، وكذلك المركب.
6. غالب ذكره يكون ما دام حيًّا.
7. يقل بين هؤلاء المحبوب إلى النفس صدقًا.

ومن نافلة القول: أذكر أن العظيم قد يحمل عليه من لا يعرفه، لأنه يميل إلى الصراحة، وقد يستغل هذا بعض مناوئيه، فيشون به عن طريق الاستعداء، وقد يُسأل عنه ابن عمه أو صاحبه مثلاً، فيقذفانه، ويسيئان إليه، ما لم تداركه فطنة قوية جليلة، فتتم حمايته من أقرب الأقربين إليه، أو من أصدقائه.

الـنكرة وولادتـها

يعد (علم النحو) من أصول العلوم العقلية، المندرجة تحت (علوم الآلة)، لأن النحو يحتاج إلى سعة بال، وحضور العقل المتين، حتى يدرك العالم النحوي وطالب العلم والباحث مدارك هذا العلم، وأساسيته على صورة تامة، ومنضبطة.

لا ينفع في النحو التعالم، مثله مثل اللغة وعلم الحديث خاصة، وأصول الفقه والنقد الموهوب، هنا لا بد من الحضور العقلي الجيد وقوة النباهة، ولبيان هذا على شكل مختصر أبين بابًا من أبواب النحو، كثُر الكلام حوله من قديم الزمان، ذلكم هو (النكرة)، وسوف ننظر ذلك كما يلي:

- أصل النكرة: أنها كلمة أو مفردة عامة، لكنها لا تدل على شيء، أو أمر معين، (كبيت، وكتاب، ورجل، وبلد، وبنت)، وقس على هذا.

وتعريف النكرة عند عامة أهل الصناعة اصطلاحًا: أن النكرة: (ما تكون قابلة (ال)، وتكون مؤثرة فيه، ليكون (معرفة)، أو يقع في موقع ما يقبل (ال).

هكذا جرى الاصطلاح، لكي لا يتم الخلط في أساسيات علم النحو، ودلالاته على المراد بيانًا وإعرابًا، ويتضح هذا بمثال أضربه، مثل: (بيت)، فيقال: (البيت)، فأثرت هنا (ال)، فأصبح معرفة، لكنه مجرد منها فهذا نكرة.

ومثال ما يقبل (ال)، لكنها لا تؤثر فيه تعريفًا: (خالد) (فاطمة)، فهذان علمان، فقول القائل: الخالد والفاطمة. هنا دخلت (ال)، إلا أنها لم تؤثر تعريفًا فيهما، والعلة حسب مذهب جمهور النحويين في مطولاتهم، لأن هذين علمان قبل دخول (ال) عليهما، لكنهما من حيث المعنى الأصلي (نكرتان)، فأي خالد، وأي فاطمة نقصد؟ وإن كانا علمين في الأصل الوصفي، ومثال ما يقع موقع ما يقبل (ال) التعريف، نحو: (رأيتُ ذا كرم)، يراد صاحب كرم وبذل، ونلاحظ أن (ذا) نكرة، ولا يمكن أن تقبل (ال) بحال، إلا أنها وقعت في موقع (صاحب)، وهنا فإن (صاحب) يقبل (ال)، فيقال (الصاحب)، وهذا يقاس عليه في سياسة السياقات النحوية، ولا يحسن هنا في النكرة: أن يخلط بين ما هو معلوم عرفًا بالضرورة، وبين النكرة تلك إلا بدلالة ما سبق.

وذلك مثل: أحد بضم الهمزة وأجياد ونخلة، فهذا كله نكرة، لكنه اكتسب التعريف بدلالة الشهرة، ودلالة المعنى، فأُحد الجبل المعروف بالمدينة، وأجياد هي من أحياء مكة، ونخلة (وادي نخلة)، وهكذا مما هو معلوم أصلاً عند من يعلم ذلك، ولا يشكل عليه، لكن جرى

الخلاف على التعريف السابق، تعريف النكرة، قلت: هذا القول فيه وجاهة، عند من يتأمل ذلك بحاذق من فهم سديد.

والذين خالفوا قالوا: هنا أسماء النكرة وضعت هكذا طُرًّا، وعند التحرير فهي لا تقبل (ال)، ولا تقع في موقع ما يقبل (ال) بصورة من الصور، وإن كان هذا فهو متعسر، وذلك نحو: (رأيتُ مُحمدًا قارئًا). وهذا (حال من مُحمدٍ) أنه رآه أو رأيته قارئًا، ومثل هذا التمييز مثل: (أخذتُ دارًا، أو اتخذت دارًا نيرة)، أو (بعتُ كيلاً برًّا)، قلت: وهذا القول وإن كان حسنًا عند تأمله، لكنه ضعيف حسب المقتضى، وذلك كما ذكر الإمام المعاصر محمد محيي الدين بن عبدالحميد، فقد أشار في شرحه على ألفية بن مالك تهميشًا، فقال: إن هذه كلها تقبل (ال) من حيث ذاتها.

قال اللحيدان: هذا يقرب من الصواب، لأن (محمد محيي الدين بن عبدالحميد) علل، فهو يقول: لا من حيث كونها حالاً أو تمييزًا أو اسمًا لا في كلام طويل ص**88** من (شرح ابن عقيل)، الجزء الأول من جمادى الأولى لعام **1384**، والحق أن فهم النحو، وإدراك مراميه، ونظر حالاته من خلال أبوابه المتعددة، كل ذلك يعطي المطلع على هذا العلم زيادة فهم وإدراك ووعي جيد متين، لكن ذلك يشترط له التواضع لكبار العلماء، وفهم ما أرادوا ونظروا في كتبهم وشروحاتهم قبل التعقيب على ما أرادوه بدعوى بالتجديد مثلاً.

بـنـا ء الـدولـة و الـعقل الـعمـلي

هنا محط القول فيما يمكن قوله، على خلاف ما ذهب إليه ابن خلدون، وسواه ممن بذلوا جهدًا لبيان بناء الدول إداريًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا، وما يتبع هذا من نوافل القول مما لا بد منه أن يكون، إذ الدولة تحتاج إلى موهبة القول، وموهبة العمل، على أساس التجديد السبقي، لكن في ثقل قوي من بناء جد متين، لكن لعلي أبين قبل ذلك في هذا (المعجم) حقيقة معاني البناء؛ ليكون ذلك مدخلاً أو قُل أمرًا مهمًّا حيال ما أنا بصدد الحديث عنه.. فعلى بركة الله:

1. البناء أصل هذه المفردة ثلاثية الأحرف، بحذف الألف واللام، من التشييد والبناء.
2. البناء: إقامة ما يراد سكناه.
3. البناء: رفع القواعد مما يكون قائمًا عليه.
4. البناء: من صفات الحياة لأجل مسمى.
5. البناء يدخل هذه الكلمة الاشتراك اللفظي،

نى بها: دخل عليها.

بنى بها: اتخذها سكنًا من باب العموم.

ابتنى بها: عمر بيتًا في بلدة ما.

هذا بان: بناء.

بني: يعمر ويشيد.

6. البناء بكسر الباء على ما سلف.
7. البناء: التشييد على اختلاف بين عمل وعمل.
8. بنى الأمر أقامه.
9. يبني: يعمل عليه لإتمامه.

البناء إنما يكون من الخريت؛ ولهذا كانوا في البوادي والقفار يضربون بيت الشعر، ممن يحسن ذلك بإقامة العمد والرواق وفتحات الهبوب.

النساء يحسنّ ذلك بجانب الرجال، وإن كانت الوتيرة مختلفة.

من معنى هذه المفردة:

ى الوادي: عمره بالماء والشجر.

11. بنى الصحراء: عمرها بالأحياء.
12. بنى الساقي: شقه وسواه.
13. بنى الأمر: اجتهد فيه.
14. بان له سبق: وهذا يقال للعالم المجتهد، الذي قد يسد مسد **100** عالم.

ولعل هذا كافٍ، وإن كنت تركت أشياء أخرى، فإنما تركتها خشية الملال، وإن كان لا يمل من طوارح العلم وأساسيات مفردات المعاجم على كل حال.

وإذا كان البناء على هذا، فإنه في معناه على حال الأصل، يدل على التشييد ورفع القواعد لكل قائم على الأرض.

ومن أصول البناء: بناء الدولة بأنها تقوم على أصول وقواعد من التأسيس، وقوة النظر، ومعاودة التجديد، فضلاً عن ضرورة التغافل عن الصغائر، غير المرادة من هذا وذاك.

وقد عاينت من خلال قراءاتي في سياسة الدول عبر تغاير القرون: أن من أهم ما تقوم عليه، هو قوة رفع القواعد لسبيل الدوام، والسبل تختلف، ولكن من أهمها الانكباب على ذوي العقول المجربة الواضحة من ذوي الشرف والأخلاق العالية، وقلة الظهور وحب الانطواء، وكثرة التدبر في أحوال تجارب الدول، من شحذ للعقل التجريبي الفطن.

ليس من اللازم في مقاييس الدول أن تتعجل البناء وسرعة الظهور، حتى يتأسس لها خبرة ضاربة في أعماق قناعة العمل، الذي تسير عليه، وفق التجديد مع كسب متتالٍ للأصدقاء وتبادل المصالح، تلك التي لا تضر بسياستها، التي تنهجها لبناء بشكل خفي، وإنما قصدت بكسب الأصدقاء وتبادل المصالح الاستفادة، مما قد يقع من خطأ، ولو كان صغيرًا، حتى يمكن تلافيه.

فقد هادن النبي ﷺ كفار قريش ومَن معهم من الحلفاء على شروطهم تلك[12]، التي ضد الإسلام يوم صلح الحديبية، ثم بدا أنه قد أَمِن جانبهم، فسار يؤسس بناء القواعد والعقول، وتوظيف القدرات، وبناء سياسة الأمة في العبادات والمعاملات.

وفعل هذا الشيء المعتصم مع أنه كان أشبه ما يكون بالعامي، لكنها تجارب لقيت استعدادًا حيًّا في العقلية العملية، وكان يتجنب المعاداة لأحد ما، خاصة هفوات الحواصل من القول والعمل.

إن القدرات والمواهب هي ما يجب أن يتم التركيز عليه، حتى من أولئك الذين ليس إليهم رغبة للشك في بعض حالاتهم بسبب قول أو توجه ما.

وقد ظهر من بعض تجارب الأمم أن ما كان من حال هؤلاء من قلة أو شك، إنما هو مجرد وشاية من قريب أو واش، أو أنه نقل لكلام جاء على السجية، لم يقصد به شيئًا كحال الموهوب، أو العظيم من الرجال، الذين يتكلمون لكنهم لا يقصدون شيئًا، إنما جاء على السجية، بحسب طباعهم من الصراحة والنبوغ، وذلك كحال عمر يوم الحديبية حينما خالف، بل رفع صوته بحضور المصطفى ﷺ.

ومن نافلة القول: ولا مشابهة كشاهد حي يوم خالف إبراهام لنكولن كثيرًا سياسة بعض السياسيين وتوجهاتهم خلال الحرب الباردة، وقد عارضوه كثيرًا، لكنه مضى في قراره، وقد تبين صحة ما ذهب إليه، وقد كادت أمريكا تذهب في مهب الريح.

الـعـقـل و الـلـغـة

وأبين هنا ما كنت قد أسلفت القول عنه عن العقل وحالاته في نسق مطول مضطرد لعله يفتح المجال في زمن العلم، بحاجة إلى العقل أن ينظر ويحكم، من خلال سلامته من المعارض، وإحاطة الفطرة به من كل صوب، ووضع شائك الحديد لحمايته من العاطفة، وحمايته من القلب الرجراج، فلا يكون ثمة أي مدخل على العقل، من أي شاربة تشرب، أو واردة ترد، أو ضاوية تضوي، فإن كان الشائك حول العقل من الدهاء العادل والفطنة العادلة والقوة العادلة ترد كل هذا على عقب خاسر دون شك أو حكاية تكون.

وعلى هذا أساس إذا كان العقل موهبة، وإذا كان العقل غريزة، فإنه بهذا يصفو جوه، وتنير ساحته، فيندرج في هذا القلب؛ ليستفيد من العقل، وتلحق به العاطفة؛ لتأخذ من العقل، فيكونا خادمين له، وعلى هذا الأساس ينذحر الهوى، ويزول الصدأ، ويذهب مع الريح كل غبش أو ميل أو سوء، فيصفو الجو، ويسعد العقل بأنه ساد على الرؤى والمداخل والمخارج.

ولست أبعد النجعة أن أصول التجديد في سياسة الحياة كلها إنما تنبعث من هذا، ولا يخالفني في هذا إلا من لم يستوف القراءة، أو أنه يقرأ ولكنه على حال متراوحة بين العجلة والرؤية العوراء، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤]

ومن خلال متابعتي لما يطرح في الكتابات من آراء وتنظيرات واجتهادات حول اللغة، فإنني أنحو باللائمة على المتعجل، الذي يريد أن يحرر مسألة لغوية مهمة في مقال أو مقالين أو قل ثلاثة في زاوية من الزوايا في مجلة محكمة أو صحيفة سيارة!

وهذا الذي أقوله إذا انتشر في الاجتهادات العلمية الشرعية والثقافية والنقدية طغى الأمر من حال عاقلة نزيهة إلى حال فيها من حب الوصول إلى النتيجة التي يرديها.

واللغة في سياستها وما طرحه الأئمة وكبار العلماء خلال الأزمنة السالفة، إنما فعلوا ذلك في نسق متحد، أو في نسق مختلف، كان العقل هناك هو الحكم، ولذلك لا تجد (السيرافي) في شرحه لكتاب سيبويه يطرح طرحًا إنشائيًّا، أو مجرد تلقين، أو الإيحاء بأنه العالم المجدد.

ولذلك كذلك نجد (الخصائص)، وكذلك نجد (عمدة القاري) للعيني، وكذلك نجد (مغني اللبيب) وما طرحه ابن معطي وابن هشام، وما طرحه ابن قتيبة، وما بذله الإمام مسلم في سياساته اللغوية، نجد هناك أن العقل قد سيطر على الميل على حب الذات وذيوع الصيت، فنجد ما طرحه أولئك من شروحات وآراء واجتهادات أنها أضافت جديدًا، لم يسبق إليه.

ومعاجم اللغة عند (الجوهري) و(ابن منظور) و(ياقوت الحموي) و(ابنمالك) و(ابن عقيل)، وسواهم، وكذا (الفيروزآبادي) نجد أن هؤلاء اقتصر العقل لديهم على الفائدة اللغوية، دون تشعبات أو تهميشات أو تخطئة لطرف، إنما العقل قادهم إلى حسن الدل وحسن السمت، وعذر المخالف أنه اجتهد وهذا حظه. فهم لا يعرفون بذاءة الألفاظ والتشنيع بالأسماء أو الاستعلاء.

وهذا دون شك نسق مطرد، كما قلت من قبل: قادهم إليه العقل، الذي أحاطته الفطرة بقوة الحذر من الزلل أو حب الذات أو حب الرئاسة، إنما الديدن كل الديدن عندهم عموم الفائدة مع الاعتراف بالتقصير وعذر مخالف.

وهذا هو لب من ألباب العقل، وصفة من صفات العقل، وحال من حالات العقل.

وأقدر لقومي اليوم ما يقع منهم في بعض كتاباتهم في الزوايا الصحفية أو المقالات المطولة أو المحاضرات في الجامعات أو المراكز العلمية أو الهيئات الرسمية، أقدر لهم البتر أو العجلة أو حب الوصول إلى النتيجة، وهذا لأنني في اعتقادي أجزم أن هذا سبيل يقودهم حينما يقرؤون ما يكتبون عشرين مرة مثلاً، أنهم سوف يعيدون ويبدون، ثم هو لا يتكرر ذلك الخطأ من الطرح الإنشائي أو كثرة التهميشات أو كثرة الاعتراضات أو البتر أو الاجتهاد، الذي يظنونه اجتهادًا، وإنما هو بذل الرأي ليس إلا.

أصل كلمة الربض وخطأ العلماء حولها

أصل الربض بتسكين الضاد، أخت الصاد: القعود، يقول: ربض قعد، ربضت الدابة: قعدت، وهذا إنما هو من باب التغليب، وإلا فلا يقال: ربض الجمل. ربضت الناقة، لكن يقال: نوَّخ الجمل بتشديد الواو، كذلك قال من تقدم من أهل اللغة، ولم أجد نوخت الناقة.

والرابض والرابضة: الساكن والساكنة، فهما قاعدان على صفة وحالة واحدة، ليس إلا هذا على وتيرة غير مردودة.

وأصل الرويبضة في كلام أهل اللغة على مطلق القول تصغير الرابضة، وهو الرجل التافه الحقير، ينطق في أمر العامة، كذلك قال الفيروزآبادي.

قال ابن لحيدان: وهذا يتسق مع نسق واحد، تعرفه العرب.

ولا يناسب جلس ربض، وإن كان هذا من المعاني لِربض بكسر اللام.

وغالب أهل شمال جزيرة العرب يستعملونها، خاصة الكثير من بني أسد، وبعض أهل القصيم، لكن ذلك أحيانًا على سبيل التحدي للخصم أو التسفيه، فيقال له: اربض أي اندحر أو اسكت. فلا تنطق جوابًا.

وربض: مات في مكانه، فهو لا يريم.

قلت: وهذا أيضًا من المعاني، قلت: وهو قليل.

وهذه اللفظة في هذا المعجم تقودني إلى بيان ما ورد من الآثار، وأخص بهذا العلماء والمفتين، وأهل التحقيق والتصحيح والتضعيف، وكذلك خطباء الجمع.

وعلى هذا الأساس فقد ورد حديث رواه أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني في مسنده الجليل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قبل الساعة سنوات خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويخوّن فيها الأمين، ويؤتمن الخائن، وينطق الرويبضة»[13].

قلت: وفي سنده عند أحمد رَحِمَهُ اللهُ عبدالملك بن قدامة الجُمحي بضم الجيم، وفي روايته ضعف، ولست أعلم من وثّقه، وإن كان صاحب دين وورع، كذلك في سنده إسحاق بن بكر بن أبي فرات، وهو مجهول الحال، ومعلوم أن جهالة الحال سبب قوي لرد الحديث، لأن الأصل أن الله جل وعلا تعبدنا بالقطعيات.

وكذلك ورد عن عبدالرزاق الصنعاني شيخ اليمن، رواه عن معمر عن سعيد ابن عبدالرحمن الجُحشي بضم الجيم عن عبدالله بن دينار، قال: قال رسول الله ﷺ: «بين يدي الساعة سنين خوادع، يُخوّن فيها الأمين، ويُؤتمن فيها الخائن، وينطق الرويبضة في أمر العامة» قيل: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: «سفلة الناس»[14].

وكذلك هذا الأثر قد ورد عند الحاكم أعني أبا عبدالله صاحب المستدرك، إلا أن لفظ الحاكم: «خداعات»[15].

وهذا الحديث له عدة طرق، وقد قلقت من رفعه إلى درجة الحسن لذاته.

ومن المعلوم من حال علم الجرح والتعديل وعلم أحوال الرواة بالضرورة: أن الأسانيد وإن كثرت وتعددت، ووجد فيها رواة ضعفاء، اتفق الناس على ضعفهم، فإنه لا يكون حسنًا لذاته، لكن يكون حسنًا لغيره، وهو من أنواع الضعيف، الذي لا يعمل به ولا ينطق به.

وقد نما إلى علمي، واستمعت كثيرًا في بعض وسائل الإعلام، ومن خطباء الجمع، إيراد هذا الحديث عند الرد على المخالف وتنقيصه ونقده، فيذكرون أنه رويبضة، لا علم عنده، أو أنه يتقمص العلم والفتوى، أو أنه يتعالم، وقد استمعت إلى بعض خطباء الجمع، يذكرون هذا الحديث في أثناء خطبة الجمعة، كذلك نقل إليَّ أن بعض أهل الفتيا في كثير من البلاد الإسلامية ينقلونه دون توجيه أو تحرير لسنده من وجوه.

ومن المعلوم في أساسيات العلم وسياسة الإلقاء: أن الأمانة والصدق أهم ركيزة في الفتيا والقضاء، ونقل الآثار والنصوص وتحقيق المناط في المسائل العلمية، وإذا كان هذا كذلك، فمن لوازم القول: إنه لا بد من بيان حال أصول العلم وأصول الآثار، ما لها وما عليها، ذلك حتى ينشأ جيل عالم حقيق بإرث النبوة من غير نكير.

وليس هذا مني قسوة على قومي، ولكنه من باب بيان ما لا يجب تركه، لا سيما وبعض الآثار يقبلها العقل ولا يردها، ويقبلها القلب ولا يردها، وتقبلها العاطفة ولا تردها، لكن العقل والقلب والعاطفة ليس هذا كله هو الفصل في الخطاب، إنما الفصل في الخطاب هو العلم المتكئ على الأدلة المادية، التي يقبلها العقل السليم، ولا يتوجه إلا إلى ما ذهب إليه كبار العلماء خلال القرون.

وخذ مثلاً من رد حديث: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه، فإن في أحد جناحيه داء، وفي الآخر دواء»[16] وذهب هذا الكاتب عفا الله عني وعنه إلى ضعف هذا الحديث، بل ويبطله، لأنه لا يوافق الأدلة المادية، وهو هنا لم يعرّف الذباب بتشديد الراء ولا أنواع الذباب، ولم يعرّف الجراثيم ولا أنواعها، ولم يعرّف الأشربة ولا أنواعها، بل ألقى القول على علاته،

وذهب يبطل النص، فأصبح هذا الكاتب محل سخرية، لأنه خاض في شيء لا يدري عنه شروى نقير.

وهذا مني إنما هو توجيه للوقوف عن الحد، لأنه من كتب فقد استهدف، ومن ألف فقد استهدف، ومن قال فقد استهدف. والله الموفق إلى كل خير.

المسؤولية على من تقع؟

يسود الاعتقاد غالبًا جملة من العلماء والباحثين. يسود الاعتقاد والجزم ما لا يحسن أن يكون كذلك، وهذا معروف من خلال السبر والتتبع، من خلال المطولات وكتب الفروع؛ وذلك يجعل بعض الأصول موضع شك كبير، إذا أردنا الاستفادة من العلماء. وهذا أمر يسن بيانه على واضحة من (طرسٍ) متين.

من هذا الباب، في هذا المعجم أن أبين ما حقه البيان، مما هو سبب في حصول الخطأ،

وعلى هذا الأساس أوضح ما يأتي:

1. الخلط بين العالم المحدث والفقيه.
2. الخلط بين العالم اللغوي والنحوي.
3. ما يتم فيه الخلط بين المؤرخ والإخباري.
4. ما يتم فيه الخلط بين عالم الأصول والباحث الشرعي.
5. الخلط عند الكثيرين بين العالم المفسر والشارح.
6. ما يتم الخلط فيه عند الكتّاب والأدباء، بين الناقد ودارس الأعمال الأدبية أو الثقافية.
7. ما يتم الخلط فيه بين المصنف والمؤلف.
8. ما يكون فيه الخلط بين عالم الجرح والتعديل وعالم المتون.
9. ما يكون فيه الخلط بين المحقق والمهمش.

وهذا لعله سبب من أسباب عدم ظهور المجد ممن يتلقى العلم حال الطفولة الباكرة.

ذلك أن أخذ (علم الحديث) من (الفقيه) أو أخذ العلم وتلقيه من (اللغوي) على يد (نحوي) هذا سبب جيد لضياع أصول وفروع العلم، المراد إدراكه، والتخصص فيه على صورة يصل من خلالها العالم تدريجيًّا إلى مصاعد النبوغ والدراية والرواية.

فمثلاً لا يمكن (للفقيه) إلا في حال شاذة أن يميز، وهو يحاضر أو يشرح أو يقرر حكمًا، ما لا يمكنه أن يميز بين هذه الحالات المهمة.

حال الناسخ من المنسوخ من الأدلة.

حال المطلق من المقيد من الأدلة.

حال الخاص من العام من الأدلة.

أو حال العام من الخاص من الأدلة.

أو حال المتقدم من المتأخر من الأدلة.

ومثله عالم التوحيد وعالم التفسير.

وعالما التوحيد والتفسير لا يمكنهما ذلك، إلا في حال شذوذ.

من أجل ذلك رحل الإمام مسلم بن الحجاج ليلقى البخاري، فيأخذ عنه ذلك.

كما رحل مسلم إلى ابن واردة، ورحل الإمام أحمد إلى الشافعي، ورحل الشافعي إلى الإمام مالك.

كما رحل كثيرون إلى الإمام أبي حنيفة.

فالعلم والفتوى والقضاء وتقرير الأحكام العلمية الشرعية، كل ذلك يحتاج إلى مثل ما ذكرت، وإلا أصبح الناسُ كلهم علماء، ويفتون ويقررون ويقضون.

كما أن النحوي لو طلب العلم على (عالم اللغة) في أساسيات علم النحو لتاه، واختلطت عليه معاني المفردات وحقائق الإعراب ودلائله؛ ولهذا تتلمذ الإمام (سيبويه) على الإمام (حماد بن سلمة) الإمام المحدث. وقس على هذا. وهو فيض من غيض.

ويستطيع الأصولي (عالم أصول الفقه)، والفقيه والمفسر واللغوي والنحوي وعالم السياسة الاقتصادية، والإدارة العليا، وعالم الاجتماع أن يطالع فقط (عمدة القاري) للإمام العيني؛ فسوف يجد ما يجعله يدرك أن (العلم) بحر عميق، وليس هو بالحفظ أو السمعة أو كثرة التصنيف.

وبالمرور على ما دونه (الآمدي) أو (الشاطبي) أو (اللالكائي) أو (السرخسي).

هُناك مع قوة القراءة وسق العقل وجليل الوقت. فسوف يجد ناهضات الضوابط من العلم، في حال مديم على وتيرة المجتهدين خلال تصرم السنين.

والعلم اليوم لم أرَ مثل هذا العصر أن يضبط العالم والمثقف والأديب. يضبط كل أحد نفسه بقوة التدبر، وحيثيات العلم الصحيح.

وطالع إن شئت فقط ترجمة مثل هؤلاء:

1. ابن وارة
2. إسحاق بن راهويه
3. يحيى من معين
4. السرخسي
5. حميد الزهري
6. إمام الحرمين
7. أبو زرعة الرازي (عبيدالله بن عبدالكريم)
8. أبو حاتم (محمد الحنظلي)
9. قتيبة بن سعيد بن جميل
10. منصور بن المعتمر

جرب هذا من خلال التراجم المطولة لكل واحد منهم، وانظر ثم أعد النظر؛ فلعلك تجد ما لم تتحسر عليه أبد الآبدين.

ولهذا فالمسؤولية مشتركة أن يكون **(العالم)** على درجة كبيرة من الفهم السديد، وضبط أصول العلم وقواعده، بعيدًا عن العموميات، والجرأة، وضيق الأفق، والعجلة في الإجابات، أو اختصار ما موجبه التفصيل، مع صحة الدليل، وقوة التعليل، برزانة وحسن خلق، وسعة بال.

معجم كتب الآثار الواهية

جرت العادة لدى بعض المصنفين أنهم يصنفون الكتب خلال طرق عديدة، كان ذلك سببًا في حصول الآثار الواهية. وفي هذا الجزء أبين شيئًا ذا بال، مما وقع عند القوم في مختلف الأحايين، فمن ذلك ما يلي:

1. الخلط بين آراء الطبري والطبراني، مما قالاه أو روياه.
2. الخلط بين عبدالله بن زيد الأنصاري. وبين عبدالله بن يزيد الأنصاري، وهذا يشكل خللاً في الرواية.
3. الخلط بين غزوة بدر الكبرى. وغزوة بدر الصغرى.
4. الخلط بين جبل أحد. وجبل الرماة.
5. الخلط بين معاوية بن أبي سفيان. ومعاوية بن يزيد. وكلاهما أموي ومعاصر للآخر.
6. الخلط الشديد بين (سيرة ابن إسحاق الأنصاري. وبين سيرة ابن هشام الأنصاري)، وكلاهما مؤرخ وراوٍ.
7. ما أورده بعضهم ممن ذكرت كتبهم حول (قصيدة): (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع)، وهذه رواية ضعيفة جدًّا، لم تحصل أصلاً، لكن رواها دون سند كثير من الرواة اعتباطًا.
8. الخلط بين عبدالله بن أبي ابن سلول. وعبدالله بن عبدالله بن أبي ابن سلول.
9. الخلط بين ما وقع في بيعة العقبة الأولى. وبيعة العقبة الثانية.
10. التشابه بين أعمال (زياد بن أبيه) و(عبدالله بن زياد بن أبيه).
11. الخطأ الذي وقع فيه بعض علماء التاريخ والنسابة: أن (غسان) رجل ينسب إليه الغساسنة، بينما (غسان) اسم لوادٍ كبير، وليس اسمًا لرجل ما.
12. الخلل الحاصل فيما يتم نقله بين (مقدمة ابن خلدون) و(تاريخ ابن خلدون) وهذه مشكلة.
13. الخلط بين ألفية ابن مالك. وألفية ابن مُعطي، وإن كان هناك تشابه فهو توارد خواطر في أساسيات (علم النحو)، ومن المعلوم أن ابن مُعطي سابق لابن مالك.
14. وقد وجدتُ خلطًا حتى اليوم في أثناء المحاضرات والدروس العلمية، ووجدت هذا في بعض الإصدارات، وهذا الخلط يقع بين التشابه في إعراب (المفعول به، والمفعول له، والمفعول لأجله)، وهذه مشكلة نحوية سيئة، ما لم ينتبه لها العلماء، والكتاب

15. الخلط الفاحش بين (مسجد قباء، وحي قباء)، فيما يتعلق في الصلاة والأجر، فالحي لا مزية له أبدًا، إنما المزية تكون (لمسجد قباء)، كما ذكره الإمام (ابن ماجه).
16. الخلط بين (جامع أروى، والجامع الكبي) في صنعاء اليمن.
17. الخلط بين (غدير خم، وموضع غدير خم)، وما تم فيه نحو: علي بن أبي طالب والصحابة، ووهم الإمامية بالبيعة (لعلي) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد التبس هذا على الشيعة.
18. ما ورد في تلك الكتب وأشباهها، نحو: أن أئمة الإمامية أفضل من الرسل عليهم السلام، وأنهم يعلمون الغيب.
19. الخلط بين النعمان الأكبر والنعمان الأصغر في الجاهلية الأولى، وما تم في زمن كل واحد منهما.
20. إهمال السبب لفتح عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (بلاد الفرس) والسبب أن ضعفاء وفقراء الفرس، شكوا إلى عمر ما يلقونه من ملكهم من جور وظلم وتطاول.
21. الخلط عند كثير منهم، بسبب تلقف الرواية، ومجرد النقل والإَضافات الخاطئة، كما هي عند صاحب (الأغاني) و(مروج الذهب): أن (يزيد ابن معاوية) أمر هكذا باستباحة المدينة، وأنه كان يعاقر المدام.
22. كثرة النقل هكذا: أن (هارون الرشيد) مولع بالجواري والمعاقرة (شرب الخمر)، وكذا (المأمون).
23. أن (طرفة بن العبد) قتل، وعمره قرابة خمس وعشرين سنة.
وهناك اختلاف شديد، ومعلقته يستوحى منها: أنه قد تجاوز الثلاثين كثيرًا.
24. القول إن ابن سبأ من يهود الشمال، والصحيح أنه من يهود اليمن الذين نزحوا إلى اليمن من بلاد الروم عام أربع مئة **400** قبل الهجرة النبوية، وإلا فلم يكن في اليمن يهود أصلاً قبل ذلك.
25. تفضيل الحسين على الحسن (وهما أبناء علي)، والصحيح أنهما في الفضل والمنزلة سواء.
26. أن (عبدالرحمن بن جرموز.. وعبدالرحمن بن ملجم) من العرب، والصواب أنهما من الفرس، وإنما هما عربيان بالولاء كحال (ياسر الحبيب).
27. وأن (سليمان بن عبدالملك) الخليفة الأموي أكل يومًا (أربعين بيضة وعشر دجاجات، وتبع ذلك بخروف مشوي)، ومن المعلوم طبيًّا وواقعًا أنه لا يمكن ذلك قطعًا.

28. وما ورد كذلك أن (هاروت وماروت) يعلمان الناس السحر لذات السحر،

والصحيح أنهما يعلمانه من باب الفتنة وفك السحر.

ن صح فهو منسوخ، فلا يجوز فك السحر بالسحر، لكن مجرد الرواية مشكلة.
29. ولعله يكفي: (العلماء والمثقفين والأدباء) أن في: (الأغاني) و(البيان والتبيين) و(حدائق الأنوار) و(مقاتل الطالبيين) قرابة خمس آلاف وثلاث مئة **(5300)** رواية

وحديثًا لم تصح بوجه ما، ومع ذلك يتم الاستشهاد بما يرد في هذه الكتب، ويتم كذلك النقل كحقيقة مسلمة.

نقد آراء بعض المعاصرين

أذكر ما بدأته فيما سبق من النقد لتوجه بعض العلماء والمحققين والمؤرخين المعاصرين للخطأ في ذكر بعض المواضع والأماكن التي لم يحققوا فيها حقيقة الوصول إلى ما ذهبوا إليه؛ وذلك لتركهم الأسانيد الموصلة إلى التحقيق في حقيقة أصل المواضع والأماكن والأشخاص.

ولا شك أن الأمانة العلمية مسؤولية جليلة، تدفع باللاشعور إلى تغذية الشعور بحرارة تحقيق المناط، والاتكاء على الأسانيد. وليقل من شاء ما شاء، شريطة أن تكون الأسانيد سالمة من الجرح، إنما الإسناد إلى الأثر يقوم على رواة ثقات، لم يتكلم فيهم أحد بنابزة من قول شائن مشين.

وقد ذكرت من قبل في الجزء الأول من هذه المجلة المرموقة ما أخطأ فيه ابن زريق وابن شبة والمسعودي في مروج الذهب، وأضيف ما أخطأ فيه أبو الفرج الأصبهاني في كتابه (الأغاني) والآخر (مقاتل الطالبيين).

وكتاب الأغاني قد هذبه طه حسين فوقع في الخطأ؛ وذلك أن صاحب الأغاني ذكر ما يقرب من ألف حديث وخمس مئة رواية وأثر، كلها مكذوبة، بمعنى أن أسانيدها باطلة، ومع ذلك يعول عليه اليوم كثير من المحققين وأساتذة الجامعات والنقاد، (وما يوم حليمة بسر).

ومن هنا أبيّن بعض الأخطاء في المواضع التي جزم بها بعض المعاصرين من المحققين والباحثين؛ وذلك لافتقارها إلى التحقيق بالسند القويم، كلا وبالسند المتين.

فمن ذلك:

موضع قبر علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يدفن في الكوفة، بل دفن بعيدًا عنها، قرابة ستة أميال ليلاً، ولا يعرف قبره إلى اليوم.

رأس الحسين لم يذهب به إلى مصر، ولم يصح هذا، وقد أبطله كثير من المحققين.

وقبر زينب في القاهرة لم يثبت أنه لها، بل هو لأخرى غيرها، وكانت من الصالحات، ودفنت قديمًا هناك.

قبر آمنة بنت وهب أم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تدفن في الأبواء. أقول هذا بقاطع من قول متين. فقد أبطله ونفاه إمام الأئمة الطبراني في (المعجم الأوسط) ذائع الصيت عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ـًا: موضع مولد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد جزم أخونا الباحث عبدالوهاب أبو سليمان -وفقه الله للهدى- أنه في موضع المكتبة الآن في مكة شرفها الله. وقد أبطل هذا ثلاثة من كبار العلماء في تحقيقهم لسيرة ابن هشام في الجزء الأول.

ـًا: يزعم بعض الكتاب من أهل العراق أن (الجودي) إنما هو في العراق، والجودي هو الذي رست عليه سفينة نوح صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وليس هذا بصواب، وإنما هي أقاويل وظنون يظنونها.

ـًا: قبر حواء في جدة لم يثبت بسند صالح أو سند قائم على أصوله أن قبرها عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ في جدة، وإنما هي أقاويل وكتابات، وهم هنا لعلهم يقذفون بالغيب.

: لم يثبت بسند صحيح أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يبيت في غار حراء، إنما يذهب إليه يتحنث، يعني يتعبد في قطع من النهار أو في آخره، ثم يعود.

يثبت أن صحابيًّا أو تابعيًّا صعد الجبل أو تبرك به، وإنما حصل ذلك في حدود القرن السابع الهجري من بعض المتصوفة.

ـًا: لم يثبت أن محمد بن أبي بكر أسهم في قتل عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إنما قتله رجل يسمى الأسود من الخوارج، فلما فعل ذلك أصيب بالجنون، وهرب إلى العراق ومات مجنونًا، ولم تزل الخوارج إلى اليوم في محن وفتن.

ـرًا: لا يعرف قبر فاطمة في البقيع، ولا (أم سلمة)، ولا (جويرية بنت الحارث) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ، ولا قبر (عثمان) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إنما هي أقاويل، ورمي بالغيب من مكان بعيد.

ـي عشر: لم يثبت أن البخاري تكلم في القرآن وأنه مخلوق، إنما الذي قاله رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مخلوق، أما القرآن فمنزل.

ويتضح من هذا مع ما ذكرته من الكتب إشارة من قريب وإشارة من بعيد إلى ضرورة الخوف من الله عَزَّ وَجَلَّ ألا يرسم الإنسان شيئًا أو يكتبه أو يذيعه، إلا وقد تحقق من ذلك كله، وإلا فإن في السكوت منجاة.

وإن كان ولا بد، فلا بد من الرجوع إلى العلماء، الذين يدركون مَواطن القول من خلال الأسانيد، وموهبة القدرة على معرفة الصحيح من الخطأ، والحق من الباطل.

الرأي والعقل الحر المعاصر

من حقائق القول فيما يمكن طرحه في صدد ذي بال مهم ذلكم هو تطرق الكلام إلى مسألة تحكيها مفردة، ذات دلالات مهمة متعددة؛ فلعلي قد رأيت كثيرًا من الناس يولدون منها معاني لا تمت إلى حقيقتها بصلة.

هذا لعله يعود غالبًا إلى أن السائد من الفهم، ذلك الفهم الذي لا يتكئ على نص صحيح، وما جعل هذه المفردة سائدة في هذا العصر.

وهذه المفردة اللغوية هي (الرأي). فمن أجل إيضاح مرادها، أبيّن المقتضى اللغوي لها، وأن أصلها ثلاثي (رأي). ولعله من الخطأ حذف الهمزة فوق الألف، هكذا (راي)، كذلك هم يقولون؛ لأن أصلها في السياق اللغوي والنسق الطرحي من (رأى) مهملة، بمعنى نظر وتدبر وفكر، ثم تم استخلاص ذلك كله بما يراه صاحب الرأي من رأي. فمن معاني الرأي -حسبما نظرته وتدبرته- ما يأتي:

الرأي: جودة النظر.

الرأي: الصواب في الأمر.

الرأي: السداد في الحكم.

الرأي: ثمرة التجربة، ومحصلة الحكمة.

الرأي: دقة الاستنتاج في المسألة.

الرأي: محك المشورة، ودقة الاختيار.

الرأي: استيعاب الفكرة، والخروج بنظر سديد.

ومن باب آخر جانبه مخالف لما سبق، فقد قيل في أسفار الأولين عبر القرون ما يأتي:

لا رأي لحقود، ولا رأي لحاسد، ولا رأي لذي عجلة، ولا رأي لمتكسب، ولا رأي لمداهن، ولا رأي لساعٍ للعلو، ولا رأي لجاهل. وكان المنصور لا يطلب رأيًا قريبًا، مهما علت منزلته، والثقة به، لا يطلب رأيه في قريبه، وكان لا يأخذ من ريبة ولا السعاية، وأخذ ذلك عنه ابنه (المهدي)، وورثها ابنه (هارون الرشيد)، ولم يأخذ بها (الأمين) -عفا الله تعالى

عن الجميع- وأخذ ذلك عنهم (المأمون)، لكن بشيء من عدم الورع، وقد كان عنده عجلة في بعض الأمور.

قلت: وجودة الرأي وقوته وامتيازه على ثلاث حالات:

- إما موهبة زائدة على الفطنة.
- وإما مكتسبة لاقت محلًّا جيدًا.
- وإما مكتسبة من خلال تجربة، وطول القراءة مع شيء مع عدم القطع.

وأصل الرأي أنه من صفات العقل المحنك، الخالي من الشوائب، ما لم يدخله الهوى، أو سوء التربية الباكرة، أو اعوجاج القراءة. فحينئذ يكون الرأي هنا من صفات العاطفة. وهذا النوع من صفاته أنه معاند، وهو شديد التمسك بما يراه، ويميل غالبًا إلى السخرية في طرحه ونقاشه، والإقذاع. ومن أبرز صفاته المداهنة، لكن بشيء من اللطف، حتى لا يفطن إليه، لعله يغير ما يراه إذا رأى هذا سبيلاً لحياته.

وقد واجهت نفرًا من بعض هؤلاء، فتبيّن لي بعد نقاش في الأعماق وخبايا اللاشعور: أن هناك معاناة شديدة لموقف أو مواقف؛ فكنت أحرص على ترك النقاش في المسألة المطروحة إلى أصل كونه يرى هذا الرأي، فيتبيّن له حقيقة نفسيته، وسبب ما يراه وإصراره؛ فيرتاح كثيرًا. يتبين لي هذا من تغير وضعه الفسيولوجي، وإن كان بعضهم لديهم عزة نفس، فيمتنع، لكن بشيء من التماسك.

ومن جانب آخر: أرى ضرورة الإشارة إليه، فقد يكون الرأي عند عامي، لا يدري من العلم شيئًا، أو قد يكون عند صبي، هو بعد لم يشب عن الطوق، لكن لديه من الحس والصفاء وشفافية الفطنة، ما يجعله يرى رأيًا قد يعجز عنه الفحول.

وقد مثل هذا عمرو بن أبي سلمة، والبراء بن عازب، ومحمود بن الربيع، والنعمان بن بشير؛ إذ إنه قد روى حديثًا ووعاه، وتلقته الأمة عنه بالقبول، وهو ابن ثماني سنين، وأطبق علماء أحوال الرواة والجرح والتعديل على قبوله.

ومثله ابن عباس؛ إذ قد روى وجلس للعلم في سياسة العبادات وسياسة المعاملات، وهو ابن أربعة عشر عامًا، وقد توفى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن ثلاثة عشر عامًا.

حكم العقل في سياسة الحياة والنفس

ليس هناك في الحياة، حياة الإنسان حسب تجارب القرون، أضر عليه من نفسه، وليس هذا بكافٍ أن يفتش عنه في دهاليز النفس، ليس هذا بكاف، ذلك أن مقدار حيل النفس السرية اللاشعورية تحجز رؤية العقل، حتى عند شدة التأمل، وقوة الملاحظة في سياسة الحياة وسياسة النفس.

ولهذا يقع في الأرض من الزلل، ما يقع من جراء ضعف الإنسان، عن مدارك الخطأ والصواب، ومدارك الخير والشر، ومدارك الحق والباطل، ومدارك الضياء والظلام.

فالنفس تواقة، تغلب صاحبها، وتزين له كل سبيل، حتى إذا انتهى إليه، وبرز العقل، فكر كيف حصل هذا؟

ثم هو يدري من قبل: أنه كان لا يدري. ذلك أنه غيب العقل بطواعية الانسياق لمتعة أو راحة.

فحين يسير الإنسان في الحياة على شاكلة واحدة، وإن اختلفت صور حالاته ظاهرًا، فإنه ينعمي عن كثير من بواطن الأمور، كذلك يعيش في دائرة مغلقة لا يرى خارجها، وإن رأى فإنه يرى من خلال المخادعة، مخادعة العاطفة التي تنوب عن النفس نيابة أولى، إذا عجزت النفس أن تقود صاحبها إلى مجاهل الحياة.

ففي سياسة نهوض الحضارات على هذه الأرض، إنما كان في ذاتية السياسة، ولست أشك في هذا: أن التردد في القوة، أو التردد في الحزم، أو طلب الرأي ممن ينشد الذاتية، ذلك هو عينه الذي جثمت فيه العاطفة على رؤية العقل، ومنعت فيه النفس التدبر، وصعدت فيه العاطفة؛ لتزين لصاحبها: أن القوة سوء، كذلك قال من جرب خلال العهود.

ليس بمقدوري ولا بمقدور غيري من المتخصصين في سياسة الدول من ناجعة العقول، على قول يراد لا رادف له، إلا أن تدبر العقل المكيث، ورؤية الحياة من خلال عدة زوايا ونظر سير مؤسس الحضارات الأكفأ، ذلك يعين العقل قوة ما لم تتمارض النفس، حتى تتمكن سرًّا من حوض العقل، فتحيط به وترده على عقبه، فينخاس إلى الخلف، وتقبع في دهاليز اللامنظور، لتضرب ضربتها.

لكن ما في ذلك شك أن في تأسيس الحياة هناك حواجز حية، حواجز صامدة، حواجز واعية يقظة، كلها من الحجر الصلب، ترد النفس ليقال لها: (العبي غيرها).

هنا في هذه المنطقة بالذات يسلم العقل الشفاف النزيه، إلا أن يرى حياة على السجية، تلك التي خلقها الله تعالى عليها، وهذا يحتاج إلى صفاء ذهن، ووعي عقل، وتجارب مكيثة.

ليس العقل وحده كافيًا، ولا التجارب وحدها كافية، ولا كذلك المشورة الحكيمة بمفردها تنفع، ما لم يصاحب هذا الموهبة بملاقحة العقول، من خلال تطبيق الدهاء النابه، والذكاء الحر، والوقوف على غوامض أخبار الحضارات، كيف سادت.

ليست الغوامض بكافية من خلال استخلاص فقه البقاء، بل الوقوف على الفروق بين غامض وغامض، بين السبب والنتيجة، بين الخطأ والصواب، كلا إنما الوقوف بين أصل الخطأ وأصل الصواب.

ذلك سبب هين، لا يؤبه به، قد يكون قشة، هي نفسها أصل الخطأ في مدار البناء والهدم في آن.

وما القشة بحاصلة، فعملت عملها، إلا لأن النفس خاتلت العقل بشعور غامض؛ لتكون القشة كامنة في اللاشعور، فتضرب ضربتها، لأن من صفات النفس المخاتلة تكون مع سرعة المفاجأة، ولأن القلب يتقلب، فهو كذلك ينقلب معها لا عليها، وما العاطفة إلا الدرع الرئيسة؛ لمنع العقل من الفكر النير الرشيد.

ولهذا يزل المرء خلال حياته، حينما يعتقد أن قوله وفعله يقرب من الصواب، حتى إذا عفا عليه الزمن، أدرك أنه إنما كان أسير النفس، أسير العاطفة.

وقد رسم الحكماء في أسفار الأولين، ونقلها المتأخرون: أن عصيان النفس ومصادمتها بوعي عقلي، حذر ذاك هو الصواب.

وهناك غياب للعقل، وهناك تغييب للعقل. فغياب العقل إن كان جبلة وخلقة، فهذا أمر لست أذكره، لأنه يحتاج إلى بسط وتحليل وتنويع، وإن كان بسبب تزيين النفس له ما ليس بصحيح، فهذه مشكلة.

أما تغييب العقل، فتغييبه إنما جاء بعلة خارجية، طمست حقائق، منها التأمل، وقوة الملاحظة، وصدق الحدس، وشدة التوقي. فهنا يحصل ما لم يكن بالحسبان، حتى إذا وعى الإنسان أمره باستدعاء العقل بقوة الضرورة هنا، لعله بقول الصحيح هو الصحيح. وإذا كانت الحياة حياة كل إنسان قصة مستقلة، فهي تحكي صورة وصورة، وصورة عنه، لو قرأها هو بعد مئتي عام جدلاً، لوسعه قرع سن نادم، حتى ولو كانت حياته حسنة جيدة، ويدرك أنه يدرك الخطأ، لا جرم فإن عقله هناك يلومه أشد اللوم.

1. فحكم العقل: نظره وملاحظته.
2. وحكم العقل: مراقبة للقلب.
3. وحكم العقل: هيمنته على الإرادة.
4. وحكم العقل: إخضاعه العاطفة.
5. وحكم العقل: محاكمته للهوى ورده.

6. وحكم العقل: ضبط التصرف اللاشعوري.
7. وحكم العقل: ضبط النفس، ورجوعها عن حيلها، ووسوستها.
8. وحكم العقل: عدل الحكم، وخشية العواقب.
9. وحكم العقل: مراقبة ما يقال بحكمة وروية.
10. وحكم العقل: ضبط الأمر بحزم شفاف، وصدق.
11. وحكم العقل: نظر الحياة بمنظار صادق نزيه.

نقد آراء بعض المعاصرين في الأماكن والمواضع

1. الوضع: الجعل، يُقال: وضعه: جعله.
2. وضع: يراد به فعل الشيء على الشيء، من باب التركيب، ومنه قوله تعالى:

﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [النور:٤٠].

الوضع أنه من المشترك اللفظي عند عامة أهل العلم الاستقرائي، سواء المؤرخين أو الإخباريين أو علماء الجرح والتعديل وعلماء طبقات أحوال الرواة.

ع عند المؤرخين يراد به الظرف المكاني، وقد يصحبه عندهم الظرف الزماني، وهم يقولون وضعت هذه الأمكنة في وقت كذا، أي في زمان كذا عند الإشارة إلى البلدان والقرى والمدن، والحال كذلك عند أصحاب السير والتراجم، وهو نفسه عند أصحاب معاجم البلدان.

3. الوضع عند المحدثين وجود كذاب في أصل السند، فيطلقون على هذا الحديث الموضوع، وهذا النوع من الأحاديث خصص له كبار العلماء كتبًا منتشرة، أسموها كتب الموضوعات.
4. ضعه بمعنى اتركه، وليس من هذا (الضعة)، وهي الحقارة؛ فهذا غير ذاك.

ء جعله وفعله، بمعنى الحس، والمعنى سواء بسواء.

5. والموضع: المكان المحدد، ولا يقترن هذا بزمان، لما قد يكون فيه من اختلاف.
6. والموضع هكذا مصدر عام مشترك، وإنما يميزه دليل القرينة الحسية أو القرينة المعنوية، والأخيرة تحتاج إلى عاضد.
7. وموضع يختلف عن كلمة الموضع؛ فالأولى نكرة تحتاج إلى التعريف ولو بالإضافة؛ فيقال موضع كذا،

بهذا التنكير إلى التعريف. أما الموضع فهو معرفة، ويدرك هذا من سياق النص على شيء معين.

8. وموضع جمعه مواضع، مكان وأماكن. ولا يقال محل. وقد أخطأ بعض اللغويين في هذا، وإن كان يدل عليه السياق.

قلت: من هذا الباب أبين بعض ما وقع فيه بعض المعاصرين من المحققين والباحثين، الذين يعولون على النقل من كتب الآثار والأخبار والسير، دون نظر إلى التقعيد والتأصيل،

ودون النظر إلى مناط الأصل، الذي لا بد منه في سبيل مقيم.

وأعني هنا السند بسلسلة الرواة الثقاة، الذي لا يقوم فيه الأمر إلا عليه، وكنت قد بينت أن منهج المحدثين منذ العهود الأولى إلى اليوم يقبلها منهج التاريخ، إذا كان المراد تحقيق الصدق، وتحقيق الحق في مكان ما، أو موضع ما، على سبيل ناهض لا يريم.

فمنهج المحدثين ومنهج المؤرخين عبر القرون لا يختلفون فيه في أن الأصل في تحقيق شيء ما كموضع أو إشارة، أنه لا بد أن يكون ذلك صوابًا، لئلا يقع الكذب في تحقيق مكان ما أو شخص ما أو رأي ما.

ولا جرم أن الحق أحق أن يتبع، كذلك قال العلي العظيم، ولا شك أن الحقيقة لا معدى من إرادتها، مهما كان الأمر على حال تقوم دون نكير.

وقد لمست من كثير من الزملاء من كبار العلماء والمحققين الذين يشرفون على المؤتمرات. وجدت أن بعضهم لعلهم يقدمون العاطفة في التحقيق والنظر، وهذا وذاك لا شك أنه يقود إلى العجلة لا شعوريًّا، وقد تحفزه العاطفة، فيجزم العالم أو الباحث أو المحقق إنَّ ما ذكره هو الصواب، بينما لو عرضناه على الأسانيد وأحوال الرواة، وأخضعناه للنقد العلمي الدقيق، (علم الجرح والتعديل وأحوال الأسانيد)، لوجدنا بونًا شاسعًا بين الخطأ والصواب، والحق والباطل، وبين العالي والنازل. ما في ذلك شك عندي.

ومن هذا لعلي أجزم أن ما كتبه أخونا عبدالوهاب أبو سليمان وغيره من المعاصرين إنما كتبوا ما كتبوا من باب حب الخير والسعي إليه، لكنهم تركوا الأسانيد، فلما وقع لهم هذا، كانت النتيجة خلاف ما ذهبوا إليه، وهذا ما أوقع طه حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه في الأدب الجاهلي، وما وقع فيه العقاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (عن معاوية بن أبي سفيان في الميزان)، وما وقع فيه قبل ذلك ابن شبة وابن زريق والمسعودي والجاحظ، وسواهم من المتقدمين في الخطأ، لعله غير المقصود في المواضع والأماكن والأشخاص، وهو نفسه ما وقع لأحمد أمين في (ضحى الإسلام) و(صدر الإسلام)، وهو ما وقع فيه كذلك الشيعي الفارسي الأصل (ياسر الحبيب) في بعض ما يذكره ويصر عليه.

وكل ذلك يدل على أن الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لسارت الركبان بكل حدث وبكل خبر وبكل رأي، فضلاً عن كل قول يقال. وإذا كان العلم أمانة، والقضاء أمانة، والفتيا أمانة، وتحقيق المسالك والممالك أمانة، فإن السند هو الذي يصدق هذا أو ينفيه، دون نكير من قائل قوله على وضب من ناهض مبين.

ويمكن لمن بحث أو رأى أو حقق أن يرجع على سبيل المثال إلى مثل هذه الأسفار: (الكاشف) للذهبي، و(تاريخ بغداد) للبغدادي، و(الجرح والتعديل) لابن أبي حاتم، و(المنار

المنيف) لابن قيم الجوزية، و(درء تعارض النقل والعقل) لابن تيمية، وكذلك يعاد لكتاب (الموضوعات) لابن الجوزي، ومثله صنوه (الفوائد المجموعة) للشوكاني.

الاكتشاف والكتابات المعلوماتية اليوم

في هذا الجزء أطرح أمرًا ذا بال عن الاكتشاف والكتابات المعلوماتية المنتشرة في الكتابات اليومية، لعلي أبيِّن من خلال ذلك خطأ توظيف المعلومات في غير محلها الصحيح، لعدم تخصص الكاتب، أو أنه تختلط عليه المعلومات. ولعل من نافلة القول: إنه لا ينفع بذل الرأي، إذا كان في غير الوجهة الصحيحة، لا سيما وغالب الناس اليوم يتابعون المعلومات والمعارف وإن لم يبدوا آراءهم.

ولكن دعونا أولاً أبيّن بعض مفردات حقيقة الاكتشاف، وهذا على ما يلي:

1. الاكتشاف: إبانة الشيء وإظهاره.
2. اكتشف: ابتدأ جديدًا، قد كان غامضًا من قبل.
3. اكتشف: وضَّحَ الأمر، (بتشديد الضاد).
4. اكتشف: كشف خفيًّا كان موجودًا.
5. اكتشف: بذل الجهد بتخصص معين.
6. اكتشف: اجتهد في إظهار جديد من الأمر.
7. اكتشف: اكتشف واستكشف: بحث ويبحث ما بين قصير وقت وطويله، حتى لعله يصل إلى مبتغاه.
8. وأصل الاكتشاف أنه بحث وبذل جهدًا بدنيًّا وفكريًّا وعقليًّا وزمنيًّا.

أقول: وما يتم اكتشافه هو موجود أصلاً، لكن قدرات العلماء قاطبة في العلم الشرعي والعلم العام: كالطب والفيزياء والكيمياء وسبل السلام، وعلوم الإدارة في السياسات العليا والاقتصاد محدودة، ولهذا فإن بعض العلماء يكمل ما سار عليه سلفه، وقد يشترك اثنان أو أكثر في مسألة واحدة، حتى يكتشفوا الحقيقة، كالبعد الكوني، والتمدد الكوني، واكتشاف بعض الأدوية، والتجديد النوعي والسياسي، وما يخفى أيضًا علم الاجتماع، ناهيك بالكمبيوتر، والاتصالات الشفافة، وحقيقة المغناطيس، وذبذبات الكهرباء والأثير.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]، وهذه الآية تحكي الإطلاق، إلى أن ينتهي العلم كله إلى عالمه علّام الغيوب.

وهذا دال على العجز الأصلي لدى الإنسان، لأنه مهما بذل وعانى واجتهد يظل في حال قصور لا تقصير.

انظر التمدد اللامتناهي في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾]الذاريات:٤٧[، لم يقف العلماء إلا على جزء واحد من مئة من هذا التمدد.

انظر حقيقة الخلق غير المحدود، وعجز الإنسان عن إدراكه، وإدراك كثير من الكائنات المنظورة وغير المنظورة في قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾]النحل:٨[. وحاول قراءة علم الأجنة من مصادر سليمة صحيحة، ثم انظر بقوة تأمل وروح أخاذة، كيف كانت هذه الآية قبل علم الطب: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾]الزمر:٦[، تأمل هذه الآية، ثم سل من تريد: هل تم اكتشاف أصل الخلية الغامضة في عظام الجنين كلها؟ مع أنها موجودة، لكن الطب لم يقف على كل هذا. (والخلية هي وحدة الكائن الحي). إذًا فالاكتشاف هو العثور على ما كان موجودًا، وهو حقيقة علمية مطردة، ولا جرم.

ولكن مشكلة بعض المعاصرين، أقول: لعله بدافع الإعجاب، ومجرد النقل، فهم يهولون الأمر إذا قرأوا أو استمعوا إلى شيء عن هذا العلم، أي علم، ولا يحاولون تلمس أصول وقواعد الشيء المطروح. فلعل ما نقلوه أو سطروه في صحيفة أو بحث أو كتاب لعله بخلاف أصوله وقواعده، فيظنون الظن كله: أن هذا العالم أو ذاك هو العالم. هو من أسس علم الاجتماع، أو أسس علم الإدراة، أو أنه كذلك مبتكر علم الأجنة، أو أنه هو مخترع البنسلين مثلاً، بل لعله يقال: وخلق جوًّا من العلم الفيزيائي. ولك أن تدرك خطأ هذا القول هنا، كما يمكنك أن تدرك القول،

فالفيزياء بأنواعها، والكيمياء، والطب، وحقيقة الأمراض وعلاجها، كل ذلك موجودٌ على هذه الأرض قبل الاكتشاف، وقبل البحوث الطويلة، فليس لك إلا أن تقرأ بتأمل تام الإدراك والإحاطة الشمولية هذا النص: «ما أنزل الله تعالى داءً إلا وأنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله»[17].

ولم أزل أعجب وغيري من المتخصصين من كثير من الكتاب، وأولئك هم الذين يقولون غالبًا: وخلق، ويخلق، وخلق الفرص، ويخلق جوًّا من النشاط الفكري، وما شابه ذلك، فمثل هذه العبارات في المقالات أو الكتب توحي بجهل أساسيات اللغة، وحقيقة ما أوردته المعاجم اللغوية، خلال عصور خلت، فالجهل بالأساسيات يجر دون شك إلى الوقوع في الخطأ، حتى لعل من يقرأ مثل هذا قد يستغرق ضاحكًا من شهرة هذا الكاتب أو ذاك أو الباحث، ثم هو يقع في زلل كهذا.

فالاكتشاف على هذا هو إظهار ما هو مخلوق أصلاً بقدرة الله تعالى، ومثله الاختراع الذي هو إظهار شيء جديد، لكنه مركب: كاختراع الطائرة والقطار والعربية والنظارة والهاتف.

إذًا ليس هناك في عملية البحوث المتطاولة أيسر من أن أكون مشهورًا، فأنقل من هنا وهناك، وأقص وألصق، ثم أبدي رأيًا، وأورد من العبارات ما يجعلني ذائع الصيت، معلوماتيًّا، لافتًا للنظر، إلا أن المشكلة تكمن في أن الناس يدركون أن هذا كله نقل، وتوظيف للنقل المعلوماتي، دون تنبه إلى أن أكثر من سبعين بالمئة يعون الخطأ في هذا، لأنهم يعرفون قراءة المعلومات والآراء والاكتشافات والاختراعات من خلال قوقل، أو غيره من الكتب المتخصصة في كل علم، فيدركون أن من يجمع ثم ينشر ليس له أصل يقوده إلى التأصيل والتقعيد وطرح النظر الصائب.

وهذا يسبب الغشاوة على العقل من خلال خداع النفس للعقل، فيكثر في الناس الجهل،

وسرعة القراءة العجولة، وحب الخفيف من القول، وبهذا قد يحدث الخلل في العقلية الفكرية بعد حين، ثم يتراوح النقل هينًا، ثم بعد ذلك ينعدم التجديد والسبق الإضافي على حال فيها قائم من شاهد ومشهود.

الـجـهـد و أنـو اع الـعـلـمـا ء فـي الـعـصر الـحديـث

في هذا الجزء من هذا المعجم سوف أتطرق إلى شاهد قائم على أصول المنهجية في القول والعمل، وذلك صوب الوعي المنظور على دائرة، يقع فيها كما يكون خارجها عالم وعالم ولغوي ولغوي، فمن خلال هذه المفردة، يتبين الحال نحو أنواع العلماء فقهًا واقعًا نحتاج إليه. فما هذه المفردة؟ وما المراد منها؟ أبادر فأقول: إنها الجهد على أساس هذا البيان المبين.

أتدرج إذًا في المراد منها على واسعة من قول مختصر مفيد، إذًا أبدأ قائلاً، فأذكر عنها ما يلي:

1. الجهدأصل هذه الكلمة ثلاثي الأحرف، (جهد) أي سعى وقارب، أو حتى قارب.
2. الجهد: بذل الطاقة من باب آخر.
3. الجهد: إفراغ الطاقة حسًّا ومعنى.
4. الجهد: من اجتهد قارب المشقة.
5. الجهد جهد قام على ما يريد، حتى لعله بلغ السعي.
6. الجهد المراد: بذل النفس لتحقيق غاية ما.
7. وجهد بفتح الجيم والهاء معًا: (علم) على مذكر.
8. وجهد بفتح الجيم وكسر الهاء (علم) على مؤنث.
9. وجهدبضم الجيم وإسكان الهاء (مصدر).
10. ويجتهدون ويجتهدن: ويبذلون ويبذلن الجهد حيال أمرٍ ما.

وحقيقة المبتغى من هذا: أن الجهد يبذله الباذلون، كلًّا بحسب حاله وسعته وعقله، وتحديد مراده.

وعلى هذا الأساس يكون العلماء، ومن يشرب من هذا المشرب من أي علمٍ أنواعًا متعددة.

1. فالعالم العاقل الحر ينشد الحق والخير المطلق.
2. والعالم المتحيز ينشد ذاتية المسعى.
3. والعالم العجول يصل، لكنه يخسر أو قد يخسر.
4. والعالم المجرب قد تفوته بعض القياسات ما لم يكن خريتًا.
5. والعالم المبتدئ قد يظن شيئًا فيثبته، والحق خلافه.
6. والعالم المستشير قد يقع له خير في جهده وبذله.

7. والعالم العادل قد يطول جهده وبذله، حتى لعله يخالف من هو أعلم منه، وذلك عند رؤية الحقيقة.

وقس على هذا إذا كنت ذا بسطة من إطلاع قوي نزيه جليل، وكل ما يخطر على البال من نواهض التراجم لحياة العلماء خلال العصور.

وهذا مثال أضربه يغني معناه عن كل مثال يحاكيه على منوال وغير منوال، ومن المعلوم أن الصحابة كلهم أهل علم رواية ودراية، لكن قد يدخل معهم من ليس كذلك في زمانهم، لكن الكاشف هو الله تعالى، ففي إحدى الغزوات (قد بذل أحدهم جهدًا وطاقة، وقد تعجب بعض الصحابة من جهده، حتى لعله قتل من العدو عددًا، هنا سأل بعض الصحابة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه، فقال: «أما إنه من أهل النار»[18] ، فراقبه بعضهم، وهو يبذل الجهد في هذه الغزوة، حتى إذا أثخنته الجراح قتل نفسه عيانًا.

وقد تبين بعد ذلك: أنه كان يقاتل لذات نفسه، وطلبًا للزلفى.

ومثال يقرب منه على وتيرة الشبه بين الحس والمعنى، مع اختلاف القول والعمل، أبو الحسن الأشعري من كبار تقديم العقل على النص، من خلال التأويل للأسماء والصفات لله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فهو يقول في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾]الفجر:٢٢[، أي جاء أمره.

وفي قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾]الفتح:١٠[، أي قوة الله تعالى وقدرته، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾]النحل:١٢٨[، أي بعلمه.

وحين اشتهر، شهره المعتزلة والجهمية، وصدروه، أدرك بعد لأي: أنه مستغَل -بفتح الغين- عاد جذعة يتدبر، وينظر من خلال العقل الحر المتجرد، ووازن، ونظر أصول منهجية الصحابة وقواعدهم في هذا السبيل، سلّم أمره لله تعالى، فبان له السبيل ناهجة نهجها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ناهضة في سبيل مديم.

وحين أدرك الخلل -إذ الأصل عدم التأويل- قام فأعلن ذلك صراحة على رؤوس الأشهاد، وأمضى الأسماء والصفات كما جاءت من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل، وقد صنف كتابيه الشهرين (الإبانة) و(مقالات الإسلاميين).

فالجهد على هذا في تحليل سياقات بناء العقل وأصوله، ونهضة الحضارات عبر القرون، أن الجهد يحتاج إلى صدقٍ مع النفس، والوقوف عند سقف القدرات دون تخطيها، ذلك أن تخطي القدرات قد يجلب إلى النفس ما الإنسان بغنيٍّ عنه من التصنع، وتمثيل الرسميات في الكلام والنقاش والمحاورة، حتى لعل الإنسان قد يتخطى القول الحق، إذا كان من بجواره ذا

باع بالمعلومات والقدرات الفذة، فيرى في مثل هذا الرعونة وسبق العاطفة للعقل، فجهد مثل هذا إنما هو من المضار القاتلة في حينٍ بعيد أو حين قريب.

ولهذا إذا كان صاحب الجهد ذا عمق صادق حي متين، فيه من التجرد بقدر ما فيه من حب الخير المطلق، كان هذا أجدر بصاحبه أن يكون من الخالدين، ولو برأي واحد مثلاً أو كتاب قويم.

والجهد من صفات العقل ما لم تخالطه رعونة وجموح، فيكون هذا من مخادعة النفس للعقل وحيلها، حتى تسير هي وفق المخالفة، وتمثيل دور العقل ذلك حتى تطغى عليه، فيحدث من جراء ذلك السريان صوب سراب الحياة تلك، التي هي في دائرة النفس، ورباط الهوى من حياة ليست بشيء.

المخيلة أين هي من العلماء والمفكرين اليوم؟

في هذا الجزء من هذا المعجم أحسب أن ما سوف أبثه لعامة العلماء والمثقفين ذو بال وذو نسق، مع ما سبقه من طرح سالف في حوض مليء متين.

وعلى هذا، فإني ضارب مثلاً قائمًا مثله لا يريم، ذلك حتى يتسق الوصف مع شاكلة له، لعلها موجودة عند الكثيرين.

فالمخيلة في الدراسات العلمية التجريبية أوسع من العقل، أعني تصوره ورؤاه ومناحيه، ولهذا يجب أن تكون المخيلة تحت المراقبة الإرادية العاقلة المكينة، فإذا لم يكن الأمر كذلك ساحت المخيلة تفترض كل شيء من هنا وهناك، فلعله يحصل من جراء ذلك كل ما يزعم الإنسان أنه صالح وليس بصالح، أنه نافع وليس بنافع، أنه صواب وليس بصواب.

ولهذا ضبط الله عَزَّوَجَلَّ الأرض والخلق بالرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالوحي، لتكون المخيلة منضبطة، فلا فتن ولا حروب، ولا ظلم ولا بغي، ولا فاحشة، ولا كبر أو حيف، انظر حال كل أمة قبل بعثة كل رسول إليها، كيف هي؟ ثم أعد النظر بعد ذلك بضابط العقل الحر المتين؟

فما هي المخيلة على أساس مشابه قريب؟

1. المخيلة: شيء معنوي، تتولد منه كافة التصورات.
2. المخيلة: عمى البال عن الصواب، مع سعة النظر في هذا.
3. المخيلة: سعة استجلاب الحالات الافتراضية.
4. المخيلة: قوة التصور، وسعة الأفق غير المنضبط.
5. المخيلة: مأخوذة من التخيل، فقد يكون الشيء لا شيء.
6. المخيلة: توليد الأفكار والرؤى الآحادية.
7. المخيلة: تخيل ما لا يمكن غالبًا قبوله عند التدبر وحكم العقل.
8. المخيلة: ضرب الأمثلة والصور، دون ضابط صحيح.
9. المخيلة: التصور التلقائي الذاتي، وجلب التهويل.
10. المخيلة: افتراض الصور والحالات، لتركيب الحكم، دون بلوغ درجة الاجتهاد العلمي، ودرجة الاجتهاد العقلي.

صورة غالبًا إنما تكون لدى بعض العلماء والدعاة والباحثين، وبسبب هذه المخيلة يقع الخلاف.

11. المخيلة: الصور الذهنية المطلقة المتشككة، دون رقابة جيدة من الإرادة الواعية.

وهذه الحالة يقع فيها من لديه بعض الأمراض النفسية، خاصة من ذوي الضلالات الذهنية، وهذا النوع قد يتعب كثيرًا الأطباء في الوصول معهم إلى علاج، وليس هذا محل بيان مثل هذا.

وهناك صور للمخيلة لست بجالبها، تركتها لأنها لا تصلح للطرح عيانًا، لكن يجوز القيام بذلك في المؤتمرات أو الاجتماعات المغلقة.

وكصورة من صور جنوح المخيلة غير المنضبطة، وصورة منها منضبطة، أورد ما كنت قد دونته في مذكراتي الباكرة، (نقلاً عن كتاب السيكلوجية النفسية)، فقد كتبت ما يلي: إن التلميذ الذي ينتظر أن يعاقب بضربات العصا، يقاسي في مخيلته مئة ضربة، وسيتعذب دون فائدة. إذا كانت دعوت لغير هذا، ولكن إذا كان هناك تلميذ ذو مخيلة أكثر نظامًا، فإنه يرفض أن يترك أفكاره تتوقف عند هذه المسألة، حتى يبلغ غرفة المدير.

إن القلق هو الذي يؤذي، والقلق هو المخيلة، والمخيلة لا بد أن تخضع للمراقبة.

وهذه الحالة هي ما أدعو إليها دائمًا لنوجد الشخصية السوية في هذه الحياة،

وفي كثير من سور القرآن خاصة براءة والأنفال والنحل والإسراء والشعراء والقصص ويس وخاصة سورة نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وفي ترجمة معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري وأبي عبيدة عامر بن الجراح وابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ شيء تجده من حال جليلة، من نسق عال، من شخصية متزنة على حالة قائمة، من مخيلة متسقة بينة، ولذلك حصل الجمع لديهم بين الرواية والدراية، فجاء التجديد. من خلال سياسة الحكم و الإدارة والقضاء والفتيا.

وقد نظرت ترجمة إبراهام لنكولن وترجمة روزفلت، فوجدت أن المخيلة لديهما ذات مسار متسق مع عقل دنيوي، ولهذا كانت رئاستهما حسنة على السلم العالمي.

ومن هنا أذكر أن دور المستشار المكين الرزين ثقيل العقل هو ما تنضبط به مسار الحياة، وهذا ما ألمح عليه ابن عساكر في كتابه الخالد (تاريخ دمشق).

ولعلي أذكر من نوافل القول: إن الصبر الواعي الفطن للأكدار مع المنغصات مع التأقلم معها، هو من معاني: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠﴾]يوسف:٩٠[.

حاجة كبار العلماء واللغويين إلى هذا

في خضم طغيان الثقافة المطلقة والأيديولوجيات المتنوعة، في وسط يحتاج فيه العلماء وغيرهم من اللغويين والنقاد وصناع الأدب إلى تأصيل أصول العلم وضبطها، بعيدًا عن عجلة الطرح دون هذا وذاك. وهنا أبيّن ما يلزم التنبه إليه، من ضوابط اللغة ومراميها بجانب النحو، ويظهر لي أنه حتى يكتمل العقد، فإنه من ضرورة تغذية العقل العلمي، أن يعاد إلى ما كنت قد أشرت إليه بشيء من طول النظر. وهنا أبيّن بعضًا مما رأيت، أن يكون تكملة لما سبق، فأقول -وبالله عَزَّوَجَلَّ التوفيق- وأبين ما يأتي:

1. لم يظهر لي بسند صحيح أن أبا الأسود الدؤلي الذي توفي سنة **67** هو من وضع بدايات علم النحو. نعم هناك روايات، لكنها تحتاج إلى سند صالح، ولم أعثر -حسب تطاول بحثي في علم الأسانيد، والجرح والتعديل، وأساسيات نشأة اللغة ونشأة النحو- أن الأمر كذلك.

ذا لا يقدم ولا يؤخر شيئًا ذا بال؛ فعلم النحو وعلم اللغة معروفان عن طريق الاستقراء والتتبع المكيث لتاريخ النشأة.

2. الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام في اللغة وأصول النحو، وهو -حسب تحليلي النفسي لشخصيته- من ذوي العقول الصافية، وله حسن تصوُّر جيد، وسلامة آلة ذهنية عالية الاستقراء، وكان كثير الصمت، شديد الحياء، بعيدًا كل البعد عن العناد وسوء الخلق في الرد أو النقاش. والفراهيدي توفي سنة **175**، وجاء في زمن نهضة هذه الأمة المسلمة رواية ودراية، وكان قد تتلمذ على العالم المحدث، الذي روى له المحدثون الإمام أحمد بن سلمة، وهو ثقة ثبت حجة؛ فاكتسب الفراهيدي منه حسن التلقي

، والدل، وجودة استنطاق الآثار. وقد تقدم على ما سواه في وضع أسس علم اللغة والنحو، بل هناك من قال: إنه من وضع أصول علم النحو؛ إذ استفاد من حماد بن سلمة وغيره من علماء الحديث.

3. اللغة والنحو مثلهما مثل علم الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم الطب، كلها من صفات العقل الحر المستقر على الفطرة والصواب، مما تقبله العقول، وتقره السجية وطبيعة الخلق. تلك التي تقود صاحبها إلى الحق، دون افتراضات خيالية أو تخيلية، تؤدي بصاحبها إلى اللامنظور؛ فيتيه بغياهب الظنون والوساوس؛ ولهذا إذا لم يكن

الإنسان لديه استعداد عقلي لعلم النحو أو اللغة أو الحديث، فإنه هنا قد يميل إلى كثرة الطرح، ومجرد النقل والعرض، دون إضافات نوعية، إنما مجرد الخطاب المباشر، وهذا اليوم شبه منتشر.

4. اللغة دون شك هي أرض العلم، ولا يستقيم العلم إلا من خلالها. وعلم دون لغة ليس بعلم؛ ولهذا لما جاء الإسلام، وحرر العقل من رباط العصبية، وتوجهات الاعتزاز الضيقة، توسعت اللغة، وانتقلت من حياض جزيرة العرب إلى آفاق الأرض، حتى لقد تعلق بها، وتولع كثير من المسلمين؛ فجددوا في آفاقها وزواياها.

ر مشهود في أسفار الأولين، وطرس الآخرين.

5. لعل السبب في وقوع كثير من الاجتهادات العلمية واللغوية والنقدية الخاطئة مع وجود مراكز وهيئات ومجالس علمية ولغوية. لعل السبب يعود إلى العجلة في حب الوصول إلى النتيجة، كما يعود إلى كثرة النقولات والإيرادات. هكذا دون تأنٍّ وطول بال مكين. فقط الذي لاحظته هو الترجيح لقول على قول، ورأي على رأي، وليس ثمة رأي اجتهادي لم يسبق إليه؛ وهذا ما جعل العقل يغيب جزئيًّا، وتحل محله العاطفة. حتى لقد حدثني بعض الدارسين في كثير من الجامعات العربية: أن بعض المدرسين إنما يلقون المحاضرات مكررة دون توثيق لما ينقلونه، خاصة قواعد وأصول العلم،

غة والنحو والبلاغة، وكذا علم أصول الفقه والإدارة والطب. وهذا يجعل كثيرًا من الطلاب بضاعتهم مزجاة. أقول ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ١٤﴾ [فاطر:١٤].

6. ولهذا أرى على وزارات التعليم والمعنيين من العلماء المسؤولين -حسب تجربتي واستقرائي لتجديد كبار العلماء، كصاحب المغني، وصاحب المحلى، وصاحب المجموع (أعني النووي)، وكذا السرخسي صاحب المبسوط، وكذا القرافي والمازري وابن فرحون والشاطبي وابن حجر والعيني والسيرافي وابن رجب- أنه لا بد من تفعيل العقل، للإضافات السبقية النوعية شيئًا فشيئًا، حتى لو تأخرت كثير من البحوث والدراسات العلمية؛ ذلك أن التجديد النوعي والقفزات السبقية هي -دون شك- محط النظر في العصر الحديث.

فالحاجة هي الرغبة.

وحاجة: طلب.

وحاجة: مطلب.

والحاجة: المبتغى.

والحاجة: الشيء المراد.

وحاجة: مقصد.

وحاجة، ويحتاج: أراد، ويريد، وينشد.

والحاجة: الهدف المطلوب.

والحاجة: ما يحتاجه المرء.

. وأصل هذه المفردة ثلاثية الأحرف (حاجة)، والحاجة تختلف من إنسان إلى آخر، حسب مطلب كل واحد.

الـتـنـويـن مـثـا لاً

يُعدُّ التنوين أصلاً من أصول دلالة اللفظ، أو إن شئت قُل: الكلمة على مراد المتكلم؛ ليفهم السامع، أو يفهم القارئ، المعنى الذي لا يراد غيره، وذلك ما لم يصرفه صارف من اللوازم عن معناه الأصلي، إلى معنى آخر بدلالة الحس، أو بدلالة الظاهر، أو بدلالة معنوية ذات عمق، تعني هذا دون سواه.

وهذا الذي كنت أوصي به العلماء والباحثين وصناع الثقافة في العالم العربي في كثير من الندوات واللقاءات وكذلك البلاد الإسلامية.

والتنوين في غالب أموره كلها، إنما يختص بالاسم دون سواه، كما ذهب إلى هذا ابن معطي وابن مالك وابن جني وسواهم

والسيرافي ومن أئمة الحديث كثيرون. وقد بينوه في أثناء شروحاتهم للآثار الصحيحة، النووي على مسلم، وابن حجر والعيني وابن رجب على البخاري، وابن قيم الجوزية على أبي داود. وأبو داود اسمه سليمان بن الأشعث. بينوه من حيث دلالة المعنى دون شرح لفظي؛ لأن هذا ليس المقصد عندهم. ولعلي هنا -وحسب نظري العام- للتذكير بما يحسن نحو التنوين، أن أبيّن شيئًا من ذلك، لكن على سبيل الاختصار. وهذا كما يأتي:

أولاً: هناك تنوين التنكير، لكنه عند أئمة النحو قليل، وهو التنوين اللاحق والملازم للأسماء المبنية.

ولكن هناك مَن فرق بين المعرفة والنكرة في الأسماء المبنية، وهذا الذي كنت أود نظره من الباحثين واللغويين والعلماء الشرعيين، الذين يتولون البحوث والدراسات العلمية.

وقد قال ابن عقيل، ووافقه قوم آخرون، وضربوا مثالاً على هذا (مررت بسيبويه، وبسيبويه آخر)، ويقصد ابن عقيل هنا، كما في شرحه على ألفية ابن مالك **(117-19)**.

يقصد أن سيبويه الأول في المثال هو الإمام المعروف، ويقصد بالثاني المنكر سيبويه لرجل اسمه كذلك، لا يمت للعلم بصلة.

قلت: وهذا مقارب ما لم يكن هناك شبيه للاسم المبني المعرفة بنكرة، لكنه معروف، فيكون هذا من باب الترادف للأسماء. ولم أقف على من أشار إلى هذا.

ثانيًا: وهناك أيضًا تنوين العوض، وهذا التنوين عندي مشكل؛ لأن هذا التنوين يتداخل مع أشياء أخرى، ليس هنا محل شرحها أو بيانها وأمثلتها في هذا المعجم. وبالله التوفيق.

أقول: إن تنوين العوض -وهو الثاني- يراد به تعويض شيء عن شيء. تعويض حرف عن حرف، أو هو تعويض تنوين عن حرف، كان من حقه أن يذكر. وأبين ما يأتي:

أولاً: تعويض عن اسم، وهنا يلزم كما حكاه غير واحد أن يكون لاحقًا (لكل) مثال (كلٍ آتٍ) أو (كلٍ واعٍ)، ونحوهما على هذه الصيغة. قال ابن لحيدان: وأنت ترى قارئي العزيز أن (كل) جاءت في هذا النسق تعويضًا عما تم من الإضافة، وبيان هذا في الآتي:

(فكلٍ آت) أريد كل فاضل من الناس آتٍ، و(كلٍ آتٍ) أريد كل غائبٍ آتٍ. وهكذا.

ثانيًا: وهذا يكون العوض فيه عن حرف، لكن في غالب هذا النوع من التنوين، إنما يكون الحرف حرف علة، نحو: (رعيت مواشٍ كثيرة)، أريد رعيت من الرعي المواشي بهيمة الأنعام، فحذفت الياء وتم التنوين عوضًا عنها (مواشٍ)، لكن في النوع الأول المحذوف هو الجملة. وباب هذا مطرد. وفي القرآن الكريم وفي الآثار الصحيحة أمر هذا وافر.

ثالثًا: وهناك نوع دال على بلاغة القرآن وسبقها وقوتها، وكشف مثل هذا في سياق الدلالات اللفظية، يبيّن أن اللغة والنحو كلاهما موهبة، وقد ينفع في هذا الاكتساب مع ضرورة وجود الاستعداد للتلقي العقلي، والفهم الصحيح السالم من العجلة. وهذا النوع تنوين عوض عن الجملة لدلالة الحرف عليها، ويدرك هذا بضرورة دلالة القرينة. مثال ذلك: (حينئذٍ) المراد حين نظرت العلم وفهمته علمت، فكأن حين وما بعدها هذه الجملة جاءت إذ في حينئذ المشتركة مع الظرف حين، لتكون عوضًا عما تم حذفه، ويفهم بالسليقة.

رابعًا: ومن التنوين -وهذا هو الأكثر في كل سياق لغوي- تنوين التمكن أو التمكين عند المتقدمين. قلت: وهذا يختص بالأسماء (المعربة) ليس إلا؛ فهذا لاحق لها، لا ينفك عنها، إلا بصارف موجب، لا محيد عنه. ومثاله (جاء أحمد)، (مررت بعلي)، وشبه هذا.

وقد ضغط ابن هشام في أوضح المسالك الكلام حول هذا، لكنه قصر كلامه على قواعد، ليته شرح وأبان، ولا سيما وهو من أئمة النحو، وكلامه يخاطب العقل ويبعثه؛ ولهذا جاء كلامه أشبه ما يكون بالأصول.

وأنت ترى أنني تكلمت عن هذا الباب من أبواب النحو؛ وذلك لزهد الكثير اليوم عن هذا العلم، حتى لقد وقع البعض في أخطاء جسيمة مع أن بعضهم من العلية وأهل الثقافة والعلم والنقد.

والمراد بالنحو أنه:

1. من نحا ينحو: يتجه.
2. نحا: صوّب بتشديد الواو.
3. ونحا: اتجه وقصد.
4. ونحا: بيّن بتشديد الياء.

مؤتمر اللغة العربية الدولي

استعرضت ما تم عرضه علي في المجلس العلمي الخاص لفعاليات المؤتمر الدولي الأول اللغة العربية والنص الأدبي على الشبكة العالمية، الذي قامت به جامعة الملك خالد في مدينة أبها، ممثلةً في قسم اللغة العربية بكلية العلوم الإنسانية، وذلك خلال يومين فقط من **17/ 5/ 1438** حتى **19/ 5/ 1438**.

ولقد وجدت أن المؤتمر توصل إلى (إحدى عشرة) توصية بالغة، ذات أهمية بالغة، حسب ما فهمت صوب اللغة وآدابها.

وحقيق بي بعد نظري لذلك: أن أشيد بهذا اللقاء الجيد، الذي أعده ندوةً عالية القيمة، في المسار اللغوي ذاته، المطلوب في مثل هذا الوقت، الذي لم أر خلال عصور خلت أحوج منه إليها.

ولست أشك بقدرة المستمعين، وثقل دورهم واجتهادهم الذي طرحوه، من خلال ذلك الاجتماع، مما عرض عليَّ في المجلس العلمي، الذي نظرته مرة أخرى في المجلس القضائي الخاص، والذي فيه ما ظهر لي، وما وجدته من ضرورة، كي أعيد القراءة مرة ومرة.

لقد استعرضت التوصيات الـ **(11)**، فوجدتها بعد تأمل، أن ذلك تكرار بأساليب مختلفة، بين هذا المؤتمر، وبين بعض ما طرح في كثير من الندوات العلمية أو اللغوية.

أولاً: فخذ مثلاً التوصية الثانية: (اعتماد اللغة العربية الفصحى في كتابة المدونات الإبداعية والنقدية وصياغة المصطلحات والمفاهيم).

ثانيًا: ومثل ما جاء في التوصية **(7)**: (تعميق العلاقة بين المختصين في الدراسات اللغوية، والمختصين في البرمجيات، لتحقيق أهداف علمية وتعليمية).

ثالثًا: ومثل ما ورد في التوصية الأخيرة **(11)**، ونصها: (تنسيق الجهود بين المؤسسات العلمية، لتوحيد ضوابط التوثيق والأرشفة على الشبكة العالمية).

رابعًا: وما لفت نظري هو ما جاء في التوصية رقم **(1)** تقول: تلك (الدعوة إلى إقامة فعاليات علمية، تواصل ما طرح في المؤتمر من دراسات وأبحاث علمية جادة.

وهذه التوصية تدخل في باب الملاحظات على مسار نظره، لتبادل المعلومات، وجلب الآراء والاستدراكات، حيال ما طرح في هذا اللقاء، إنني وسواي من المختصين حينما نستعرض مثل هذه التوصيات، نجدها خرجت من خلال جهد جيد، وهي محاولة لتلمس ما تحتاجه اللغة العربية وآدابها، من باب الشعور بالمسؤولية، تجاه أمر يحسن أن يكون ويدوم.

ولست بباخسٍ (جامعة الملك خالد) حقها، وما قام بها قسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم الإنسانية، ولكن الذي آخذه على هذا الاجتماع، هو كما قلت آنفًا: (التكرار) (الاختلاف حول التسمية اللغوية عبر وسائل التواصل الاجتماعي).

ولست أدري، هل تم الاتفاق على تعريفٍ حول هذا، أو لم يتم؟

إذ لم يرد هذا من خلال التوصيات، مع أنني أراه من اللوازم، فحبذا توضيح ذلك لعموم الفائدة.

ومن نافلة القول أن أقول: لم أجد ضرورة التنسيق من الجامعات العربية والإسلامية ممثلةً في أقسامها اللغوية والعلمية، ولم أجد كذلك الإشارة إلى الوزارات العلمية المهتمة، لإثراء هذا الاجتماع الحيوي.

كما أنني لم أجد -وهذا أمرٌ أراه ضروريًّا- التوصية برفع تقارير، ولو كانت سنوية عن مستجدات اللغة، مما قد يتم طرحه من ندوات أو مؤتمرات.

يبدو لي أن هذا الاجتماع الجيد فقد شيئًا من ضرورة التأني وسعة البال، حيال النقاش العقلي نحو اللغة وآدابها، لا القلبي، لحاجة اللغة للحماية، ووضع تنبيهات لمن قد يقع منه خللٌ من المعنيين في مجالات العلم واللغة والأدب والبحوث، ذات الاعتبار في مثل هذا، لا سيما الحرص على صحة الآثار، وذلك بصحة الأسانيد، ومعرفة حقيقة أصول الجرح والتعديل، وما يتم نقله في مطولات المصادر.

كما أنني بعد دراسة متأنية للتوصيات لم أجد ذكرًا لضرورة الإضافات النوعية في التوصيات، ولا فيما طرح، وهذا أمرٌ لو حضره مثلاً الإمام (حماد بن سلمة) شيخ الخليل بن أحمد الفراهيدي، أو حضره الإمام اللغوي المحدث (العيني) شارح صحيح البخاري، أو حضره على سبيل المثال (ابن جني) أو (السيرافي) شارح كتاب سيبويه. أقول: لو حضروه جدلاً لجعلوا الإضافات النوعية غير المسبوقة، لجعلوا هذا كله أصلاً من أصول القصد في هذا الاجتماع، أو غيره مثله، لهذا فنحن أحوج شيءٍ إلى التجديد والطرح العلمي، القائم على سوقهِ، ليبقى خالدًا، لقوة ما يرد من آراء وتوصيات، لم تطرح من قبل.

فلعل هذا الاجتماع اللافت للنظر علميًّا ولغويًّا يكون مقدمةً لآخر مثله، لكن برؤية تجديدية نوعية، وبسعة بال متين، وطول نظر ثقيل، وتوصيات قوية، لم تطرح من قبل، يحتاجها المشهد العلمي، كما يحتاجها المشهد اللغوي، وكذلك المشهد الأدبي، ليتفاعل الكل نحو إضافات، أعتقد أنها موجودة، لو جذرنا التأصيل والتقعيد، وتحفزت لدى البعض الموهبة، ليكون الأمر على صبغةٍ قوية، يذكرها كل أحد، عبر تطاول العهود، وما التوفيق إلا بيد الله.

أيـن الـخلـل الـلغـوي، وصـورتـه؟

موازين اللغة هي الأصول التي يُعرف من خلالها معاني الأسماء واللغات، ومرادف الأسماء، ليصل العالم والباحث إلى مراده، مما أراده منها، ليبني على كل قول من: نظرٍ وبحثٍ ورأيٍ، وكل ما يهدف إليه، ليبني الفهم الذي يريده، سعيًا للفائدة المرجوة.

ولهذا لا يمكن الاستغناء بحالٍ عن هذه الموازين، ولو قال من قال ما قال، وإذا كان الصرف بابًا مهمًّا، فكذلك الحال لموازين اللغة.

وإذا كان لا يثبت الحديث أبدًا إلا بصحة السند قطعًا، فكذلك اللغة.

من أجل ذلك، فاللغة لا يمكن تركها هكذا، يكتب عنها، ويؤلّف كل أحد، ويتحدث عنها، ويناقشها، ولهذا خلال العهود المتطاولة من سنة **70**هـ حتى **500**هـ قام العلم، وقامت اللغة بالمسار ذاته، لا يحيد حتى ظهر (التنوّع الإضافي)، الذي بسببه. فضلاً من الله تعالى. ظهرت الإبداعات الإضافية، التي لم تكن من قبل.

هذا أمر. لا جرم معلوم من حال اللغة بالضرورة، ناهيك أنها أمانة يقوم عليها الوحي المنزل، وما صح من السنة المباركة.

وحتى يتبيّن خلل يرونه هينًا وهو ليس بهيّن، بل هو عظيم، أُوردُ شيئًا في هذا الجزء من (المعجم) عبره، لندرك معًا كم هو الخلل الذي قد حصل.

يُرددُ بعضُ الكتاب والوعاظ والمحاضرين مثلاً:

أ. أسفتُ بفتح السين.

وهذا خلل، إنما ذلك بكسرها، بمعنى الاعتذار.

ب.

الآمدي الإمام المعروف، هناك من يكسر الميم، وإنما أصل ذلك ضمها (الآمُدي).

ج.

الآجري الإمام المعروف، فهناك من يضم الجيم، ويخفف الراء.

وإنما ذلك بتشديد الراء المكسورة.

د.

﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾]الصافات:١٠٧[، فهناك من يقرأ هذه الآية بفتح الذال، وتسكين الباء.

وإنما ذلك بكسر الذال، وتسكين الباء صحيح.

هـ.

﴿ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ ﴾]البقرة:٢٤٩[،فهناك من يفتح الغين، والصواب بضم الغين، وتسكين الراء.

و.

العالية. والعلو. فهناك من يُشرك بينهما، وقد جرى هذا من أحد العلماء، فالعالية نسبة إلى مكانٍ، أو السطح العالي، أو الغرفة، أو تضاف إلى شيء معين، فيقال مثلاً: الدرجة العالية. أو المنزلة العالية.

أما (العلو) فهو مُطلق الارتفاع، ولا يحسن بأحدٍ الخلط هنا، وذلك لاختلاف المعنيين.

ز. السنة. والعام. فهناك من يوردهما هكذا، ويضع هذه مكان تلك، وهذا في العموم الغالب خطأ. ذلك أن دلائل اللغة. والأسماء والأوصاف لا تُعطي مكان الاتفاق بينهما، وفيصل هذا أن:

العام غالبًا يكون للخير.

والسنة غالبًا تكون لقحط، أو فقر، أو مرض.

ولهذا يقع كثير من خطباء الجوامع والباحثين والكتّاب في دائرة ما لا يجب أن يكون.

ح. المقدس بضم الميم، وفتح القاف. فقد قرأت وسمعت إطلاق هذا الوصف على أماكن خلا بعضها من (القداسة)، ولم يرد فيه نص صحيح، وقد عبت كثيرًا على من ألتقيه، وينطق بمثل هذا، مثل:

قُم المقدسة.

كربلاء المقدسة.

النجف الأشرف.

إلخ.

وهذا الوصف يعتريه الكذب قصدًا من قائله وكاتبه، وقد يدعو الجهال فعلاً إلى التبرك وقصد الزيارة، فيقع في الشرك.

والمراد (بالمقدّس) المنزه من كل عيب، والمنزه من كل نقص. وهذا يحتاج إلى دليل منزل، ولا دليل.

ط. البغاة. البغاث. هناك خلط مُسف بينهما، لكنه خلط مشكلته أنه يقع من بعض ألومه، وبيان هذا ما يلي:

البغاة: هم أهل البغي الخوارج، وكل من بغى على غيره.

وأما (البغاث) فهذا وصف للكثرة، مما لا نفع فيه أو قوة. أو منظر، كما تقول: (بغاث الطير)، مثلاً.

ي. الطاهر. الطهور. حقيقة الأمر أنه لا فرق بينهما، لكن الفرق يتبيّن بالوقوف على المعنى.

فالطاهر وصف مطلق، يوصف به الرجل النزيه أو الأمين.

ويوصف به السكن: بيت طاهر، منزل طاهر، ثوب طاهر. إذا أردت ما يُلبس، وقس على هذا.

أما الطهور على وزن فعول. فهو وصف مستقر، يوصف به ما يمكن استعماله غالبًا، فيقال: الشراب طهور.

ويقال: الماء طهور.

لكن لا يقال: البيت، أو الثوب، أو التراب طهور، إنما (طاهر).

ومشكلة هذا أنه مشكلة، فلست أدري؟

ولا أظنني أدري كيف يكون جعل شيء مكان شيء آخر. والمراد مختلف؟

لكن الذي أدريه أنه من ضرورة حال العلماء وطلاب العلم التنبه إلى دلائل اللغة ومرادفاتها، وما يدل عليه اللفظ من معنى دون آخر.

حاجة كبار العلماء واللغويين إلى هذا

لست بزاعم -كلا- أنني آتي بالجديد من قواعد وأصول تجاههما، لكنني حينما رأيت القوم يجنحون نحو السرد النسقي المتكرر والطرح الإنشائي، ومجرد بذل الوعظ دون تجذر للتأصيل والإضافات النوعية.

رأيت أن آتي بشيء لعله يسهم في عودة الروح إلى الشعور بالمسؤولية، نحو العلم واللغة، فلعله يجدي، ولعله يفيد، وها أنذا أذكر ما جد لي في هذا المسار.

أولاً: ليس كل الذين صنفوا وأفنوا دهرًا من العمر بقيت آثارهم مما سطروه، فكم كان في زمن القرافي وابن فرحون والشاطبي والآمدي كم كان في زمنهم من علماء وباحثين، لكنهم ليسوا سواء، إذ لم يبق لهم ذكرٌ، الا من خلال مجرد المعاصرة، وفي كل خير إن شاء الله تعالى.

ثانيًا: وكم كان في زمن البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه وخلقٌ مثلهم، وكم كان في زمن سيبويه والفراء والمازري والسيرافي وابن معطي، كم كان في زمنهم من العلماء، الذين كان يشار إليهم بالبنان، لكنهم كما سبق أن ذكرته، قد عفا عليهم الدهر.

ثالثًا: وكم كان في زمن ابن خلدون، ومن الفقهاء ابن قدامة وابن رجب وابن قيم الجوزية، ومن كبار المترجمين المزي والذهبي وابن كثير، وإن اختلفت الفترة بين هذا وذاك، كم كان مثلهم يعاصرهم، فيصنف ويبحث، بل ويكثر من هذا كله، لكن أين هم يا ترى؟

وقس على هذا مثله، فسوف تجد لونًا من أناس عاشوا، لكنهم لم يعيشوا كما ظنوا، لا بسبب شيء، لكن بسبب تكرار النقل والحواشي والآراء الجريئة، التي ظنوا أنها صحيحة، فإذا هي تذهب في مهب الريح.

رابعًا: وهذا في ظني منهم أشبه ما يكون بالمعاندة للفطرة، فقد ظنوا أن ما كتبوه من آراء جليلة وقواعد جليلة، فصدقوا أنفسهم، وساروا على منهاج ليس بمناهج، ولا يقوم، وهذا أشبه اليوم بما يقوله دومًا محمد أراكون والجابري، وما يذيعه كثيرًا بجرأة عجيبة عدنان بن إبراهيم المعروف، والذي خطَّأَهُ كثير من العلماء إيراده كثيرًا من الأحاديث والروايات الضعيفة عن الصحابة وسواهم، ومثله اليوم كثير.

خامسًا: ولعل السبب حسب تحليلي للطبيعة الخليقة أن العلم واللغة صفتان ثقيلتان من صفات العقل السليم الصافي، فلا ينفع في هذا ولا ذاك مجرد السرد للغة، ولا للعلم، ولا للروايات: روايات للآثار. أو القواعد: قواعد اللغة، بل النافع بإذن الله تعالى شدة التأني، وشدة التوقي، ونسف الاتجاه بشدة نحو (الأنا)، والسير حثيثًا نحو التشبع، من خلال العقل، تشبع فهم صحة الآثار، المنقولة لعلم اللغة وأسانيدها، وحقيقة علمائها، الذين تركوا النقولات عمن سبقهم، وفهموه وعكفوا عليه، ولم يرضوا مجرد النقولات فقط، إنما لاحظوا بحسن خلق وحسن تدبر مكيث، ثم فعلوها، فعلوا الإضافات غير المسبوقة في المسارين معًا: (العلم واللغة).

سادسًا: ولهذا كان التجديد في ذلك الحين، ولو جزئيًّا في باب من أبواب العلم، أو في باب من أبواب اللغة، كان التجديد هو ما أرادوه دون تخطئة لمن سبق أو تجهيل، بل ذكروهم بخير وأدب، مع أنهم قد بزوهم إلى اليوم بإضافات لم يكن لها مثيل.

سابعًا: أقول: ليس بصالحٍ لعلم اللغة، أو العلم بوجه مطلق، كثرة الكتابة والمواعظ والنصائح، إنما الصالح هو حسب قراءاتي لسير الذين غيروا مجرى التاريخ هو قلة الكتابة، وعِظم أدب الحوار في أثناء الجدل، أو النقد والترصن لهيبة العلم، ولهذا جاء في الصحيح: «ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»[19]. «فأوغلوا فيه برفق»[20] ذلك أن من يتعجل الكتابة أو الطرح في الصحافة أو المجلات المحكمة أو المؤتمرات العلمية أو القضائية يظن أنه هو هو، فيوغل في هذا الباب عميقًا عميقًا، فيخال أنه كذلك، يخال أن آراءه صحيحة مقبولة، فيسير صوب هذا المسلك، ثم هو مع الأيام يزري، وانظر فقط ترجمة الجهم بن صفوان الترمذي، أو ابن سبعين، أو إن شئت الحلاج، وسواهم خلق دون خلق، عبروا وهم يعبرون.

ثامنًا: وواسع ما فعله السيرافي في هذا الباب في شرحه (كتاب سيبويه)، لتجد الفرق بين عالمٍ وعالم، ومصنف ومصنف، ثم لعل الذهبي في نسق مختلف، عبرت عليه القرون، حينما ترجم لكل فئة بعينيها، لترى من خلال ذلك الفرق بين قوم وقوم آخرين، ولست بضنين على أحد، إذا ذكرت كتاب (سير أعلام النبلاء)، ناهيك ما أضافه ابن كثير في تاريخه، وكذلك ابن الأثير في (الكامل)، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾]فاطر:١٤[.

تاسعًا: لا يمكن للعلم أن يقوم إلا بإذن الله تعالى، ثم بعلم اللغة والنحو، وبعلم البلاغة جنبًا إلى جنب، لا يمكن هذا، فإن أنت تخطيت قولي هذا، حينما تكتب آراء لغوية أو أطروحات علمية، فإنك سوف تقع فيما لام به ابن الجوزي في كتاب (الموضوعات)، وكذا ابن قيم الجوزية في كتابه (المنار المنيف)، ثم تلاهما بعد ذلك مصطفى بن صادق الرافعي في كتابه (تاريخ الأدب العربي)، والآخر (وحي القلم)، ولحقه الباحث المجدد محمود شاكر في كتابه (المتنبي).

عاشرًا: وإنما قصدي فيما قصدت: أن الأدب، وحسن الخلق، والتواضع للعلم واللغة، وقوة الفهم السديد، والسعي نحو السبق النوعي، هو المطلب في هذا الحين، الذي ينشد فيه صاحبه نوعًا جديدًا من الطرح، ولعلي أهدف من وراء هذا في هذا الجزء الثالث وما سبقه، أن تقوم الهيئات العلمية والمراكز، وما يعقد من مؤتمرات، أن تقوم بدور فعال، صوب التجديد والقفزات النوعية تلك، التي ينشدها العقل، ويسعى إليها الفكر، ويسعى إليها الرأي، للوصول إلى الجديد من خلال هذه المؤسسات، التي سوف تكون ردفًا محمودًا للعقل المتكامل في تصوره وتطلعاته.

الـثـورة الـنفسيـة على الـخوف

قد أكون أحببت في هذا الجزء من (هذا المعجم) توضيح أمر مهم وتفسيره في مجال حياة الإنسان، أيّ إنسان، ولكون هذا الأمر قد يكون خافيًا إلى ما شاء الله تعالى، فإنه من خلال بيان المعاني وحقائق المفردات يكون واضحًا، حتى لأولئك الذين لم يعطوا نصيبًا من فهم، يجعلهم يدركون معاني المراد على كل حال، ومن هذا أبيّن حقيقة الخوف ودوره في حياة الإنسان. فأبدأ قائلاً:

1. يقال: خاف يخاف خوفًا. إذا ارتاب وضعف.
2. وخاف: توجس همًّا.
3. خاف: إذا ارتاب من شيء لا يدريه.
4. خاف: عند مقارفته شيئًا يخشى عقوبته.
5. خاف: اضطرب، كذلك قال الأقدمون.
6. خاف: أصابه الجزع عن المقاومة.
7. خاف: ذُعر، (بضم الذال).
8. خاف: استسلم فرقًا. قلت: وهذه نتيجة.
9. قلت أيضًا: الخاء والألف والفاء (حروف أصلية)، المراد: جبن عن الرد، ما لم يكن من باب الدهاء، وسعة الحيلة.

والخوف على هذا أنواع، وليس هنا موضع بسطها، ولكن سوف آتي على بعض ذلك بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

1. فهناك الخوف من الفقر.
2. الخوف من مرضٍ ما.
3. الخوف من الموت.
4. الخوف من المرتفعات.
5. الخوف من السفر.
6. الخوف من الظلام.
7. الخوف من العدو.
8. الخوف من تسلط الزوج أو الزوجة.
9. الخوف من الغرماء بعدم القدرة على رد الحقوق.
10. الخوف من الصاحب الأحمق، أو الصديق الذي لا بد من صحبته لقواطع الضرورة.
11. الخوف من العمليات الجراحية.

12. الخوف من عدم القدرة على القيام بما وكِل إلى الإنسان، وهذا من باب التوجس والكلام.

أقول: والخوف إنما ينشأ من التوقع، وإلا فلو أحصى المرء ما خاف منه ويخاف، لوجد أن قرابة **99 %** لم يحصل، ولكن ذلك من دفاعات النفس اللاشعورية، وهو كذلك من احتياطات العقل. لكن هناك خوفًا مرضيًّا، وهو ما يجب التنبه إليه كثيرًا، لأنه إذا تراكم لا شعوريًّا، ولِد هذا دوام النكد والشكوك، حتى في أقرب الناس، وهو يولد بجانب هذا النكد وعدم الثقة في النفس.

والخوف هو المرض. والمرض يولد القلق، ويجلب الاكتئاب والانزواء، فمن هنا يجب طرد الخوف أولاً بثورة نفسية واعية مدركة، ودوام تنبه إرادي جيد، ورؤية الحياة من خلال التفاؤل، والطموح الجيد المتوازن، والعلم بما يستطاع ويقدر عليه، دون ادعاء أو تهويل أو مبالغة.

والثورة النفسية الجيدة الدائمة، والتنبه الإرادي المكين، والحياة على السجية دون تكلف، أو حسد لناجح ما، أو بغي وتسلط، كل ذلك يكون قاذفًا، وللخوف شذر مذر. صدقوني الخوف هو المرض ما في ذلك شك.

الخوف قد يجر صاحبه إلى العداوة؛ عداوة البريء، والشك، وسوء الظن، وسوء التقدير، وهو جالب إلى صاحبه نسيان فضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عليه، من قدرات كامنة لم يدركها بسبب الخوف. فحينما يبالغ الإنسان، ويولد لديه أحاسيس من هنا وهناك؛ ويهول كل أمر هنا، تخبو لديه الثورة النفسية، ويظل مسجونًا في دائرة الأوهام، فتتعطل لديه إمكانيات كثيرة، لم يكتشفها في نفسه بسبب الخوف.

لا جرم أن الصحوة النفسية المختارة الواعية شعوريًّا، والتفاؤل، وكسب الأصدقاء، وحسن الخلق، والتودد، وحب الخير، كل ذلك يفسح المجال أمام روح طيبة ونفس واعية، وعقل عميق باذل، وقد يكون بعد أصلاً في التجديد والخير.

إن ما يجب علاجه ليس هو القلق، ولا المرض الاكتئابي، ولا الظلالات الذهنية، بل الخوف نفسه هو ما يجب الثورة عليه، والإنسان كما جاء في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة طبيب نفسه، يعلم ما له وما عليه، فهو: بصير ومدرك، وله عقل يعقل به. وفكر ونظر وتمييز وفطنة، وهذا يجعله حُرًّا كريمًا طيبًا، ذا خُلق ووداعة وصدق وجد وأمانة.

ومن هنا أبين ما يلي:

1. الخوف: الوجل.
2. الخوف: التوجس.
3. الخوف: الرهبة.
4. الخوف: الانكسار النفسي بسبب شيء ما.

5. الخوف: توقع المكروه.
6. الخوف: خاف يخاف خوفًا: ذكر واضطراب.
7. الخوف: الهم من شيء ما حصل أو متوقع.
8. الخوف: اضطراب القلب، وسرعة التنفس عند حصول ما يخاف منه عادة.
9. الخوف: شدة الحذر، والمبالغة اللاشعورية.

معجم ما يحتاج إليه كبار العلماء والمحققين

هذا هو ما يحتاجه كبار العلماء والمحققين، أتلمس فيه -كما في سالفه- بعض غوامض الآثار، التي رأيت طرحها، لعلها تكون قاعدة تجدي، أستفيد منها وأفيد.

وتبعًا لذلك أورد من ذلك ما يلي:

1. قد ورد حديث، وفيه: ﴿أنت أحق به ما لم تنكحي﴾[21].

قلت: هذا الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قد رواه الحاكم وصححه، ومن قبل رواه الإمام أحمد بن محمد الشيباني، وأورده أبو داود وسكت عنه.

هذا الأثر هو من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وجده الأعلى عمرو ابن العاص.

هذا الحديث حسن لذاته، ولم أقف على سواه، تركه البخاري ومسلم وسواهما.

والحديث دال على أن الحضانة تسقط إذا تزوجت الأم، قلت: الأمر ليس كذلك، فهذا النص مقيد بعموم قواعد الضرورة، وملخص ذلك: إن كانت الأم أصلح فتكون الحضانة لها، وذلك عائد إلى موهبة القاضي والمفتي ومحقق الآثار، بجمع القواعد وأطراف الآثار، ومثل يحتاج إلى الحس الجيد، وقوة الملاحظة، والقياس المطابق.

وإن كان الأب أصلح فكذلك.

2. وجاء في حديث آخر، قد يحتاج إلى نظر، وقوة استيعاب، وجودة فطنة، جاء ﴿من تطبب ولم يكن بالطب معروفًا، فأصاب نفسًا فما دونها فهو ضامن﴾[22].

هذا الأثر رواه عبدالله بن عمرو بن العاص، قلت: في سنده عبدالعزيز بن عبدالملك المعروف بابن جريج، قال الدارقطني: هذا لم يسنده عن ابن جريج إلا الوليد بن مسلم، وقريب من ذلك قال أبو داود سليمان بن الأشعث.

والحديث حسن لذاته، إذ لم أقف على أصح منه، وإن كان حسنًا.

ومن المعلوم أن دعوى الطب، ودعوى الرقية، ودعوى العلاج بلسعات النحل، قد كثر في هذا الحين، والله المستعان.

3. ورد في أثر معروف ما يلي: مضت السُّنة في كل أربعين فصاعدًا جمعة[23].

قلت: وقد رأيت أهل البوادي وعامة العوام يذكرون هذا الأثر، فلا يقيمون الجمعة وقد انتشر هذا.

والصواب: أن هذا العمل ليس بصواب، فتقام الجمعة في أقل من هذا العدد بكثير.

وهذا الحديث لم يصح، وقد رأيت الإمام أحمد قال: في سنده من يكذب. قلت: في سنده عبدالعزيز بن عبدالرحمن. رَحِمَهُ ٱللَّهُ ترك العلماء الرواية عنه.

4. وورد في حديث آخر صحيح: كنا نجمّع ـبتشديد الميمـ مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا زالت الشمس، ثم نرجع نتتبع الفيء[24]، وهذا رواه البخاري، وكذلك مسلم عن سلمة بن الأكوع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والضمير في قوله: معه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قلت: خطبة الجمعة والصلاة إنما تكون قبل زوال الشمس، وليس كما هو اليوم في بعض البلاد الإسلامية. يؤخرون الجمعة جدًّا إلى وقت صلاة الظهر.

وهذا الأثر لم أجد له ناسخًا، ولم أجد له مقيدًا، كما لم أجد له مخصصًا، والمراد أنهم كانوا يخرجون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قبل صلاة الظهر، إذ الجمعة ووقتها بخلاف الظهر.

بل جاء عند الدارقطني عن عبدالله بن سيدان أنه صلى الجمعة قبل نصف النهار، وعن ابن مسعود وسعيد بن زيد ومعاوية: أنهم صلوها قبل الزوال.

وورد أثر انتشر عند عامة العلماء والفقهاء وبعض أساتذة الجامعات هذا الأثر: إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث[25].

وهذا الأثر ورد عن ابن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا دون النظر إلى صحته من ضعفه، وما له وما عليه عند البعض.

قلت: هذا الأثر فيه شذوذ شديد، فإنه لم ينقله عن ابن عمر إلا عبيدالله وعبدالله، فأين بقية أصحاب ابن عمر، وأين أهل المدينة؟ وعامة علماء الجرح والتعديل وعلماء الأسانيد يردون مثله.

بل إن ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (تهذيب السنن) قد أفاد، فهو يقول: إنه لم يصح في مقدار القلتين شيء ثابت[26].

والمقصود من هذا كله: إنما أردت به أن العلم موهبة، وقدرات فذة، وتفرغ مناسب، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

معجم ما يحتاج إليه كبار العلماء والمحققين

هذه آثار وقواعد، كنت قد رأيت قبلاً بثها لعامة طلاب العلم والمحققين وذوي الصناعة النقدية؛ لعلها تسهم بشيء من التأصيل والتقعيد؛ ذلك أن بعض الآثار تحتاج إلى نظر مكين، وزيادة استطراق لمعرفة ما يجري من الغوامض عليها من تقييد أو نسخ أو تخصيص أو بيان في عمق ذات الدلالة، وذلك من خلال نظر عموم الآثار، وقواعد الحديث عند كبار العلماء خلال تصرم القرون.

واللغة العربية أصل في هذه الدلالة على المعنى المراد، لكن من وجه قد يكون خافيًا على البعض.

ومن هنا أحببت المشاركة فيما عساه يجدي، ويعيد من أراد النظر إلى كتب القروم، فأذكر شيئًا من هذا على سبيل الاقتضاب:

1.

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

هكذا يرد عند عامة الفقهاء في المطولات وكتب الفروع، ويوردونه كذلك في المختصرات. وقد رأيت بعض الدعاة يوردونه هكذا، ولكن عند الجميع لا يفصلون القول في روايته.

قلت: هذا موجبه التفصيل ولا بد؛ فعمرو بن شعيب هو عمرو بن شعيب ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وتفصيل روايته على هذا النحو، فإن كان الضمير يعود إلى جده محمد فالحديث يكون مرسلاً. وتفصيل ذلك أن محمدًا لم يدرك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وإن كان الضمير يعود إلى عبدالله فيكون الحديث منقطعًا؛ وذلك لأن شعيبًا لم يدرك عبدالله؛ فتكون الرواية عن عمرو بن شعيب في حكم الحديث الحسن.

والمشكلة في هذا: أن الكثير لا يذكر هل الحديث من الحسن لذاته، أم الحسن لغيره، أم أنه في حال ضعف.

2.

ذكر أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كانوا إذا قحطوا استسقوا بالعباس بن عبد المطلب، وقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم

نبينا فاسقنا فيسقون[27].

قلت: كان هذا عام الرمادة. وهذا الأثر رواه البخاري، وهو دال على عدم جواز التوسل بالأموات.

وهذا إجماع، وما نُقل عن البعض يحتاج إلى سند، ولم أقف عليه.

.3

جاء حديث عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اقرؤوا على موتاكم سورة يس»[28].

قلت: رواه أبو داود، وكذا النسائي. وقال النسائي: صحيح.

قلت: ليس كذلك؛ فقد أعله يحيى بن سعيد القطان، بل قال الدارقطني: هو مضطرب الإسناد، وزاد بقوله: ومجهول المتن. قلت: وهو كما قال، ولم أجد له معارضًا.

.4

جاء عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرنا أن نُخرج الصدقة من الذي نعده للبيع»[29].

قلت: هذا رواه أبو داود. قلت كذلك: هذا الأثر لا يصح؛ لأن في سنده سليمان بن سمرة بن مهران، وهو مجهول؛ فلا يُعمل به.

.5

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أيما صبي حج ثم بلغ الحنث فعليه أن يحج حجة أخرى..» [30] الحديث.

قلت: رواه البيهقي وابن أبي شيبة.

قلت: الحديث صحيح، لكن علماء الأسانيد وعلماء الجرح والتعديل اختلفوا في كونه مرفوعًا. والذي عليه أهل التحقيق من كبار علماء الحديث: أنه موقوف على ابن عباس دون سواه. ووقفه هنا لا يضر؛ لأنه تقرير لحكم شرعي، والصحابي لا يقول مثل هذا من عند نفسه، وما كان كذلك عن صحابي فهو صحيح بحكم المرفوع حكمًا؛ وذلك أنه مرسل صحابي.

.6

ورد عن أم المؤمنين السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خرجنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام حجة الوداع، فمنا من أهلّ بعمرة، ومنا من أهلّ بحج وعمرة، ومنا من أهلّ بحج[31]. الحديث قد رواه بطوله مسلم.

قلت: هذا الحديث أصل في أنواع الحج الثلاثة: التمتع والإفراد والقران.

قلت: والإهلال المراد به التلبية: (لبيك اللهم لبيك). والتمتع -حسب تتبُّعي- أفضل النسك الثلاثة، والخلاف لعله لفظي.

قلت: وقد ثبت لدي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر القارنين والمفردين بفسخ حجهم إلى العمرة، من لم يكن قد ساق هديًا معه، وأوجب عليهم عند انتهاء السعي للعمرة أن يحلقوا رؤوسهم، ويجعلوها عمرة. وقال: ﴿لو استقبلت من أمري ما استدبرت...﴾[32] الحديث.

.7

ورد عند الترمذي وابن حبان أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رخص لرعاة الإبل في البيتوتة، يرمون يوم النحر، ثم يرمون الغد، ومن بعد الغد ليومين[33].

قلت: المقصود أنهم يجمعون بين رمي اليومين، وذلك بتقديم الرمي قبل يومه للضرورة القاضية. قلت: والواو هنا عاطفة، ولم أقف على نص صحيح يقيد هذا الأثر، أو يخصصه، أو ينسخه.

.8

وقفت على نص صحيح: ﴿من شك في صلاته فليسجد سجدتين بعدما يسلم﴾[34].

قلت: السجود من أجل السهو له حالات، منها إذا نقص في الصلاة فيسجد قبل السلام، وإن زاد فيها فبعد السلام، وإن شك فقبل السلام.

وإن كان الشك أقوى حال الزيادة فبعد السلام، وإلا فقبل.

والذي أرى أن المسألة واسعة.

.9

وورد أن (النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر كانوا يمشون أمام الجنازة)[35]. قلت: هذا الأثر قد رواه سالم، وهو ابن عبدالله بن عمر بن الخطاب. وسالم من كبار التابعين. هذا النص رواه الخمسة، لكني وقفت على كلام للنسائي أنه مرسل، والدارقطني في (العلل) قال

وقع في سنده اختلاف عن الإمام محمد بن شهاب الزهري، وقال البيهقي: كما وقفت عليه أنه موصول السند.

والذي يظهر لي أنه مرسل، لكنه صحيح. والبيهقي قال كونه موصولاً أصح؛ لأنه من رواية سفيان بن عيينة. قلت ابن عيينة ثقة وإمام جليل، ولا يضر إرساله.

.10

رأيت عند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني والحاكم: «من فرّق بين والدة وولدها فرّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»[36]. هذا من رواية أبي أيوب الأنصاري خالد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووقفت على أن في سنده حسيب بن عبدالله المعافري، وقد وقع فيه اختلاف عند أئمة الجرح والتعديل.

قلت: الأصل عدم جواز التفريق إلا بناهض قوي متين.

وهذه إشارات ليس إلا لبعض ضرورات الاستقصاء عند الفتوى، أو الحكم القضائي، أو ما يلقيه بعض طلاب العلم.. والمسألة قد تحتاج إلى مزيد بيان.

1. الصحابي : من صحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مسلم.
2. الصحابي : من رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو سمعه وهو مسلم.
3. الصحابي : من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسلم.
4. الصحابي : مأخوذ من الصحبة، وهي المرافقة أو الملازمة.
5. الصحابي : من لم يرتد بعد إسلامه.
6. الصحابي : من مات على الإسلام ولو لم يرو شيئًا.
7. الصحابي : من رآه أو لقيه وهو صغير كحال: محمود بن الربيع أو النعمان بن بشير، وأنس بن مالك، وابن الزبير. ليس كل من عاش في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره يُعدُّ صحابيًّا، بل هو مخضرم.

الحلقة والحلقة المفقودة

في هذا الباب من هذا المعجم (معجم موازين اللغة) أطرح كلمة لها مساس قوي بآراء النشوء والارتقاء، وذلك بعد دراسات علمية في مجال الحفريات الكربونية ومقاييس الزمن البعدي (بضم العين)، تلك التي رأت أنه لا بد للعالم أن يدرك حقيقة هذه المسألة من وجهة نظر تجريبية بحتة، مما يعد إخفاء لحقيقة هذه المسألة، ولا سيما بعد أن أوجع وخز الضمير بعض الذين عملوا على هذه المسألة الفرضية، حتى صرحوا بعد تأمل طويل بأنها فرية، لكنها تلبست بلباس العلم حينًا من الدهر، ولا سيما وداروين نفسه لم يذكر في كتابه (أصل الأنواع) ولا في انحدار الإنسان، ولا في غيرهما، أن أصل الإنسان قد انحدر من سلالة أخرى، لكنه جاء بفرضية التشابه، كحال الأرنب والوبر والجمل والزرافة والحمار والبغل والحصان.

فهل يقتضي هذا التشابه القوي أن بعضها قد انحدر من بعض؟

هذا ما سوف أبينه هنا بعد طرح لأصل هذه الكلمة، وذلك من باب التدرج حسب مقتضاها ودلالتها،

فأذكر على سبيل الاقتضاب أن:

1. حلقة والحلقة، بالتنكير والتعريف يراد بهما الشيء الدائر، أو المستدير.
2. وحلقة من معانيها إزالة.
3. حلقة: يراد بهذا حلق الإنسان: مجرى الطعام والشراب.
4. حلقة: حلقة الأذن، تجعله النساء في الأذن.
5. حلقة: دائرة ليست تامة، وإنما ذلك من باب التغليب.
6. حلقة: من الحلق: إزالة الشعر، شعر الرأس، والفاعل حلاق على وزن فعال.
7. الحلقة: حلقة طلب العلم، يقال: يتحلقون: يجتمعون.
8. وحلق: بتشديد اللام: طار، ويحلق: يطير.
9. وحلق: أبعد في البحث والنظر، حتى وقف على وجه المسألة.
10. وتحلق الطير: إنما يراد بذلك تطير مرتفعة.
11. وحلق الحصان: أسرع، أشبه ما يكون بالطيران.

قلت: ولهذه الكلمة معانٍ كثيرة، تركتها خشية الطول.

أما الحلقة المفقودة، فهذه الكلمة إنما يراد بها -حسب المقاييس العلمية- حلقة من حلقات السلسلة قد فقدت.

والذين تراجعوا، والذين بحثوا عن أصول النشوء والارتقاء -وهم بعيدون عما يتخيله العقل الافتراضي، بعد تأمل طويل، وتجرد لذات العلم- وجدوا خلال الأحافير وبقايا الإنسان في جزر الملايو وغيرها: أن هناك حلقة مفقودة بعدما حللوا، ووازنوا الأنسجة، وأصول الوجود الإنساني والحيواني، فلم يجدوا شيئًا طيلة مئة عام أو تزيد.

ولكن من المفاجأة أنهم عثروا على عملية تركيب أسنان ولثة لحيوان، مركبة على جمجمة إنسان، متشابهة جدًّا لولا فروق الزمن؛ فالجثة للإنسان وعمرها قرابة **400** عام، أما اللثة والأسنان بعد تحليلهما كربونيًّا، وإجراء اختبارات عدة، وجدوا أنهما منذ قرابة **70** أو **73** عامًا، كما عثروا على أصول تثبيت اللثة والأسنان بالجمجمة، مما دل على التزوير، لكن بطريقة مدروسة وباحتراف كبير.

والذين قالوا بهذا الرأي، وزعموا أن أصل الإنسان من سلالة الشمبانزي، قد صدموا في أصل ما سعوا إليه؛ إذ إن دارون نفسه أو داروين قال: إن هناك تشابهًا بين هذا وذاك.

فمعقد القول: إن الحلقة المفقودة لا وجود لها أصلاً.

ويلزم من هذا: أن أصل القطار قد تطور من عربة كبيرة، وهذه من عربة صغيرة. وهكذا.

وإن المعز من الشاة، والشاة من المها، والمها من البقر، ثم تم التطور. وهكذا.

وهذا ما لا يمكن كونه، نعم هناك تشابه شديد بين المعزة والشاة، وبين الزرافة والجمل، لكن لا أحد يقول بالأصل.

وهناك تشابه بين الديناصور وبعض الأسماك، كبعض القروش، ولم يقل أحد بالتطور الانتقالي بدليل مادي حسي ملموس، لكنه تخمين وظنون.

وهذا مني -على سبيل الاختصار- وقد يغني قليل القول عن كثيره، على شاكلة ما بثه الحكماء من نوافل الألفاظ، وقواعد الحكم، نصًّا مرقومًا، على سبيل مقيم، عبر القرون الطوال.

ما هو الهياج؟ هل يمكن تغيير الذات؟

في هذا المعجم أبين شيئًا جديدًا من معجم موازين اللغة، وهذا الشيء الذي أبينه هنا هو الجمع بين شرح المفردات والعلم والتحليل الذاتي.

فأبدأ قائلاً بفك معاني الهياج، الذي يخلط فيه غالب الناس الألفاظ، فأقول:

1. هاج يهيج: ثار ثورانًا على وجه الإطلاق.
2. هاج: ثار على غير وجه.
3. هاج: قام أو قال عن غضب ثائر.
4. وهاجت الريح: ثارت فجأة.
5. وهاج الجمل: ثار، وأضر بمن حوله.
6. وهاج الموج: تقلب بشدة، بين ارتفاع وانخفاض واضطراب.

وهاج يختلف المعنى في هذه المفردة عن (ماج)، وقد رأيت من يستعمل هذه مكان تلك، ولا سواء.

وإنما يحدد ذلك المعنى، لكن طغيان العامية، حتى لدى بعض العلية من القوم، فبسببها تتداخل الألفاظ المختلفة، كأنها تؤدي المعنى الواحد.

والهيجان أصله غليان الدم في القلب، لينتصر الإنسان بما لا يعقله غالبًا، قولاً أو فعلاً.

والهياج: صفة من صفات الغضب المغلقة للقلب، أن يكون للعقل مكان، فيعقل حال ما أو من أمامه، وسبب ما أهاجه.

وقد وجدت في أسفار العلم الأخلاقي، والدراسات الطبعية في علم الطباع، أن من أسباب ذلك، أي حصول الهياج ما يلي:

1. سوء التفكير، وعجلة التقدير.
2. سبق القلب للعقل، عند النازلة الموجبة لهذا.
3. الانتصار للنفس، وحب الغلبة.
4. الانتصار من خلال الصوت المضيع للنقاش.
5. غلبة الهوى والحمق المواتي للحالة.
6. تضخيم الواقعة، وتهويل الحاصل.
7. تقليد ما رآه أو قرأه من حالات مشابهة، من خلال رواية أو فيلم أو حادثة، فيحصل هنا النقض اللاشعوري، لا سيما للفقير، من آليات الفكر الجيد، والعقل المكيث.

ا تكون اللجاجة عند العلماء والمثقفين، والذين يزاولون التربية في مجال التدريس، أو فض الخصومات.

8. ضعف الوازع التذكيري، كما في سورة يونس وهود والقصص والشعراء، فتأملها يعطي صورًا كثيرة عن كمال العقل، وروح التأني، والانضباط العقلي الحميد، لا سيما لمن له غاية سامية في هذه الحياة.

9. وهذا يقع فيه بعض الذين لم يعطوا أي نصيب من العقل، أعني أولئك الذين قد يستغلهم غيرهم، فيقعون بعزة الكثرة والهياج وعرض القوة للانتصار، كإخوة الزوجة مثلاً، عند إرادة التطليق بالقوة والتخويف، حتى إذا تم هذا قرعوا سن نادم، وحتى إذا هدأت الحال بعد دهر، أدركوا كم جروا على أنفسهم بسبب الهياج ما جروا من هم وكدر وعداوات فيما بينهم.

10. ازدواجية الرؤية، واختلاط الصور، وهذا إنما يحصل للذين يهولون ما يحصل، فترى الواحد منهم يحمر وجهه، ويرعد ويزبد، وغالب هؤلاء يكون أمرهم على الزوجة والأولاد الصغار، أو القريب الضعيف، خاصة الأب إذ لا يفرق هذا النوع إذا هاج بين هذا وذاك، انتصارًا للنفس، وحبًّا للذات.

قلت: وهاج يهيج، وثار يثور، وغضب يغضب، كلها سواء، وإن كان الغضب أشمل، إذ تؤدي إلى سبيل واحد، ذلكم هو حب الرفعة، وتمثل القوة الشخصية الظاهرة، وقد وجدت نوعًا ممن خالف وضعهم، وجدت أنهم يميلون لحظ وافر من قوة التبصر والوعي، وكذلك قوة التصبر للصبر، لأن التصبر يؤدي إلى استدعاء العقل، وجودة الفكر، وروح التأني، ودعت البال.

وقد خط هذا ورسمه في بيان جيد الآجري في (أخلاق العلماء)، وكذا فعل ابن عبدالهادي في (طبقات المحدثين)، وفعله من قبل ابن سعد في (الطبقات الكبرى)، إذ ترجم لكثير ممن ساد عصاميًّا من سادة العلماء، وحملة الأدب والرواية والدراية عبر العصور.

وقد أجمل ذلك بجميل صنع جيد (العيني)، حينما ترجم لقرابة (**2000**) ممن لهم بصمة في التاريخ، منذ القرن الأول حتى القرن الثالث، وذلك من خلال شرحه (لصحيح البخاري)، وترجم في ثنايا الشرح للآثار لهؤلاء الكبار.

لكن قد يقول قائل: ما السبيل إلى تغيير الذات التي قد لا ينفك صاحبها ولا يقدر على التغيير؟

وللإجابة على هذا أذكر: أن تغيير بعض الصفات هذا ممكن، إذا تمثل الإنسان الآثار الحسنة، لإيجاد صفات أخلاقية عالية.

إن محاولة تحسين، ثم تغيير هذه الصفات شيئًا فشيئًا، قد يقع لمن صادق نفسه، وراقبها عن كثب. إن الولع، وشدة التعلق بالمثل العليا، وسياسة النفس بمراقبة الفكر لها، هذا يؤدي إلى نتيجة إيجابية.

إن دوام التنبه الإرادي، ولزوم الصمت، والشد على القلب، ألا يطغى على العقل، كل ذلك يضفي شيئًا محمودًا، يلمسه المرء لا شعوريًّا.

إن إلزام النفس، وشدة التوقي، ومعرفة سبل السيادة على الصفات السلبية، هذا يقود إلى شخصية أخرى.

إن أضر ما على المرء في هذه الحياة أن يستغله غيره، ونفسه قد تستغله ليواجه الآخرين، فيسيء إليهم، أو يذكر الجانب الذي يراه سيئًا، ويتغافل عن الإيجابيات، بل قد يؤلها ويبررها إلى السوء، وهذه نقطة غامضة في حياة بعض الناس، تجره دائمًا إلى الهياج واللجاجة، ويرى أنه المصيب، والمنظر، حتى إذا عفَاه الدهر، أدرك أن الهياج كان ركابه الذي يركبه.

إن تغيير الذات ممكن بروح من الجد، والصدق، والنزاهة، وعموم النظر الفطين.

الـعقـل و الـلـغـة

لا تنفك اللغة عن مدارك العقل، فهي تحتاجه حاجة الحي إلى الماء، من إنسان وحيوان ونبات.

والعقل في أصله غريزة، وهو موهبة، تكون مع الإنسان وهو في الرحم، وهذا ما عرفه المختصون في سياسة تشخيص العقل، وبحث أصوله ومراميه.

والعقل إذا كان سليمًا، ونشأ صاحبه منذ النعومة على سياسة التربية الحرة الواعية المكينة، فإنه ليس بحاجة إلى زمام يربطه، أو إلى حد يحده، أو إلى ما يوجهه؛ لأنه هنا إنما ينطلق من الغريزة الموهوبة في الكينونة الأصلية.

والعقل في أصله إنما هو جماد، يدرك ويعي، ويحيط خبرًا بما يكون فيه، من خلال الفطرة الصواب، والعلم الصحيح، والطريق السليم.

ولهذا كان العقل في صفاته الأولى: يخطم زمام القلب، كما يخطم زمام العاطفة، ويقف حجر عثرة في سبيل الهوى والحيف، وإيقاع العدل حتى على القريب، الذي لا ترى إلا هو. والعقل إنما يحتاج إلى الزمام والرعاية، ذلك إذا كان هذا العقل قد وقع في مهب الريح، ينشد صاحبه الذاتية، والمصلحة، والنزوع إلى القوة، يحب الجاه. فالعقل هنا دون ريب يحتاج إلى الزمام، وإلى من يحدو به إلى الصحيح في القول والعمل والاعتقاد.

ولذلك من الصعب جدًّا الحكم على أحد بأنه عاقل، من خلال ما يظهر للناس من حالات وأوضاع وصفات.

لأن القلب هنا هو المسيطر، والعقل قد تم إبعاده.

ومن الصعب جدًّا حسب دراساتي في سلوكيات العلماء، وسياسة الإدارة العليا، والقضاء الجنائي، أن نصف مثل هذا من العقلاء، إلا إذا كنا من ذوي الخلفية العجولة في الحكم، على الصفات والأوضاع والحالات؛ لنعطيها صفة العقل ذاتيًّا، وهذا شائن مشين.

ولذلك يقع كثير من الساسة، وأهل العلم في الخطأ ذاته، لأن المصلحة أحيانًا تقتضي لصاحب هذه الصفة، أن يتلون، ويتقن هذا التلون أيما إتقان.

والعقل حينما أريد وصفه، إنما أركز على ذاتية خلقه، وإيجاده لدى الإنسان، وهذا جزمًا يعطيني فسحة من أمل عريض، بأن العقل صفة ذاتية، يعرفها صاحبها إذا خيمت عليه الحجب، وبقي وحده، فيحس بأن العقل كامن فيه، مثله مثل الحظ، سواء بسواء.

من هذه الحيثية، أزعم كما زعم غيري من العلماء المتخصصين: أن العقل منحة، تتمثل في إيقاع الشيء في موقعه، حتى ولو كنت لا أريد ذلك الشيء، بل أنفر منه، وذلك هو حقيقة إبعاد العاطفة، وإبعاد القلب، أن يحكما نظر العقل المكين في واقع الحال، وواقع المآل.

والعقل هنا في هذه الحال، هو ما يجعل كثيرًا ممن يزعم العقل أو يبحثه، يتهربون من وصف إلى وصف، ومن حال إلى حال، ومن نظر إلى نظر؛ ليقولوا ما نقوله أو نبحثه، هو العقل عينه، بعلمه دون نكير.

ولعل الذين ساسوا الدراسات منذ أقدم العصور عن العقل، جزموا، أو أكاد أقول: إنهم جزموا أن العقل خلق يوجد في القلب، هذا مكمنه، لكنه معنى من المعاني، وليس ذاتًا من الذوات؛ ولهذا ركزوا على حالاته التي منها:

أولاً: قوة الاعتبار، مع قوة النظر.

ثانيًا: عمق الاعتبار، وشدة التأثر.

ثالثًا: طول الصمت، والسمت والدل.

رابعًا: الإحساس بمن يرافق، أو يصاحب إحساسه بالأمن.

خامسًا: شدة التوقي، ونبذ ذاتية الاتجاه.

سادسًا: شدة الحذر من تكرار الخطأ في الحال ذاته، أو في أحوال متعددة.

سابعًا: ضبط النفس من خلال الحكم، وعدم الركون إلى إيحاء العاطفة.

ثامنًا: الاعتبار بالنظر إلى ثلاثين سنة قادمة مثلاً، فلا يتكرر الخطأ بحال ما.

تاسعًا: الرأفة والرحمة وبسط الوجه لكل من يحتاج إلى ذلك، ولو كان مكروهًا لديَّ.

عاشرًا: قلة الكلام، وإطالة نظر العواقب.

الحادي عشر: الصبر الواعي على الحسد، ووشاية كل قريب وزميل.

ولننظر قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾]الحج:٤٦[، الآية.

والآيات والآثار في الكتب الستة، وعند أحمد وعبدالرزاق ومسدد بن مسرهد وعبد بن حميد وابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط كثيرة متوافرة، يدركها وقد أدركها من نظر وتدبر واعتبر.

ولا شك أن طغيان العجلة، ونشدان الذات، وحب الظهور، تلك هي ولا جرم، هي ما يجب أن تبعد عن مشارب العقل، بل هي ما يجب أن تنسف في اليم نسفًا.

الحل و التحلل المعنوي

تطلق كلمة الحل على معانٍ كثيرة، وهي كلمة لا يُفهم معناها إلا بمرادف لها، يدل على المراد منها. وقد استعملها العلماء وأهل اللغة والمؤرخون، ومن ألف في ظروف الأمكنة والأزمنة. وفي هذا الجزء من المعجم أحاول بيان المراد منها، ذلك حتى لا تتشابه بغيرها، إذ جاءت هذه المفردة (الحل) على سبيل الإطلاق في بعض مطولات المصادر، من هنا أردت أو رغبت بيان شيء ما حولها، فهي تطلق مثلاً على هذه المعاني:

1. الحل بكسر الحاء: ما يكون خارج حدود الرمي.
2. الحل: ما كان خارج كل مسجد أو جامع.
3. الحل: ما كان خارج ما يملكه الإنسان شرعًا، من بيت أو مزرعة أو أرض، بمعنى لا يحل لأحد ما أن يحدث فيها أي شيء، لكن خارجها يفعل ما يريد بالشراء أو الإحياء.
4. الحل ما يكون خارج السوق الموضوع للبيع أو الشراء، فيجوز فيه البيع إلا ما يكون من تلقي الركبان، فهذا محرم.
5. الحل على المصدر ما يحتله الإنسان من مكان، يجلس فيه كل شروق شمس، ولا يدخل في هذا ما يفعله بعض العوام من الحل في الجامع أو المسجد، كأن يفرش سجادة، أو يجعل له علامة، لا يحل لأحد أن يجلس فيه.
6. الحل وهذا ما كان أهل الجاهلية الأولى يفعلونه، خاصة مع الضعفاء أو الذين يميلون إلى بساطة الذكاء، أو الجهل في كثير من الأمور، وقد قال قائلهم: الحلال ما حل باليد.
7. الحل السكن البيت، وإذا كانت الحاء مفتوحة، إنما يراد بهذا الإجابة، يقال: حل السؤال: أجاب.

ل بمعنى نزل، وقول القائل: حل بكسر الحاء ارحل، يقال: حل عني: اتركني، أو ابتعد عني، وأحل بفتح الهمزة والحاء مثلها: أسكن بفتح الهمزة على الفعل الماضي، قال جل وعلا: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ ﴾]فاطر:٣٥[؟

8. وحل: نزل، واستقر.
9. وحل يمانية، فأهل اليمن وعمان بضم الميم، ينطقونها كذلك.
10. وحل الشهر: دخل أوله، أو هل هلاله.
11. وحل الليل: جاء بظلامه.
12. وحل النهار: جاء بضيائه، وهذه يقاس عليها.

13. حل محله، يقال: حل الرجل مكان الرجل، أي جلس مكانه بعد قيامه منه، وحل محله: ناب عنه، كنائب الحاكم أو المفتي أو القاضي.

14. ويحل المسألة يجتهد فيها للوصول إلى رأي صواب، إن كان من أهل الاجتهاد بضابط معرفة الناس بحالة من التقوى والورع، ومن علم متضلع بمعرفة الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد، ومعرفة عموم الأدلة من صحيح وضعيف وعام وخاص، قلت: ولا يكتفى بالشهرة، فإنها ليست بشيء.

15. ويحل القول يقع، ومثل ذلك تحل تقع.

16. وإحلال على وزن إفعال، وهذه سماعية، يراد بهذا إنزال.

17. تحل عليه: يكون عليه، وهذا من المشترك اللفظي.

18. تحل: خرج من شيء إلى شيء آخر، لكن يراد بهذا تحلل من الإحرام بعد الحج، أو العمرة، عقب أدائهما، أو بعد الإحصار، لمن اشترط ذلك عند إحرامه، بقوله: ﴿فإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني﴾[37].

19. الحل الذاتي، ويقال: التحلل الذاتي، وذلكم هو مكاشفة النفس بتمام التجرد للتحلل، ممن تم الإساءة إليه بمال أو زواج أو عرض أو وشاية، حصل منها ضرر على الغير، فيبادر العاقل الحر إلى المصالحة مع نفسه، ومصادقها بصدق الإقبال، فيتحلل ممن أساء إليه خاصة العرض، ولا يتردد، ولا يهن، ولا يضعف، فإن ما يتعلق بالعرض من قريبه، أو من له حق عليه، فإن لم يفعل ذلك، فلا يكفي مطلق التوبة، فهذه من حيل النفس، التي تحجز رؤية العقل، وتتعلل بحال صغر السن أو الجهل بالعواقب.

قلت: وخلاك ذم حيل النفس كثيرة، لا سيما إذا استعانت بالقلب، فإن النفس هنا تضرب أطنابها، لاسيما إذا كان من أسأت إلى عرضه بأهله ضعيفًا، أو هو لا يقدر على شيء لحال ما من الحالات، فهذه تجرك إلى ندم الأبد، فخذ أو دع.

الصواب في الحكم لك أو عليك

هذه كلمة أوردها في هذا المعجم، تجري على كل لسان، بحسب كل لغة منذ تعلم الإنسان بقدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ النطق، ولهذا من باب العدل المطلق وإقامة الحجة، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾]إبراهيم:٤[.

هذه الكلمة تدل على شيء في خلاصة معناها، وإن اختلفت في مراد الناطق بها، لكن الكل ينشدها، ويدعيها في حال الحق، وفي حال ادعاء الحق، وإن كان يدرك مريدها: أنه على مرادها على الحقيقة، وأرض الواقع.

لكن من أرادها على الوجه يقبله كل أحد، وهو آخذ بها طرًّا.

لا يمكن إذا كنت تعرف قائلها معرفة محيطة وجيدة وعادلة، لايمكن أن تقبلها منه، إلا إذا كان صادقًا أمينًا.

ذلك لأنك تعرفه، لكن إذا لم يكن تعرفه، فإنك لا بد أن تتردد، ولو حدثك الناس عنه وحدثوك، فسوف تتردد في قبولك منه لها، حتى تسأل وتبحث، وتوازن وتتريث، وتضرب صفحًا عن حيل النفس، وطغيان القلب على العقل بشاكلة من الإشكال.

هذه الكلمة هي كلمة الصواب، وسوف أبين المراد منها على سبيل الاختصار، من هنا أبين ما يلي:

1. الصواب هو الحق.
2. الصواب هو الحق، قولاً أو فعلاً.
3. الصواب هو الحكم، بتمام التدرج المطلق.
4. الصواب هو أخذك نفسك نحو المعالي.
5. الصواب هو قسمة التركة بين الورثة، من قبل الوكيل الشرعي، أو قاضي قسمة التركات.
6. الصواب هو إعادة حق من له حق عليك، أسأت إليه، ولو كان ذلك خلال سنين غابرة.
7. الصواب هو التريث في الحكم، وقوة التدبر، وجودة النظر.
8. الصواب هو التقوى، بوعي صحيح الآثار، ما لك وما عليك.
9. الصواب هو حسن الخلق والتودد، للوصول إلى سياسة الحياة، بصحة الحجة وقوتها.

10. الصواب هو مراجعة الوقائع، وأخبار القرون في الحالات المشابهة.
11. الصواب هو مكاشفة النفس بينك وبينها؛ لتعرف من أنت؟ وماذا تريد؟
12. الصواب هو تدارك الحياة، بسياسة التغاضي عن الهفوات، والتغافل عن الهنات، وهذا الحق يقال هو ثلث العقل.

وأصل هذه المفردة: أصاب أو صواب.

يقال: أصاب أوافق قوله الحق؟

ويقال: قارب الصواب. وافق قوله الحق اجتهادًا.

ويقال: أصبت، أو أصاب فلان. إذا وفق إلى الصحيح من الحكم.

ويقال: أصاب الحقيقة إذا وصل إليها، بعد نظر، ونظر عاقل مكيث.

وأصل الإصابة بالصواب، والوصول إليه، أنه عملية ذهنية، يكتنفها صفاء الذهن، والإحساس بالوصول إلى الحق، مع ترك ما تميل إليه النفس من حظ، أو سمعة بحال ما.

والحظ كما بينت سلفًا، أصله إحساس داخلي عميق في ذهن المحظوظ وروحه، قد يكون هو لا يشعر بذلك، لكن معطياته وآلياته تؤدي إلى ذلك، فالوصول إلى الصواب هو نفسه (حظ)، ما في ذلك شك عندي.

وهذا إنما يؤتاه الإنسان المتجرد للحقيقة، أيًّا كان وضعه وصفته.

قد يختلف الناس أو بعضهم حول هذا، لكن هذا هو الواقع على كل حال.

وإذا كانت الحقيقة واحدة، فإن كان من وصل إلى هذا، هو من أهل الشفافية والنبوغ والخير للغير. فحسبك به.

ومن يخالفه أو يتعرض له، فقد يكون حاسدًا، أو قد يكون يرى نفسه بصفة من الصفات، بل قد يصل الأمر إلى استدعاء السلطة، كحال أحمد بن محمد بن حنبل، وأحمد بن أبي دؤاد، وقس عليه.

ولست أظن من خلال تجاربي في القضاء، وسياسة الإدارة العلياء، والتحليل النفسي التطبيقي، لست أظن أن هناك أشد من الندم، الذي تحصل لمن حسد، أو وشى، بصورة من الصور، وهذا إنما يحصل عند كبر السن، وتجرم الأيام، وانقطاع الحيلة في رد الحق، خاصة ما بين الأقارب: الأب وأولاده، أو الزملاء، أو الجيران، أو الأصحاب.

والندم كما أذكر سيء جدًّا؛ لأنه يجر إلى الحسرة، حتى وإن سلى المرء نفسه بمال، أو مداعبة ولد، أو جاه.

فمحصلة القول: إن الصواب هو الحذر من كل ما يجر إلى الندم، خاصة حال صغر السن؛ لأنه قد يتعلل بذلك، و هذه من النفس.

ولهذا جاء في الصحيح: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»[38]، أما المسلم فقد يلدغ أكثر من عشرين مرة، وافهم هذا.

فشدة التوقي، ونظر الحال الحاضرة، وما قد يكون بعد عشرة أعوام من الندم والحسرة، بعد حصول ما حصل، لهو أشد ضررًا على النفس من وقوع الأمراض، فخذ أو دع.

الــلغة و الــتـر اجم

تحقيق الآثار، وضبط قراءة النصوص، وتحديد ما دلت عليه، هذا أمر جلل، شاق كل المشقة، ومقلق، ومتعب ما لم يكن لدى العالم سعة صدر، وصدق قبول، وشدة استعداد ذهني، لما ينظره، ويتحققه، ويريده.

ومنذ قديم الزمان كان العالم يدرك هذا ويفهمه، بجانب إدراكه لمراميه.

وهذا (كان العالم) لا يكتفي به أبدًا، بل هو يطيل النظر، ويشتد في قراءة كافة ما بين يديه من المطولات وكتب الفروع.]ولا يمكن أبدًا أن يكلف غيره ليبحث عنه[،من أجل ذلك ظهر المجتهد المطلق الحر المتمكن، خلال العصور المتعاقبة، وسوف أبين هنا في هذا شيئين مهمين، يخصان العلماء والباحثين وطالب المعرفة، وهذان الشيئان لازمان لهؤلاء، ويأتي القضاة هنا في محط لا بد أن يدركوه، لأنهم من العلماء، وهم في الأصل يبحثون عن أصول وحقائق وحقيقة ما بين أيديهم، من قضية أو قضايا، لا سيما -وكما أنوه- أن القضاء موهبة، ومن هنا يجب البحث عن هذا النوع.

الشيء الأول: صفات وكنى، من لم يدركها يقع في خلط ما، مما يسبب إرباكًا خطيرًا في نسبة القول إلى غير قائله.

أولاً: ابن مروان أو البزاز، ويكنى بأبي موسى، أو إن شئت، فقل: الحمال، وقد اشتهر به.

أجلوه لأنه جليل، وقدروه لأنه قدير، وليس هذا مرادي هنا، إنما أردت بهذا لئلا يختلط بغيره، لأن هذا له آراء سديدة، ومحكمة، وروايات جليلة.

فاحفظ اسمه، إنه: هارون بن محمد.

ثانيًا: أبو عمرو الإمام المؤرخ، اللغوي، الثقة، الحجة، روى له البخاري وغيره من سادات الأئمة في الحديث واللغة والتاريخ، ولعله عمدة في الرواية والدراية، له كتاب مشهور: (طبقات الرجال)، و(التاريخ)، وهما مرجع في أصول الآثار.

وكان تابعيًّا قديمًا، إذ إنه توفي عام **240** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى. إنه]خليفة بن خياط[، فاحفظه، وتأمل كلامه، وعاود النظر.

ثالثًا: ابن أبي الدنيا، هكذا يُلقب، وبهذا يعرف له جملة من آراء، وروايات عالية الحكمة، سرت مسرى المثل، وليس من أحد إلا ويستشهد بآثاره ومنقولاته.

ولمنزلته وبلوغه مع من سبقه مرحلة الاجتهاد، ترجم له الآتي من كتب معروفة:

1. الفهرست، لابن نديم.
2. تهذيب الكمال، للمزي.
3. تهذيب التهذيب، لابن حجر.
4. الرسالة المستطرفة، للكتاني.
5. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.
6. البداية والنهاية، لابن كثير.

ويكنى هذا الامام بأبي بكر، محدث ومؤرخ، كانت ولادته حسبما أذكر عام **108**هـ، واسمه: عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان البغدادي، وينسب لقريش.

رابعًا: سمويه إمام في اللغة، وسيبويه إمام في النحو، وفي كلٍّ خير.

سمويه حافظ، متقن للعلم، والرواية والدراية، رحل كثيرًا، واستفاد، وأفاد غيره، ورحل الناس إليه. واسمه: إسماعيل بن عبدالله بن مسعود العبدي الإمام.

آراؤه ومروياته مبثوثة في الأسفار المطولة وكتب الفروع، سكن وعاش بأصبهان، وما بعدها، إلا أن العلماء رحلوا إليه، جاء ذكره في:

1. ذكر أخبار أصبهان.
2. الأنساب للإمام السمعاني.
3. تاريخ ابن عساكر.
4. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.

خامسًا: الدولابي، لا يجهل هذه الصفة أي من العلماء، أو القضاة النابهين، وأهل اللغة والحديث، مشهور بصفته هذه، (الدولابي). يكنى بأبي جعفر، وبهذا يختلف عن الإمام السابق، وكلاهما ثقة، وأثنى عليه كثيرون عبر القرون.

كان ورعًا نزيهًا حافظًا فاهمًا للعلم، مع (موهبة ظاهرة) في سياسة الحياة، وطرق بذل العلم، بعقل وحكمة، وصبر على من حسده، ووشى به، ونم عليه، خلد الله ذكره.

روى له: البخاري ومسلم بن الحجاج وأبو داود سليمان بن الأشعث، وغيرهم.

وأما الموضوع الثاني، فهو ما يحصل من ترك تحقيق السند، وجعل التاريخ ورواياته هي العبرة والدليل.

وقد يقول البعض: (هذا متواتر عند المؤرخين)، مع أن بعضهم ينقل من بعض، ليس غير، وليس هذا حجة، عند التحقيق الأخير.

وخذ مثلاً:

1. موضع أو مكان مولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهناك من زعم أنه مكان المكتبة اليوم (مكتبة الحرم)، وهذا خطأ كبير.
2. ومثل هذا (قبر علي)، وأنه بالكوفة.
3. ومثل هذا كتاب (الإمامة والسياسة)، وأنه لابن قتيبة.
4. ومثل هذا أن (فرعون) إنما خرج من شبه الجزيرة العربية، وهذا إفك مفترى، لا يعلم قائله: أنه جاهل بحقائق الأحوال، والتنقلات، وهجرات الناس، منذ أقدم العهود.
5. ومثل هذا (المجتهد المطلق) فلا وجود له، لا وجود له اليوم.

ولهذا يحل محله مراكز علمية عالية القيمة، وعالية القدر، علمًا ورأيًا لدراسة النوازل، ومستجدات القضايا.

أبـصر ورأى

في هذا الجزء من هذا (المعجم) أبين ضربًا مما هو شائع، حتى بين عامة أهل العلم والأدب، من مفردة بالغة الأهمية. وهذه المفردة هي: (أبصر ويبصر)، فأبين ذلك على هذا النحو:

أبصر: رأى.

أبصر الطريق: عرف مسالكه، وما يؤدي إليه.

أبصر من غيره: أفهم، وأعمق.

أبصر الحكم: وعاه، وأحاط به؛ ليحكم بما أدرك.

أبصر القول: فهمه على وجه أراده الطارح.

أبصر الحكمة: أحاط بها، فهو يعمل بها عدلاً.

أبصر الأيام، يراد بهذا حلب الأيام، تجربة وإدراكًا.

أبصر نفسه عرف نفسه، فهو يقف عند حده. وهذا من أفضل الحالات في الحياة. وقد جاء في الصحيح: «رحم الله امرءًا عرف قدر نفسه»[39]. ويرد هذا بلفظٍ آخر: «أبصر بنفسه».

أبصر الفائت: أدرك ما فات.

هو أبصر، يقال للرجل العاقل المكيث.

أتركه يبصر، يراد بهذا، يتعلم من خلال التجارب.

تبصر، ترد هذه العبارة بمعنى العلم والرؤية.

وتبصر بتشديد الصاد: تدبر الأمر.

وأبصار، إنما ذلك جمع (بصر).

إبصار بكسر الهمزة: رؤية.

وأبصر قد ترد على صيغة المبالغة، لكن على الحقيقة، كما جاء عن جملة من العرب: أبصر من زرقاء اليمامة هذا وإنما العين المجردة، أداة عاكسة لما يقابلها، ثم هي ترسله إلى الدماغ؛ ليحلل تلك الصورة، وقد يرى المرء شيئًا ماثلاً أمامه، لكن فكره منصرف إلى شيء آخر.

وبحسب الدراسات التحليلية المتطاولة، فإن بعض العلماء في المجال النفسي قد أفادوا بعد هذه التحليلات: بأن العيون بحسب ألوانها تحكي صفة، لكن هذا حسب الدراسات التطبيقية، قد لا يكون ضربة لازب، لأن الإنسان وإن كان لون عينيه يحكي صفة، إنما هو ابن تربيته منذ الطفولة المبكرة، وهذا وجدته من بعض المعاينات التي أمامي، ولكن هنا أبين الصفات التي قد بينها أساطين العلم في هذا، وهذا على هذا النحو:

العيون السوداء تدل على الحزم والنفوذ، مع شيء من المكر.

العيون العسلية تدل على المرح والذكاء المفرط، ومحاولة إعادة التجربة.

العيون الرمادية تدل على الغموض، وشيء من النرجسية.

العيون الصفراء تدل على حب المرح والجد والبشاشة.

العيون الصغيرة الدائرية تدل على الابتكار وشدة الحذر.

العيون الصغيرة المستطيلة من الجانبين تدل على سعة الحيلة والصلابة.

العيون المنحرفة (الأحول) تدل على الذكاء وطيبة القلب، مع شيء من حب الرئاسة، لكن لا يدوم على هذا لحبه للسيطرة.

العيون الحوراء (الضيقة) تدل على حب الحياة والجد، مع شيء من قوة الشخصية.

العيون الحوراء (الواسعة) تدل على سمة القيادة، والتأثير على الآخر من طرف خفي، والعجلة في التصرف مع التوقي.

وكما قلت آنفًا، فإن هذا ليس أصلاً على الصفات؛ لأن التربية لها دور كبير في حياة الإنسان.

وما التوفيق إلا بإذن الله.

الـرحلـة الـعـلـمـيـة و الـلـغـويـة

جرت العادة منذ أقدم الأزمان: أن يرحل كثير من كبار العلماء لطلب زيادة العلم رواية ودراية. وهذا عند أولئك القوم يرونه سببًا كبيرًا لزيادة الفهم، وزيادة وعي العقل، حتى يكتسبوا بجانب الموهبة التجربة، وسداد الحكمة، وقوة الإدراك.

1. فقد رحل (سيبويه) إلى حماد بن سلمة.
2. ورحل (الأصمعي) إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي.
3. ورحل (أحمد بن محمد بن حنبل، ويحيى بن معين) إلى عبدالرزاق الصنعاني عالم اليمن في زمانه.
4. ورحل (مسلم بن الحجاج) إلى ابن وارة.

وهؤلاء جملة من الصحابة رحلوا إلى غيرهم من الصحابة كذلك، فمن هؤلاء الأجلاء:

1. فقد رحل (جابر بن عبدالله) إلى مسلمة بن مخلد في مصر.
2. ورحل جابر كذلك مرة أخرى إلى الشام للقاء عبدالله بن أنيس.
3. ورحل (أبو أيوب الأنصاري: خالد بن زيد) إلى مصر للقاء عقبة بن عامر.
4. وذكر الإمام المؤرخ الخطيب البغدادي في كتابه [الكفاية] (ص203-204) الطبعة الأخيرة، أن رجلاً من الصحابة قد رحل إلى فضالة بن عبيد إلى مصر، فلما قدم عليه قال له: (أما أني لم آتك زائرًا، ولكني سمعت أنا وأنت حديثًا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجوت أن يكون عندك منه علم. وهذا قد جاء عند الخطيب كذلك في كتابه المشهور (الرحلة في طلب الحديث) (ص57-58).
5. ويكفي من هذا رحلة (موسى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى الخضر، كما في سورة الكهف.

والذين رحلوا من التابعين، من كبار الطبقة الثالثة والرابعة، من هؤلاء:

1. فقد رحل عامر بن شراحيل الشعبي من العراق إلى مكة.
2. بل قد قال أبو العالية، وهو من الثانية: لقد كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة، فسمعناها من أفواههم.

وقد كان هذا سببًا كبيرًا من أسباب السبق العلمي الجليل، الذي خلفه القوم لنا، بحيث لم يستطع أحد حتى اليوم أن يشابه (سيبويه) مثلاً. أو يشابه أو يقارب (مسلم بن الحجاج القشيري)، دع عنك (جابر بن عبدالله)، أو (أنس بن مالك).

ولهذا أطنب كثير من المستشرقين المعتدلين في ذكر تراجم المجددين من كبار العلماء خلال العصور، الذين آثروا العلم وقوة الفهم السديد. وهذا يدعوني إلى القول أن نبحث عن أسباب انتشار كثرة التصانيف اليوم، وكثرة الكتابة دون إضافات نوعية، تستحق القيام لها، والشد عليها، والمباركة لها. فجل الموجود إلا القليل. إنما ذلك لكثرة النقل، مع كثرة الاستطراد، مع زخم الخطاب الإنشائي، وكثرة الآثار المنقولة، دون تخريج جيد، لا يتم التعقيب عليه.

وهنا سبب آخر وجدته: أن هناك خلطًا يقع كثيرًا بسبب تأخر بروز العلم التأصيلي الجيد، وذلك هو الخلط بين عالم الحديث، وعالم الفقه، وعالم التوحيد. بل هناك خلط سيئ بين الداعية والعالم، وبين الواعظ والعالم.

ذلك أن الشهرة لذلك العالم مثلاً لا تخول لك أن تقرأ عليه (صحيح البخاري) إذا كان فقيهًا، أو تقرأ عليه (بلوغ المرام) إذا كان عالم توحيد، لأنه أي العالم الذي تقرأ عليه قل أن يشرح أحاديث منسوخة، أو مقيدة، أو ضعيفة، كما في (البلوغ)، ثم هو لا يبين ذلك، فيضيع بهذا العلم، ويذهب الوقت هدرًا، فينشأ من أجل ذلك التعالم، ولعل بعضهم لا يقصد هذا، لكنه سمعه من شيخه في الجامع أو (الدرس العلمي) فنقله، أو ذكره كما سمعه. وهذا قد وجدته كذلك في بعض المقالات الأسبوعية، فتجد من يذكر مسألة شرعية أو ثقافية، ثم يقوي رأيه فقط دون تأصيل لها، وبسط جيد متين. أفليس هذا يدعو إلى المراجعة والصدق مع النفس، بلازم معرفة المرء قدره.

معجم كتب الآثار الواهية

جرت العادة لدى بعض المصنفين: أنهم يصنفون الكتب من خلال طرق عديدة، كان ذلك سببًا في حصول الآثار الواهية من الأحاديث والسير والأخبار.

وقد جرت هذه الكتب على مدار القرون، أنها كتب موثوقة لشهرتها، وذلك لما تورده من أخبار وقصص، تقبلها العاطفة، ويتردد في قبولها العقل، وحقيقة المنطق على طريق السبيل المقيم، وقد اهتبل بعض العلماء وكثير من المثقفين اليوم هذه الكتب نقلاً واستشهادًا، على أن ذلك ضربة لازم، بل قد جزم هؤلاء وأولئك بصحة الوارد هناك، دون معاودة لوخز العقل لطرق النص الصحيح.

وهذا وكما قلت آنفًا، وعلى أساسه بنيت كثيرًا من الأحكام والتقريرات، على ما ورد في تلك الكتب. بل، قد رأيت أن بعض الندوات والمؤتمرات والرسائل العلمية والثقافية يستشهدون بما ورد في تلك الأسفار، ويوثقونها جدًّا دون دراسة لحقيقة المتون، وحقيقة الرواة، وشأن الأسانيد.

فوقع من جراء ذلك الخلل العلمي، والتخبط المعرفي إلى هذا الحين. ولعل كثيرًا ممن يشعرون بالمسؤولية، لو أنهم أدركوا ذلك، لأعادوا كتابة وتدوين كتبهم من جديد، لخطورة ما نقلوه ودونوه، دون تثبت وتحرٍ وعمق نظر ومتابعة، ولعلي أذكر بعض هذه الكتب المشهورة، التي وقع فيها ما وقع، حتى يُعاد النظر، فإنه لا يصح إلا الصحيح، كذلك جاء في أمثال الأولين من هذه الكتب:

1. خاص الخاص، للثعالبي.

ئة وثلاثون رواية وخبرًا) وكل ذلك باطل.

2. المعارف، لابن قتيبة.

بار وقصص لا تصح في وجهٍ، يقرب ذلك من (مئة وواحد وسبعين).

ا يجعلني أشك: أن هذا السفر لابن قتيبة. لأنه في كتابه (عيون الأخبار) أجاد وحقق وتوثق.

3. البيان والتبيين، - للجاحظ.

يقرب من (خمس مئة وستة وعشرين خبرًا ورواية) لا صحة لذلك البتة. والجاحظ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- يُورد على العلّات، وينضبط ضبطًا، وينقل نقلاً، فكتابه هذا أشبه شيء: أنه سرد من هنا وهناك، دون روية وتدبر، لولا ما يورده هو عن نفسه

أحيانًا، وتبقى قيمة الكتاب أنه ثروة أدبية ولغوية، لكن يجب الحذر كثيرًا مما فيه من الروايات، التي هبط في بعضها.

4. الأغاني، لأبي فرج الأصبهاني.

مت عنه كثيرًا مثل (العقد الفريد)، فيحسن التنبه إلى هذا.

5. تاريخ ابن شبة، وكذا: (الأزرقي رَحِمَهُمُاللَّهُ فتاريخ ابن شبة وما كتبه الأزرقي كلاهما يرويان هكذا، خاصةً ما يتعلّق بتاريخ مكة والمدينة، وما فيهما من أمكنة ومواضع وحالات ووقائع.

وقد أوردا رَحِمَهُمَاٱللَّهُ قرابة (مئتين وخمسة) من الآثار والأخبار لم تصح بحال، ومع هذا اعتمد على ما جاء عندهما كثيرٌ من العلماء والمحققين، دون نظر وضبط ودراسة لصحة المتن، وحقيقة وضع السند.

ولا يُقال: إنه يحسن التساهل في روايات التاريخ. فهذا القول ليس بشيء، لأن الضعيف يبقى ضعيفًا، ولست أظن أحدًا له مسكةً من العقل يرضى أن يروى عنه، أو يعرض عليه ما لا يصح، وما لا يكون من أخبار أو روايات أو آثار.

لست أظن ذلك على وجهٍ من قولٍ قاطعٍ رشيد.

ولهذا لما صنف (ابن عساكر) كتابه (تاريخ دمشق)، وألّف السهيلي تعليقه على بعض كتب التاريخ، وعلّق الحافظ العراقي على بعض كتب (الغزالي).

وحينما عالج ابن تيمية في كتابه: (منهاج السنة) أدرك الناس حينها إلى اليوم الصحيح من الآثار، مما تم غالب إرادة في تلك الكتب.

ومن هنا، فإن العلم بجانب كونه أمانة، فهو مسؤولية دقيقة، ضاربة في أعماق الإدراك العقلي.

وما لم يتحرّ العالم والمحقق واللغوي وما لم يتحققوا ثقل المسؤولية، فإن العلم سوف يكون مشاعًا لدى كل من يريد أن يصنف، ومن هذا السبيل وقع الخلل، حتى في (المعاجم اللغوية)، من خلال شرح معان لا صحة لمعناها. على الوجه الصحيح.

ولهذا، فالدين ككل ذو ثقل كبير، ممزوج كثيرًا بعمق العقل، من خلال شفافية النظر، وسرعة البديهة، ونزاهة الإدراك، من أجل ذلك حينما (ترجم البخاري أبواب الصحيح) جدد العلم النقلي عن طريق الاجتهاد العلمي الجيد، فسبق غيره وأسس ضبط الرواية والدراية معًا، ولهذا قد يقع الجاهل -وإن كان متعلمًا قليلاً- في سوء الفهم، لعدم ارتفاع سقف عقليته، ومن

هنا قد يسيء إلى (البخاري)، ويقع في الإساءة في تخطئته، فيقع في الكبيرة بإجماع الأمة على صحة ما جاء في الصحيح، وكذا صحيح مسلم نحوه، سواءً بسواء.

الـبـيـت

يكثر الاشتباه في كثير من المفردات، ذات الدلالة الظاهرة على معنى واحد، بينما الحق أن المعنى مختلف، هذا إنما يبينه ويرسم صورته الداخلية دلالات الحس بالقرينة، أو دلالات الحس بالمعنى، وفي هذا الجزء من هذا المعجم أبين صورة، لعله لا بد منها، ويزيل الإشكال وخلط المفهوم بين شيء وشيء آخر، وهذا مثاله البيت، فإن له عدة معانٍ، يفصل في هذا ما يدل عليه من نسق ظاهر، أو دلالة باطلة.

وعلى هذا الأساس أبين المراد من هذا على هذا النحو:

1. البيت: البيت المعروف السكن.
2. البيت: يراد به القصر، وهو يكبر ويصغر حسب صفاته، لكنه يختلف عن البيت المعروف.
3. البيت: بيت الشعر من الصوف.
4. البيت: بيت من الكتان، أي القطن المشوب بالصوف.
5. البيت: المأوى الخاص: كالخان والغرفة.
6. البيت: بيت السبع والضب، وكل جاحر يجحر فيه، أي يسكن، ويأوي إليه.
7. البيت: يطلق هذا على أكمام الطلع في النخل، (بيت الطلع).
8. البيت: ويطلق عليه أحيانًا الصندوق، لكن أيًّا ما كان من هذا أو ذاك، فالصندوق غالبًا يكون بيت الأساور الخاص بالنساء: كالذهب مثلاً.
9. البيت: بيت السيف تجوزًا، وإنما هو الغمد.

هذه الكلمة مأخوذة من وصف مستقل، من بات، يبيت، بيتوتة.

10. البيت: يطلق على بيت الشعر بكسر الشين، وجمعه أبيات، ولا يطلق على جزء البيت: أنه بيت شعر. لكن يطلق على شطره الأول صدر، وعلى شطره الأخير عجز. وسمي الشعر بيتًا يقصد به البيت الواحد للقصيدة كلها.

في ضرب الأمثال لإضافة المعلومة: (أزيدك من الشعر بيتًا). وسمي كذلك لأن غالب الشعر يحكي فيه البيت معنى واحدًا، ما لم يتسق فيما بعده، ومع هذا يطلق عليه البيت من الشعر.

البيت الحسي المسكون بيوت.

تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في سورة يونس: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةً﴾ [يونس:٨٧]، أي صلوا في بيوتكم حال الخوف؛ لتكون بمنزلة المسجد خلال ظرف معين فقط.

المسكن خلال البيت هو سكن النفس والبدن، وهذا يجلب الأنس وراحة البال والطمأنينة.

11. يطلق هذا أيضًا على بيت الكتاب، وذلك أنهم يضعون الكتاب في ثوب يدخلونه فيه، ثم يربطونه من الوسط، حفاظًا عليه من الغبار ونحوه.

هذا الحين صنعوا بيوتًا من قرطاس قوي، غالبًا يشبه الغلاف من جهتين.

وهناك اختلاف في المعنى، وقد يختلف اللفظ كذلك بحسب القرينة، وإنما أورد هذا مما قد يثير الأسئلة عنها، وذلك نحو:

1. يبيت الطوى بكسر الطاء، يراد به يبيت جائعًا.

ن القائل يريد النهار، لكنه يورد هذا من باب التغليب.

2. بيت الحزن، وأحيانًا يكون الجمع: (بيت الأحزان)، يراد به القبر. وهذا كان يطلقه أهل الجاهلية، فنفاه الإسلام، لأنه قد يكون بيت راحة وأنس للمؤمن التقي.

هنا يشمل البيت وأهله، الذين يحزنون عليه.

3. بيت الطاعة، نص الفقهاء على أنه بيت الزوجية، لمن نشزت مخطئة، فإن القضاء يوجب عليها الرجوع إلى بيت الزوج، ما لم يكن هو المخطئ، فإن كان كذلك ولم يتم الصلح، ورفضت العودة، فإن القاضي حينئذ يفسخ النكاح، إذا توفرت أسباب ذلك، فإن لم تتوفر تلك، فيذهب القاضي إلى طلب الخلع، فتخلع الزوجة نفسها، فتعيد الزوجة للزوج المهر، كما جاء في الصحيح: «أتردين عليه حديقته»[40]، في قصة معروفة عند المحدثين.

4. بيت السلاح: وهو مخزن السلاح، يوضع فيه العتاد.

5. بيتوتة: على وزن مفعولة وقيلولة، يراد بهذا النوم القليل من أول الليل، حتى يقوم آخر الليل تهجدًا.

6. بياتًا لا يلزم من هذا النوم، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال من باب الوعيد: ﴿بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف:٩٧]، لأن غالب الآثام إنما تكون في البيت ليلاً أو نهارًا، خاصةً وقت الضحى، لمن أراد أن يقعون بالمعصية، خاصةً الحمو، قريب الزوج.

وأورد الآن شيئًا ذا بال، عما يكون من الناحية الطبية العضوية والنفسية، فأذكر أن النوم أصل في هذه الحياة، فالكل ينام إلا لمن أراد الله له غير ذلك.

والنوم ثلاثة أنواع أصلاً: النعاس، ويطلق عليه السنة بكسر السين، والوسن، والنوم المستغرق. والنوم أصل الصحة أيًا كان، فالإنسان ينام ما بين **20** حتى **40** سنة يحتاج إلى **8** ساعات، وما فوق ذلك حتى سن **70** قد يكفيه **6** ساعات.

ولا يغني نوم النهار عن نوم الليل، وهذه آية من آيات الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، فقد جعل نوم الليل سباتًا.

أقعر، وأظلم

أقعر: أقعر هكذا: أعمق، ويرد هذا في المحسوسات، بئر أقعر: أعمق.

وعين ماء- قعيرة-: عميقة. وإذا أُريد وصف المعنى، فلا ترد هنا، بل الوارد أعمق فكرًا، وأعمق رأيًا، وأعمق عقلاً. وإنما قلَّ ورود أقعر- لغرابتها- على اللسان، ولقلة إدراك مُرادها. قاع قعيرة- القاع- يراد به: البر الواسع، ويُراد به: قاع الشيء، فيُقال: قاع البئر. قاع الإناء، وأشباه ذلك.

أمعر: (أ. م. ع. ر) أفعل، كذا ميزانها الصرفي، أي أشد، وفي شمال شبه الجزيرة العربية: معره: جرَّه بقوة، وأمعره: جرَّه بقوة. ومعر يمعر: شق يشق. وماعر شاق، ويرد عليه جاذب. ووجدت هذا في بعض بادية الأردن، وبلاد الشام. والمعر: الجذب حال الغضب. معر السبع الطريدة: جذبها بقوة. ومعر ويمعر لغة قليلة، وأمعر صيغة مبالغة، وهو خلاف الأخذ بقوة حسًّا ومعنى. أظم: وكذا: أضم، بلدان كلاهما في شبه الجزيرة العربية، أحدهما في المملكة العربية السعودية في جيزان، والآخر في اليمن.

ويعتري هذا المشترك اللفظي على خلاف المعنى، فيقال:

أظم: بضم الثانية: أتي به إليَّ.

أظم: أجمع إلى غنمي ونحوه.

أظم: يكون على سبيل الاستفهام، أظم فلان متاعه، جمعه. ويكون على سبيل التهديد (أظام) متاعك، ولم أقف على علة تسمية البلدين.

أمك: بضم (الميم): أمص، والمك: المص، مكَّه بتشديد الكاف: مصه. ومن هذا، فإن تعليل اسم مكة، أنها: تمك الذنوب، إلا ما بين الخلق من المظالم. وهي لغة قرشية اندثرت إلا قليل، ومكه، ويمكه، وماكه على ما تقدم، ولا يدخل في هذا ما يُضغط ليدخل الهواء في الفم إلى الحلق: كالبخاخ للربو، لفتح الشعيرات والمسام في الخيشوم، فهذا غير ذاك. وأهل الشمال من الجزيرة يلفظون المك على شرب الدواب، خصوصًا الحمار، لأنه لا يفتح شفتيه، بل يمص الماء مصًّا.

أدرب: من درب يدرب وأدرب، إنما ذلك (بضم الراء)، ويرد: دروب، بمعنى طُرق، وهو قليل. وجمع درب على: (أدرب) لغة، وإنما ذلك في الشمال من الجزيرة العربية، وبالفتح فتح الراء يُراد بذلك: أعرف وأمهر، وفعل الأمر يدل عليه، فتقول: درِّبْه - بتشديد

الراء مكسورة- مرِّنه، ليتمرن، ويتدرب على ما تريد منه، -ودارب- طريق أو جبل، لعله في اليمن. ودَرْبه: طريقه ووجهته.

أعتب: من العتاب، والعتب: اللوم مع المودة، وعاتبه: لامه، وأخذ عليه، وإنما يكون العتاب -غالبًا- بين اثنين، وبخفض الصوت، ومطارحة المودة، مع شدة حكيمة، وأعتب فلان فلانًا أو فلانة: ألزمه اللوم بعلة وسبب، وقد يفترق العتاب عن اللوم. وهذا كثير، لكن عند موجبه، وجاء في الشعر: أقلي اللوم عاذلي والعتابا....

وليس هذا من الحشو أو الترادف لاقتضاء الحال بينهما. وليس العتاب هو: النقد، ولا وجه لهذا. والنقد أنواع، ليس هذا مكانه، لكن قال أبو عبيدة: (من انتقدك فيما بينك وبينه فقد نصحك، ومن انتقدك في ملأ فقد فضحك). وقيل: إنه قال: (من نصحك فيما بينك وبينه....) إلخ. وهذا أصح حسب لازم الطرح، والعتاب على هذا تُصاحبه النصيحة. أو هو مرادها من وجه جيد. قال ابن سعد بن لحيدان: وهذا من بالغ البيان طردًا، والعتاب والمعاتبة من موجبات المودة مع ضوابطها، كما في مطولات الصحاح والسنن ومعاجم الآثار.

الـنقـد و الـعقـل الـحر

ناقد: ميزانها الصرفي: فاعل، وأصل ذلك مبين، (م.ب.ي.ن) بضم الميم، وتشديد الياء، من أبان الشيء ووضحه وجلاه.

ونقد الشيء، وانتقاده شيئان مختلفان، فالنقد تقويم وبيان وإيضاح، وقد يمزج معه بحسن خلق وتواضع: التأنيب، تقول: أنَّبه ويؤنبه.

والنقد: مصدر، وناقد صفة، وأصل عموم الوصف في هذا كله: أن كل علم، وكل فن له نقاده، ولا جرم.

فعلم التاريخ. والأدب. والسياسة والاقتصاد. والحديث. إلخ.

كل ذلك له أهله ما بين: ناقد موهوب، وناقد مكتسب مجرب، لكن ما يشكل هنا كما يشكل هناك، إنما يعود إلى الخلط بين: الناقد والدارس، والمحقق، والعارض، والملاحظة.

ولعل أوعر النقد هو نقد: الأسانيد وأحوال الرواة، ذلك أنه لابد فيه أصلاً من الموهبة، ولا ينفع فيه الاكتساب وقوة الصنعة شيئًا يذكر.

ولهذا، فكثير مما يكتب (اليوم) فيما نظنه نقدًا، إنما هو ملاحظة، أو عرض ودراسة، أو هو لا يبعد أن يكون إطراءً مبطنًا، أو هو ذم وقدح، قد تلبس لباس النقد والحرص على بيان الحقيقة، ويجنح جملة من الكتبة على التكرار، والمراوحة، ومداومة كتابة الزاوية، حتى ولو نقد نفسه بنقده سواه.

وفيما يعاد إلى نقد السيرة أو الآثار أو الرواة، من خلال السند، الذي لا يصح المتن إلا به، توجد هناك القدرات الفذة، فتجد: شعبة بن الحجاج، والدارقطني وابن أبي حاتم، أبا حاتم وأبا زرعة والهيثمي وأيوب السختياني ويحيى القطان، تجدهم يصدرون عن رأي، ولا كل رأي.

والناقد لعل من أبرز صفاته الجيدة، تمكن حسن الأخلاق منه، وقوة العقل، وصحة الفهم الممتاز، وقدرة القريحة النزيهة، على تمام العدل والإنصاف بصراط مستقيم كريم جليل.

وأغلب الظن أن كثيرًا من الكتبة يجتهدون (دون ريب) إلى اكتساب صفة: ناقد. ولما كانت هذه العبارة غير مفهومة تمامًا، أصبح كل من يسخر، أو يلمز، أو يسمع غيره، وكل من يهمز أو يجرح سواه أصبح: (ناقدًا)، أو أصبح (كاتبًا ساخرًا)، وكل ذلك بعيد بميزان

النقد السليم وأسسه، ولذلك غلب اليوم الأسلوب الإنشائي، الذي كثيرًا ما بينت عوره، لأنه يدعو صاحبه إلى التطاول، ومجرد الجرح ليس إلا. مع تغيب بين للآراء ووجهات النظر.

ونطالع هذا تسترًا في (المقالات) بين حين وحين.وحينما تقرأ بسعة تأمل، وعمق نظر مكين، ما خطه الآجري في كتابه: (أخلاق العلماء)، وما صنفه الإمام ابن حجر في (هدي الساري)، أو البغدادي في: (تاريخ بغداد) تستخلص حقًّا أصول الكتابة وأساسها بكل (بعدٍ لها) أن يكون، وهذا إنما يحتاج إلى تجرد عقلي جيد، وصفاء ذهن، وطرح حظ النفس.

ماذا؟ هيئة كبار العلماء ومجمع اللغة

تصفحُ التاريخ المعاصر عبر الأسفار المدونة في أنواع العلم واللغة والنقد، يعطيك جزمًا حالة من حب التجديد، وبذل المجهود صوب حاجة الخلق إلى ما يحتاجون إليه، من أمور دينهم ودنياهم.

وإذا كان الإنسانُ يُريدُ نشدان الحياة من خلال الماء والهواء والطعام، فإنه كذلك ينشد من خلال العلم ودراسته، واللغة وفقهها، ينشد الحياة من خلال ذلك كله.وقد تم خلال الخمسين سنة الفائتة بذل وسائل شتى؛ لإيصال العلم وأسبابه، واللغة وأسبابها إلى كثير من الناس.

وهذا جعل العلم واللغة، وجعل أسبابهما الموصلة إليهما سهلة الوصول، مما يعني رفع الجهل في العموميات لا في الجزئيات.

وقد تابعتُ كثيرًا مما يصدر من المجامع اللغوية والهيئات العلمية والنشرات الثقافية، وكلها تجيب إجابات في مجملها حسنة، ينشدها الإنسان لصلاح دينه ودنياه.

ومنذ الـ **50** بل الـ **100** سنة السالفة لم أر جديدًا يمكن أن يُضاف في مسار ما كان قد بذله كبار العلماء خلال القرون من الأول إلى: العاشر، اللهم إلا ما بذل بعضًا منه بعض علماء أفادوا، وحرروا بعض مسائل، كان لا بد منها من باب الشرح والبيان، وفك بعض مراد المفردات، لا من باب (الإضافات)، التي لم تزل يرنو إليها الإنسان، طالب البذل المتجدد على غير صورة سابقة.

ومن هنا فإن ما يلزم من (مركز الملك عبدالله للغة العربية)، وهيئة كبار العلماء هنا في المملكة وغيرها من الدول، التي هي محط نظر الناس، هو القفز إلى مسألة تجديد مسائل العلم واللغة وتحريرها.

ذلك إن الإجابات والإصدارات، واللقاءات والندوات، والاجتماعات، كل ذلك يُنبئ عن خير ووفرة وقت، وبذل جهد ومال وفكر، لكن ليس بهذا يكون تجديد مسائل الآثار، وسبق الحضارة الغربية في مسارها الجيد، وبذلها التقني ورصفها (الإضافات) في مجالات العلم والتقنية.

إنما ذلك يكون من البذل العقلي المرهف الحساس الموهوب، لطرح الآراء العالية القدر ببذل الوسع والطاقة، بعيدًا عن التكرار والنقل والإنشاء.

إنما ذلك يكون من البذل العقلي لإعطاء العلم واللغة من الرأي. والاجتهاد ما لم يكن من قبل.جلس الإمام إسحاق بن راهويه في المجلس العلمي الخاص به، وقد جلس أمامه كبار العلماء في اللغة والنحو والحديث والفقه والأصول: أحمد ابن حنبل، يحيى بن معين، علي بن المديني، قتيبة بن سعيد، أبو داود، ابن ماجة، النسائي، الترمذي، مسلم بن الحجاج، البخاري، وقد كان (هؤلاء الستة) دون العشرين من العمر، فقال إسحاق: لو أن أحدًا ينظر هذه (الآثار)، فيجمعها، ينظر الصحيح منها دون سواها، فقال البخاري: فوقر في نفسي، فألفتُ الصحيح.

وقد كان الناس يعولون على كتب: الأخبار والسير، والتاريخ، وهي كتب تعج بالضعيف والباطل، والآراء التي لا أصل لها، والنزعات البدعية.

كذلك في قصة سيبويه، وابن مالك، وابن فارس، وابن منظور، والجوهري، فإن البخاري جدد وأضاف، كذلك مسلم، وكذلك فعل الذين حضروا مجلس (ابن راهويه) جميعًا.

فإنه صنع من عقولهم النباهة، والسؤدد على تجرم العهود الطوال.

وكل يحمد لهذه الأمة المسلمة ما يراه من الهيئات والمجامع ما في ذلك شك عندي، فقد سعت وبذلت وإجابت كل سائل وطالب إلى مراده.

لكن أين الإضافات؟

أين التجديد المكين؟

(وفقه النوازل)، و(فقه المستجدات)، و(فقه اللغة) من التأمين، وزراعة الأعضاء، وزكاة النقود الورقية، ونقل الدم، وزراعة الرحم، والمتوفى دماغيًّا، كل ذلك تم طرحه ونظره، وعالجته أنا شخصيًّا بالمجلس (العلمي الأعلى الخاص)، ولقي قبولاً جيدًا، لعله بادرة خير إلى التجديد العملي المنشود، لكن ليس هذا بالمراد على كل مراد في مثل هذا الحين.

إن المراد هو ضبط العلم والآثار والقواعد بضابط التجديد فيها، على وجه لم يطرقه القروم قبل ذلك.

ولا يحسن هنا أن نجمع بين قوة الرأي، أو جرأة النقد، أو مركزية المسؤولية، أو كثرة الظهور، أو الكتابة، لا يحسن أن نجمع بين هذا والتجديد. لا يحسن أن يكون ذاك هو هذا.

إذ المؤمل هو الطرح على صورة لا يجدها الباحث، والعالم، والمحقق، واللغوي، لو بحثها لوجدها مبثوثة في كثير من أسفار المتقدمين.

إن كلمة ماذا؟

هذه المفردة اللغوية لها أساس في حياة العلم؛ لأنها أصل من أصول توليد الإجابات الحية المطردة، التي أسهمت في التجديد العلمي غير المسبوق. فماذا؟ تعني إرادة الإجابة ممن طرحها على عالم من العلماء الثقات، لا على كل عالم، فماذا يراد بها؟

أصل هذه المفردة هي (م. ذ. ا).

يقال:

1. ماذا يدل عليه الدليل؟
2. ماذا يستفاد من هذا الأمر؟
3. لماذا هذا النص فيه ضعف؟
4. لماذا هذا القول أصح الأقوال؟
5. لماذا يحصل الفرق بين العينة والربا؟
6. ماذا أراد ابن منظور من تأليفه؟

فهي كلمة تنبش الإجابة، فيحصل العلم.

الـمـتـعـة

يقال:

1. متعة بفتح الميم وتشديد التاء وفتح العين بتاء معجمة: أخره إلى حين.
2. متعه: أجله.
3. متعه: أعطاه.
4. متعه: بذل له مراده.
5. متعه: قدم إليه الطعام.
6. متعه: بضم الميم وتسكين التاء وهاء مهملة بخلاف الأول: مدة زمنية على أساس المصدر، بخلاف متعه بفتح الميم وتشديد التاء، فهذا فعل ماضٍ.
7. ومتع ويمتع: أعطى يعطي، ويدخل في هذا المثنى والجمع، فيقال: متعهما، ويمتعه، وتمتعهم.

وأصل المتعة: أنه كان في الجاهلية، ولعل أول من جاء به (مزدك) من حكام فارس، ثم انتقل إلى بلاد العرب في حين متقدم.

وحين جاء الإسلام أباحه، وحين وقف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا، وأنه كالسفاح، ولعب بالنكاح فيما يخص الفتيات، وتشتيت للنسل المحرم، وأن من يقوم به بالجاهلية الأغنياء، يستغلون الفقراء، فتتعطل النساء لكثرة نكاح المتعة، وضياع حقوق المرأة، وتدنيس شرفها، حرمه تحريمًا قاطعًا، وشدد في هذا، كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر نكاح المتعة، ففرحت النساء بهذا، وارتفع أمر المرأة، وعلا شأنها.

وأصل نكاح المتعة: أن الرجل ينكح المرأة إلى مدة معينة، ثم يتركها، ثم الأخرى ويتركها، وقد يفعل ذلك عشرين مرة في سنة واحدة، عند سفرة من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر، ثم يترك.

والإمامية في مذهبهم لا يرون بهذا بأسًا، يقول أحدهم: نكاح المتعة أمر به أئمتنا. يقصد الكليني، ومن معه، وأنا جئت من زواج المتعة، وهذا شرف لي)، وهذا من دعاة مذهبهم، أصله فارسي، قطن جده الرابع أو الثالث الكويت. وهو ياسر الحبيب.

وهناك عقلاء، منهم لا يرون نكاح المتعة، بل يشددون على بطلانه وتحريمه، ولا يرتضونه لبناتهم أو قريباتهم، وقد أجمع الصحابة، وأصحاب القرون المفضلة، ومن جاء

بعدهم، على بطلانه وخطورة حاله، وكذا وافقهم كثير من أصحاب المذهب، بل إن بعضهم يرجم بسببه.

وقد كان أهل الجاهلية، وهذا عود على بدء، يرون هذا سفاحًا ظاهرًا، وينفون من قام به.

وقد كان يكون للمرأة الواحدة عشرة من الأولاد، من عدة أنكحة، من عدة رجال، وفي التحليل النفسي الأخير المعتمد على وثائق تحليله، فقد تم رصد الانحراف السلوكي والخلقي، خاصة في لندن لمن كان والداها مطلقين، أو بينهما مشاحنة ظاهرة أمام الأطفال، أو كثرة غياب الأب عن الأسرة، أو الإدمان من قبل أحد الزوجين.

لكن الذي تم رصده في الأربعين سنة الأخيرة: أن أطفال زواج المتعة يشكلون قرابة **74** في المئة من الشباب التائه، خاصة أولئك اللذين تبين لهم: أنهم جاؤوا من نكاح المتعة، وإن كان بعضهم يعوض هذا النقص الشديد بظهوره كداعية، أو طبيب، أو حادور، وما شابه ذلك، لكن تبقى الغصة كامنة في اللاشعور.

وأذكر بحكم تخصصي: أنه لم تفلح جلسة طبية مع هذا النوع، لعدم القدرة على معالجة السبب الرئيس الكامن في أغوار العقل الباطن.

ويرى كثير من أهل العلم والمحللين في العلاج النفسي: أنه لا بد من وقفة قوية تثقيفية علمية، لبيان خطورة هذا النكاح، ويأتي مثله النكاح بنية الطلاق، فهذا وذاك سيان.

والثاني مع الأسف الشديد يرتكبه بعض المسافرين لدول أخرى، هروبًا من الوقوع في الخطأ بينما هم قد وقعوا فيه.

ولا شك أن المسؤولية تقع على الشخص ذاته، الذي يحسن به أن يحكم عقله، على أساس النص الصحيح.

الإعجاز اللغوي من خلال (أن) الناصبة

ليس المعول عليه في كسب العلم، وفهمه، والإحاطة بما يهم العالم في باب من الأبواب، أو في مسألة من المسائل. ليس المعول عليه كثرة القراءة والنظر، وجمع كتب تساوي أو تقرب من ثلاثة آلاف كتاب، إنما المعول عليه -كما سبرت حال كبار العلماء الأقدمين- ما يأتي:

1. الاستعداد العقلي الفطين للمسألة، أي مسألة.
2. شدة التحري والدقة للوصول إلى المراد.
3. قوة الفهم، والإحاطة بالأدلة الصحيحة، والاستشهادات المعول عليها حقيقة.
4. دقة العمق للوصول إلى النتيجة، بعيدًا عن التعصب للرأي المجرد الأحادي.
5. جمع أطراف المسألة من أكثر من كتاب، وبذل الرأي الصواب.
6. عدم الجزم بوجوب حقيقة ما وصل إليه، بل جعل الباب مفتوحًا.
7. حسن الخلق حين المعالجة، أو نقاش المخالف، ولا أقول: الرد.
8. موهبة النقد الذاتية الصحيحة، وهذا أقوله للتفريق بين النقد الموهوب ودراسة الأعمال.
9. إعادة الصواب إلى أهله، وعدم غمط ذوي الفضل حقهم.
10. الاستشهاد والاستدلال بذكر المصادر وأسماء المؤلفين أداءً للأمانة.
11. التوقف عند عدم الوقوف على حقيقة ما يريد الوصول إليه في مسألة أو باب.
12. استشارة كبار العلماء الموثوقين، فيما يراد طرحه؛ فقد كان البخاري يسأل علي بن المديني دائمًا، وقد كان مسلم يسأل أبا زرعة الرازي، وقد كان ابن ماجة والترمذي والنسائي يسألون يحيى بن سعيد القطان، إن تم اللقاء.

وقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي يسأل حماد بن سلمة، وشاع هذا عند ياقوت الحموي وابن منظور، ومن قبل الإمام ابن جرير الطبري وابن قتيبة وابن أبي الدنيا. قد كانوا يسألون إذا عز عليهم شيءٌ من العلم، ولا يتكلون على الفهم المجرد أو النظر المجرد، بل قد قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وهذه مسألة قد قلت اليوم: فمن خلال تجوالي في كثير من الديار -بحسب اختصاصي العملي علميًّا وإداريًّا- فقد قلّ السؤال والنقاش؛ وذلك بسبب الاتكال على وسائل الاتصال الاجتماعي، ونسب الشيء إلى النفس.

وهذا الذي أقوله من النقاط السالفة، لو دُرست من خلال الهيئات العلمية، وكذلك المراكز ومجالس الجامعات، وأشرف عليها المسؤولون بشدة تحرٍّ وقوة متابعة، أغلب الظن أن التجديد العلمي غير المسبوق قاب قوسين أو أدنى.

وعلم اللغة الذي هو أصل من أصول العلم، الذي يحسن الأخذ به بجانب علم النحو -كما رأينا في الجزءين السابقين- هو الذي يجب أن يكون في الاعتبار، ولا سيما وقد ضربت مثالاً قائمًا في حرف (أن).

تدهور الكتابة، وضياع الفهم

قلتُ: من قبل هذا لا يلزم في حالاتٍ كثيرةٍ، من حالات: العلم أو اللغة أو الطب أو الإدارة: أن تكون (حالة النخبة المنتخبة) هي أعلم وأدرى من غيرها، ممن ليسوا هم من النخبة. وفي كل خير.

ولقد وجد منذ قديم الزمان في مواطن شتّى من البلدان: أن هناك من يُعاد إليه في أدق مسائل: العلم أو اللغة أو الطب أو الإدارة. إلخ، لم يرغبوا الظهور في الواجهة، أو أنهم تركوا ذلك عمدًا للتفرغ لحرية الطرح، والتنظير، والإضافات غير المسبوقة، أو أنهم تُركَ أمرهم لتهمةٍ ما، أُلصقتْ بهم أو بواحد منهم، تبين بعد ذلك أنهم منها براء كل البراءة.

وفي تراجم كبار العلماء ما بين سنة: **100** حتى **300**، ومن سنة: **400** حتى **800**،

ظهر في مدونات التراجم، من رُجع إليه دقيقة، عجز عنها من شاع خبره أنه من القروم الكبار، ففي: (مختصر ابن عساكر) و(طبقات المحدثين) و(تذكرة الحفاظ) و(طبقات الفقهاء) و(البداية والنهاية) و(تاريخ الأمم والملوك) و(المبتدأ والخبر) و(سير أعلام النبلاء)، وفي كثير من (مذكرات النابهين) من ساسة وخبراء وعلماء، إلخ. وجد من كان رأيه واجتهاده يُحتذى بها، وتثمر وتبني لو أُخذ بها في حينها ذاك.

وسوف أختار شيئًا مُهمًّا مما علق في بالي عن مثل هذا، تجرمت القرون المتتالية عن طبيعة ما يجب أن يكون تجاهها، لكن حال السفر بالنسبة لي تجعلني أصوغها بمعناها، وهذا مني كما عودت نفسي أن أفيد وأستفيد، فمما أردت إيراده ما يلي:

1. لا يتفتق العلم إلا بروية، وسبق فهم.
2. لا تجمع بين تهمة وكره، ونبذ تخسر.
3. المصلحة إذا علت باد العلم.
4. إذا تقرب إليك معيشي يتصنع دعه.
5. لا تجعل اللغة ضحية العامية، فتندهر الحضارة.
6. كان الناس يخافون من دعوة أحمد عليهم، وابن معين، والعز بن عبدالسلام، ويتقون الله في سيبويه والبخاري وابن تيمية.
7. إذا لم تتلق الشكوى، ورددت من طلبك، عشت في تخوف.
8. كان العلم لا يكرر في المجالس، إنما التجديد، وصحة الأثر ودقته .
9. اللغة روح الكلام، وعقل اللفظ، وجمال التأليف، فلما ركب الناس العامية هلكوا.
10. العقوبات لا تأتي إلا تدرجًا، فإن لم تحذر جاءك البوار، لكن على حين غرة.
11. إذا سكت من أسأت إليه أو هجرك، فانتظر الطامة، لكن كيف تفعل.

12. في ابن عساكر عن الرشيد: أن زنديقًا كان يصنع الحديث (يكذب)، فقال له الرشيد: كيف تصنع هذا؟
ه الرشيد:إني أصلبك الآن.فقال له الزنديق:يا أمير المؤمنين: كيف تصنع في (أربعة آلاف حديث) أُحللُ فيها وأُحرم؟
الرشيد:أين أنت من ابن جريج، وابن المبارك، ينخلانها لك نخلاً؟!.

13. لا تؤخذ اللغة والعلم بكثرة القراءة، أو كثرة الكتابة، فهذا عناد، لكن بالفهم، وسداد النظر، وتمام العدل في الطرح.

14. رحل كثير من العلماء، ليلقوا سيبويه، والكسائي، وعامر الشعبي، وقتادة، وابن وارة، ويحيى بن سعيد القطان، وابن جني، والمبرد، وابن فرحون، والقرافي، والشاطبي، فكانوا يعجبون من حال فقرهم، ولزومهم بيوتهم، مع أن خبرهم طبق الآفاق، واحتاجهم الخلق.

15. نباهة العلم بحرية النظر.

16. الاجتهاد يحتاج إلى تجرد، وسمو نفس، وحسن خلق، وحفظ، وفهم.

17. من يُناوي غيره بالتسفيه وسوء اللفظ تركه النقاد.

18. من زعم الدراية وقوة الحجة، ثم تطاول، واعتمد على جرأته واستمراره، أوحت إليه نفسه سيد هُناك: يهلك.

19. رحل رجل من الكوفة إلى المدينة، ليسأل عمر عن مسألة، فلما لقيه قال: من أين أقبلت؟
لكوفة.-
بك؟
أردتك بها.
ا هذا إلى الكوفة. -
هذا؟
ي وفيكم ابن مسعود! ارجع أصلحك الله.

20. أصول العلم: النية، الفهم الجيد، شدة التأني، التجرد التام، الذكاء القوي السليم، الحفظ والفهم.

21. من لم يفهم، وظن أنه يفهم، قد يلزم غيره بغير ملزم.

22. التجديد العلمي، والإضافات الفذة، ليست كتابات ما أو تنظيرًا ما أو إلزامًا ما. إن ذلك طرح يخالج العقول، وتقبله القلوب ولو بعد مئات الأعوام.

23. من لم يقتن كتاب (المغني)، وكتاب (المحلى)، وكتاب (عيون الأخبار)، وكتاب (إعلام الموقعين)، فلعله يترحم على نفسه.
لا بد منها: أن عامة الناس قد قلت قراءتهم، وإن قرأ الواحد فعلى العجلة، أو للضرورة الملحة، أو لمتعة الوقت، أو تسلية النفس، والإيحاء أنه يقرأ.. و.. و.. ولهذا قل النبوغ التجديدي، أما التجديد كتجديد فأين هو ذاك؟!!!.

ل ذلك نجد كثيرًا من الكتابات اليوم، قد داخلها الإنشاء والخطاب المباشر، بجانب تكرار القول مع اختلاف بين هذا وذاك.

العلم واللغة. وهذا الطرح

الصفاء، وصدق الحدس، ونباهة العقل، ثلاث صفات وجدتها خلال قراءاتي لتراجم العلماء المبرزين عبر القرون الثلاثة الهجرية.

ولا جرم -والحق يُقال- فإن أساسيات العلم بعد نية صالحة سعة أفق، وبعد غور النفس إزاء المعضلات من المسائل العلمية واللغوية، ليس منها بُعد الصيت (بضم الباء)؛ فليس هذا من الأساسيات في شيء. كان يحيى بن سعيد القطان، وكان شعبة بن الحجاج، وكان مسدد بن مسرهد، ومعهم قبلهم منصور بن المعتمر، وكذا مسعر بن كدام، وحماد بن سلمة، إذا رأوا أن قد مال الناس إليهم وكثرت الحلقات خافوا أن يكون ذلك استدراجًا، لكن الله عَزَّوَجَلَّ يأبى إلا أن يكون بروز العلم وتجديده حفظًا وفهمًا. دراسة ورواية. وسداد ظن. يأبى سبحانه إلا أن يكون ذلك على يد ثلة قليلة من بين كثر، وكثر من العلماء.

ولهذا أطنب البخاري ومسلم وسيبويه والكسائي والذهبي وابن حجر والمزي على مثل هؤلاء الأجلاء.

وإنني لمورد ما يشاء الله تعالى لي أن أورد، مما حضرني على نحو جليل، مما يحسن إيراده في مثل هذا الزمان. جاء:

1. (لا تُصنف حتى تعلم ما تعلم).
2. (مصيبة العلم العجلة في العلم).
3. (لا ينهض عالم ما إلا بفهم اللغة).
4. (من كثرت كتاباته ملَّه الناس).
5. (من كثرت كتاباته كرَّر وأطنب).
6. (من كثرت كتاباته يركب الإنشاء).
7. (العقل السليم لا ينضج إلا بروية وخُلق).
8. (من كثر ماله وسكنه هلك).
9. (لا يستوي العلم مع الجهل باللغة).
10. (لا تزعم التجديد في النحو مع كثير القول).
11. (الثقة في النفس جليلة، إذا رافقها حسن خلق، وحسن لفظ، وجلال روية).
12. (سبقنا من حفظ وفهم بصلاح مقصد، فجددوا ونالوا الحمد).
13. (علم اللغة كعلم النحو، مادتهما العقل).
14. (ليس المهم أن تكون مسؤولاً، فيكفي أن يكون لديك شعور بالمسؤولية تجاه فهم مسائل وأوجه العلم، والإضافة إليه).

15. (ليست الشهرة بابًا لكنها تكشف عوارك).
16. (لم يبلغ سيبويه هذا المنصب، إلا بعد كلال، والسير على الشوك، حتى تخطى ذلك، ليس كله، وحتى طلب علم الحديث: سندًا ومتنًا).
17. (تحرير العقل شرطه نبذ الهوى، ودحر التعصب، وبذل سلامة اللسان).
18. (من لم يكن موهوبًا يستطيع كسب الموهبة، بقراءة سير كبار العلماء، وما بذلوه، وتراجم طبقات المحدثين وطبقات النحاة، كلها بين أيدينا).
19. (من طلب كثرة المال والجاه تركاه، وقلاه الناس وإن زاروه).
20. (من يمكر بغيره، أو يسيء إليه بحال أو مقال، تركه العقلاء).
21. (حسدتني أنني كنت عالمًا، وشوشت بدهاء وذكاء، ولم أحسدك لمال أو سكن أو جاه).
22. (لم يدرك أعداء اللغة خلودها؛ لأنهم وحدهم أسهموا في هذا).
23. (طلب اللغة والنحو والبلاغة، لا يصلح ذلك لمن أراد الظهور).
24. (بذل الجهد العقلي الجاد القوي المركز، يكسبك الهيبة، وقوة الفهم).
25. (في (المساكين) و(أوراق الورد) للرافعي، وقفات جادة، بأسلوب جميل، يحاكي العقل، هل قرأتهما؟).
26. (شعبة بن الحجاج، وأيوب السختياني، وابن جماعة، والتبريزي، والآمدي، وابن قتيبة، وخلق مثلهم، كانوا قبل طلب العلم واللغة والنحو والنقد، يطلبون الأخلاق، وحسن السمت، وطلب أسباب الإضافات الجليلة، كل في مجاله، ثم هم يلتقون).
27. (من الصعب أن تستغل غيرك، إذا كان رجلاً شهمًا، فإن فعلت آذاك، ثم آذاك إن كان حرًّا).

وليس آخرًا، فإن مدارك العلم تدور على الموهبة، وحسن السمت الواعي، وتدبر حال السابقين من علماء وأساطين القرون المتطاولة، وليس بغائب أبدًا هذا، لكنه يغيب، ولِمَ لا إذا لم تقرأ تراجم من سلف، وتعيها بأذن واعية، وما يدريك؟ وما يدريك؟ فلعلك أنت تكون بازًا هواك ومستراحك؛ لتبدي وتضيف بعد جهد وبذل وحلب للدهر، تاركًا شطريه بعد الله تعالى عليهما المعول.

العلم واللغة بين الدولة والاجتهاد

علماء الاجتهاد اللغوي وعلماء الاجتهاد العلمي الشرعي ليسوا كغيرهم، يطلقون القول على علاته، فهم حينما أسسوا مدارك القول، وصنعوا آيات المفردات الدالة على عظم دور اللغة في معرفة الأحكام، إنما كانوا يريدون شيئًا ذا بال.

كانوا يريدون. وإخالك تفهم ذلك. أن العلم بحاجة أشد ما يكون إلى القدرات الفذة، لا إلى كثرة الكتابة، وكثرة التصنيف، وكثرة المجادلات، وكثرة النقل والعرض.

كانوا يقصدون ذلك، لا يحيدون عنه (طرفة عين)، ولا ينشدون سواه، ولا يسعون إلا إليه.

كان ابن وارة، ويحيى بن سعيد القطان، ويحيى الذهلي، وشعبة بن الحجاج، وحماد بن أسامة، وأيوب السختياني، وابن أبي بردة، ومسدد بن مسرهد.

وكان أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وابن عابدين، والسرخسي، وابن قدامة، وابن رجب، والقرافي، واللالكائي.

وكان سيبويه، والكسائي، وابن جني، والفراء، والمبرد، والعيني، والجوهري، كانوا يصبون في مصب واحد، ويسيرون مسيرًا واحدًا، ويقذفون بقدرات ناهيك بها من دلائل الاجتهاد: أننا اليوم (عالة عليهم)، ولم نزل حتى هذا الحين مع توفر آليات العلم الجيد، واختصار الوقت، وسرعة جلب المعلومة، لم نزل نستشهد بهم، وننقل آراءهم، ونبين أمورهم في دقائق اللغة، والنحو، والعلم، والآثار.

والواحد منهم يشكل مدرسة مستقلة، بما يورده ويستشهد به، وله دون تكرار أو إنشاء، أو نقل مجرد.

رحل البخاري ورحل مسلم إلى (ابن وارة).

ورحل ابن ماجة ومسلم إلى (أبي زرعة).

ورحل أحمد بن حنبل إلى (عبد الرحمن مهدي).

ورحل أبو داود والنسائي إلى (قتيبة بن سعيد).

ورحل سيبويه إلى (حماد بن سلمة)، إلخ.

رحل هؤلاء من كبار العلماء إلى أولئك من كبار العلماء، فصدروا عن علم ورواية ودراية، وفهموا العلم: أنه الفهم، وبذل الرأي فيه، والإضافات التي لا بد أن تكون: (اجتهادًا في النص، لا مع النص).

ولعلك مع الأريحية، وسعة البال، وطول التأمل، وشفافية الروح، وسلامة العقل والفكر من الشواغل، لعلك فقط حينما تقرأ تراجم أولئك أو ترجمة واحد منهم فقط، تعود تلقائيًّا، ولا نكوص بعد ذلك، إلى أن مذهب القوم اليوم يسير في سبيل:

لا أدري متى يقوم؟

وكيف لو قام؟

وشخصيًّا سمعت وكلفت بعضًا من حولي، جمع بعض سبل العلم المتداولة وسبل اللغة وسبل الفكر، فهالني هذا الكم الكثير من الجمعيات والهيئات الرسمية. وكذا المستقلة، فعدت جذعة أقرأ من هنا وهناك، من هنا تارة، ومن هناك تارة أخرى، فلم أجد إلا التكرار والتنافس والمشادة بلسان الحال.

ولم أجد إلا الثناء والمدح في العرض بين كاتب ومؤلف، وبين كاتب وكاتب، وبين كاتب وهيئة أو جمعية أو مركز، لم أجد تأسيسًا للطرح، ولم أجد بسطًا في القول، لبيان ما يحسن وما لا يحسن، تغلب المجاملة، ويغلب الثناء، وتغلب صناعة الألفاظ الرقراقة الجميلة، لكنها عرجاء كبلبل فقد أحد ساقيه، فهو يغرد ألمًا بصورة لا قيمة له، عند من يحسن الفوارق بين صورة وصورة.

أجزم الجزم كله: أن الهيئات والمراكز والمجامع والأسبوعيات حتى الجنادرية، أجزم كل الجزم لا بعضه: أنها تنشد سبيل التجديد والنفع وطرح الغير في شتات متفرقة من العلم والآثار والثقافة واللغة، لكنها كلها، نعم كلها لم ترو الغليل، فيما من شأنه تأسيس آليات الطرح الإضافي، الذي لم يكن مسبوقًا من قبل.

ولهذا فأرى أن (الدول والدولة) كلها معنية بضرورة نشدان القيمة الكيفية لا القيمة الكيمية، نحو: العلم واللغة والثقافة، وذلك بلازم تجديد الطرح والبذل، حتى في الإلقاء والتنظيم، والعلاقات مع الآخر الزائر أيًّا كان.

وليس هذا فقط، بل لا بد من بذل، واختيار القدرات العالية، في سياسة: العلم، والفتيا، والتصنيف، والمراجعة، والإدارة، ذلك أن عملية (التجديد موهبة)، أصلاً، وهذا كله لا يكون ما لم يكن هناك عدم تكرار، وعدم كثرة القول في سبيل واحد، وفي مصب واحد، كل هذا يؤدي إلى التكرار، وان اختلف الظاهر بين هذا وذاك. وفيما صنف ابن خلدون (المقدمة)، وذكر فيها أساسيات علم الاجتماع، وسياسة النقد العلمي والحضاري.

وفيما صنف ابن قتيبة (أدب الكاتب)، وفيما ألف ابن عساكر (تاريخ دمشق)، وفيما طرح ابن جرير الطبري (تاريخ الأمم..)، فيما صنعوا ذلك، إنما أرادوا بيان حقيقة أصول الحياة، وكيف تكون؟

والفرق بين عالم وعالم.

والفرق بين علم وعلم.

والفرق بين كتاب وكتاب.

والفرق بين كتابة وكتابة.

ليكون بعد ذلك ما يكون حقه أن يكون، وما ليس بذي بال، مهما كان صاحبه، وأعلم جيدًا أن هذا ليس بعسير، وليس بذي ثقل، لا يمكن القيام به، لكن الوصول إلى الغاية لا جرم تبدأ من الخطوة الأولى، وتبدأ إذ تبدأ بخطوة ثقيلة، ذات بعد مهم في سياق الرغبة الملحة في التجديد، والعبرة هنا كل العبرة في مثل هذا السياق، هو نظرة الكيفية لا الكمية، في نشدان ثقل وقوة، ودوام العلم وأصوله، واللغة وأصولها، والآثار وأصولها، والفتيا وأصولها.

نقد آراء كتابات العلماء واللغويين

يستوجب نظر الألفاظ في أطروحات علماء اللغة وعلماء الشرع، يستوجب ذلك فهم مراد هؤلاء العلماء وأولئك على حد سواء، إذ لا يجوز البتة أخذ المعاني من هذه الألفاظ، إلا بعد سبر غور مراد الطارح لها، خاصة في المسائل التي تحتاج إلى فك ذهني ضارب في الأعماق.

ومن أجل ما قد يحصل عند الباحثين في أسفار علم اللغة والنحو والبلاغة، وما قد يكون عند كثير من علماء الشرع خاصة: (الحديث. الفقه. الأصول. المصطلح)، ما قد يكون عند هؤلاء وهؤلاء من العجلة، أو الفهم السابق لمراد غير مراد، أو ما قد يحصل من اعتماد على تصوير غير صحيح، فإن أساسيات تقعيد العلم في هذا كله تعطي نتائج خاطئة ولا محيص، ومنها يتردى العلم شيئًا فشيئًا بسبب:

1. العجلة في القراءة.
2. العجلة في التحقيق.
3. العجلة في حب الوصول إلى النتيجة.
4. العجلة في فهم ليس بذاك.

وبسبب:

1. سوء الفهم.
2. أو إلزام النص بغير ملزم.
3. أو ضعف إدراك شرط المصنف لهذا الكتاب أو ذاك. ولما كنت في هذا (المعجم اللغوي) أحاول جاهدًا الجهد كله التجديد في مسألة الفهم الذهني والإدراك العقلي على غرار كتابي: (حال المتهم في مجلس القضاء)، وكذا: (نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين)، فإن ما يحسن هنا كما حسن هناك: أن أورد أمثلة، أعتبرها (ظاهرة) لدى كثير من العلماء والكتاب والمحققين. وأولئك الذين يعنون بتخريج الآثار من كتب التراث، وذلك حتى تكون كتابات اللغويين والباحثين ذات مسار يحسن السكوت عليه، وسوف أختصر، وسوف يكون هذا معينًا للباحثين والقضاة والمفتين بإذنه عَزَّوَجَلَّ.

وما سوف أذكره إنما أذكره (لمامًا)، ويدرك ذلك المعنيون في مثل هذا، فعلى بركة الله تعالى:

أ.

في هذه المسألة خلاف.

الصحيح: (اختلاف).

ب.

هذا ما ذهب إليه الجمهور النقد:

(أي جمهور تريد)؟

ج.

قد ذكر النحاة هذه المسألة.

الصحيح: (قد ذكر بعض النحاة).

د.

أخطأ سيبويه في مسألة كذا وكذا.

الصحيح: (لعله اجتهد، وحسب فهمي هذا هو: الصواب).

هـ.

إنما انتقد هذا الكتاب لما ورد فيه من آراء جانبت الصواب. الصحيح: (إنما أقوم بدراسة هذا الكتاب، لما فيه من آراء، لعلها جانبت الصواب، وقد يكون الحق معه).

و.

وهذا رأي في هذا القول الساقط، الذي خالفه فيه غالب العلماء. الصحيح: (وهذا ما أراه في هذا القول المخالف، الذي خالف فيه كثيرًا من العلماء، مثل: فلان.. و.. و.. و.. و.. حسب كتاب. وكتاب. وكتاب).

ز.

هذه كلمات لا قيمة لها، وأين هذا الكاتب من هذا العلم. وهو ليس من أهله. الصحيح: (وهذه كلمات لعله زل فيها، وأين هذا الكاتب من حقيقة ما يريده، فتاه عنها)؟.

ح.

وهذا باب واسع جدًّا يصعب جمعه، وهو عند علماء اللغة باب متفرع، تركوه لغزارته. الصحيح: (أولاً. ما هذا؟). أولاً: وهذا باب واسع، يصعب جمعه في مثل هذه المساحة، وهو

عند علماء اللغة باب متفرع، كما عند فلان.. وفلان.. وفلان، في كتاب.. و...و... لعلهم لم يتركوه، لكنهم بحثوه متفرقًا لأهميته، كما هو عند: فلان.. و... و... و... و.).

ط.

وهذا القول هو: الراجح، بل الصواب.

الصحيح: (وهذا القول راجح عند: فلان.. و.. و.. و.. كما في كتاب.. و.).

لكن القول فيه اختلاف، وهذا ما أراه. وقول: (الراجح بل الصواب)، هذا تشنج لفظي لا داعي له، في مثل هذه المسائل العلمية الدقيقة.

ي.

وأهداني أستاذنا الدكتور. كتابه (....)، وهو من أجل الكتب بل أعظمها، وكنا نتسابق إليه فيما كنا (طلابًا في الجامعة)، لغزارة علمه وقوة حجته، وفيه (هذا الكتاب) آراء صائبة، غطت على آراء كثير من العلماء السابقين...) إلخ.

الصحيح: (أولاً.. ما هذا).

ثانيًا.. ثم ماذا؟ أليس يجدر أن يعرض الكتاب عرضًا علميًا، بعيدًا عن العاطفة وعين الرضا، ثم إن (في هذا الكتاب) آراء صائبة، غطت على آراء كثير من العلماء السابقين، فهنا سقط، فلعله أراد (هداه الله) (على آراء كثير من آراء العلماء السابقين)، وهذا القول بحد ذاته زلة كبرى، اشتركت فيها العاطفة بالعجلة بسوء الفهم.

البعد عن منهج العلم والأخلاق وحسن الأدب.

ك.

ومذهب (ابن جني) في شعر المتبني: أنه يفرد المرادفات، ولا يتسع صدره لمعالجة جل ما قاله، الصحيح: (وما ذهب إليه الإمام ابن جني في شعر المتبني: أنه يفرد المترادفات، ويترك ما وضح معناه من المفردات).

وابن جني رحمه الله تعالى من قوم كبار في المجال الذي كتبوا فيه.

ويأتي اليوم من يكتب: (ولا يتسع صدره) (لمعالجة جل ما قاله).

ومن المعلوم أن من أسس دراسة العمل العلمي، أو اللغوي، أو الأدبي: أن يكون الدارس لهذا العمل على درجة كبيرة من المساواة بينه وبين من يدرس كلامه.

حتى (علماء الحديث) في باب (الجرح والتعديل) جعلوا ضوابط مهمة، منها: حسن الخلق في اللفظ، وأن يكون المتكلم قرينًا لمن ينتقده، لكن بحدود الأدب، وتحرير المسألة من سوء الفهم، والغرور ولمز الذات، أو وصفه بما لا يجب من مسلم عاقل شريف.

واليوم وأنت تطالع ما يكتب يهالك ما تقرأ، وما يمر عليك من مفردات وآراء وعبارات. لو ثمة من قالها أو كتبها أحد من قبل لكانت عليه بارقة، لعله لا يكتب شيئًا بعد ذلك. وهذا سبب التجديد عند الأقدمين، وهو سبب الإضافات، التي لم تطرق من قبل، إلا بوجه مشابه في لفظه، أما معناه فهذا غير ذاك.

وطالع إن شئت: (تاريخ بغداد)، (أجزاء **3**، **5**، **6**) ، وكتاب: (الجرح والتعديل)، (المقدمة) (**1-19**)، و(أجزاء **5**، **7**، **9**).

(أَصْبَـرُ)

كنتُ قبل هذا أجملتُ القول عن: أصبر. التي هي على وزن: أفعل، حتى جست خلال الكتب، أناوشُ منها فآخذ وأدع، حتى سلك بي السبيلُ إلى الازياد من المراد حولها، فألفيتني أحدثُ نفسي، أو هي تُحدثني: أن أطرق بعضًا مما لم أكن قد طرقته من قبل، ولهذا -تُراني- أخي قارئ هذا (المعجم) أزفُ ذلك إليك، حسبما ألفيتُهُ، وزدت عليه من إضافاتٍ، رأيت أنّه لا بد منها، وعلى كل ذلك أُفيدك، فأقول:

إن: (أصبر) على وزن أفعل، فهي رباعية، وهي حروف أصلية، يشتق منها سواها.
أ. فأصبر: تحقيق وصف.
ب. وأصبر: تحقيق حال.
ج. وأصبر: صيغة مبالغة.
د. وأصبر: تكون: علمًا.

وجاءت على الحقيقة في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥﴾]البقرة:١٧٥[.

وجاءت على الحال والوصف في هذا المثل:

(أصبر من جمل)، و(أصبر من ضب). وذلك أن الجمل يَصبُر على عسف صاحبه، وإذلاله له، كما يصبر عن الماء، ومثله: الضّبُّ فهو عن الماء أصبر، لأنه يأخذه من الأوراق، ولعله يصبر طويلاً دون أكل.

وعلى تحقيق الحال اللازمة قولهم: (أصبر من عنيد، وأجلد من مُكابر). وعلى هذا جاء (أصبر على الخطأ ممن ينشد هواه).

وعلى صيغة المبالغة: (أصبر من السليك ابن السلكة). وذلك أنه يعدو جدًّا، ويُبالغ عند الطِّراد، حتى يشق عليه ذلك.

وتكون علمًا يُعرفُ بها المرءُ: (أصبر بن يحيى بن خالد الكنعاني). وهكذا، وأصل (أصبر) مأخوذة من الصَّبر، والصبر: سمة عالية، وهي من صفات العقل، أعني: السمة، فالعقل يُوصف بشدة التحمل والصبر، فإذا كان العقلُ: واعيًا، واسع المدارك، بعيد الغور. صقلته بنات الدهر، حتى حلب شطريه، كان هذا وصفًا ممتازًا له.

وعلى ذلك كله، فالصبرُ على حالات منها:

1. الصبرُ على طاعة الله تعالى.

2. الصبرُ على أقدار الله تعالى.
3. الصبرُ عن المعاصي والآثام.
4. الصبر عن دواعي الإساءات.

وأصل هذا حبسُ النفسِ، ورد الهوى، وتمام العدل، وتوزيع الحقوق، وضبط القول عن الحّيف.

والصبرُ في أصله نوعان:

أ. صبر الإرادة.

ب. صبر الاضطرار.

فالأول هو: الصبر الواعي، فتصبر على الأحمق مثلاً، وتوادعه ثم تتركه، وتصبر على أذى القريب الحاسد، أو الجار المؤذي وتُداريهما، وتصبر على مشقة الطريق البعيدة، وهذا النوع ينتجه العقل الحر.

والثاني هو: الصبرُ على إساءة القوي، الذي إذا قال فعل بدهاء أو مكر أو سعة حيلة.

وهذا النوع من الصبر شديد على العقل جدًّا، ولعله من شدته عليه يورث المشقة البالغة، لكن له خبيئة، وله سر عجيب، وهو أن صاحبه منصور إذا دعا، وألح على الله تعالى بالدعاء عند شدة الكرب، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف:١١٠]، وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وهذا النوع يصعب جدًّا ملاحظته من المسيء للمساء إليه، ولا يكاد يفطن إليه، إلا سادة العقلاء من الأخيار، حتى إن بعضهم لعله ينكسر ويتذلل أمام من (صبر اضطرارًا) بسببه حتى يعفو عنه، ولهذا تقول العرب: (إياك ومن صبر وسكت خوفًا).

وتقول: (إذا آذيت فدعْ من صبر)، وجاء عن الرُّوم: (رد إليك من تركك، فلعله صبر بضرك له)، وجاء عن العرب: (كن من الضعيف الصابر أخوف منك من الجرب المعدي، رده إليك تسلم).

وجاء كذلك: (أنجح لك: مُواساةُ من سكت صبرًا يقذفك عند الله).

قلتُ: باب هذا مُطرد نورده في حينه من بابه الآتي على لبابه، بحوله تعالى.

أمـلق

أملق: افتقر، وإملاق افتقار، وجاء في القرآن الكريم: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء:٣١]، ومُملقة مُفتقرة، لكنه قليل.

أجهد: من الجهد..

أخذًا من إجهاد النفس، وبذل الطاقة والوسع، يُقال: أجهد نفسه: أتعبها، وأجهد دابته: أتعبها، ويُقال: يجهدون بضم الجيم: يُتعبون بضم الياء كذلك.

وأجهد قوم: أتعبهم، وأضناهم، وأصل الجهد أنه من المعاني لا من الذوات.

والإجهاد إذا أريد به الجهاد، فهذا له وجه آخر بينه في (زاد المعاد).

وبين أنواعه وأسبابه وحقيقته، وليس هنا (بابه)، لكن المراد الجهد، وهو البذل واستفراغ الطاقة، ولهذا يقال: أجهد: (البخاري) موهبته، وأجهد: (العز ابن عبدالسلام) الموهبة. يُراد بذلا مع الموهبة الزيادة، وهو: التجديد والإضافة، وإجهاد: إتعاب، وجهد تعب.

أَبيٌّ: من الإباء، وهو الامتناع عن الضيم، يقال: أبى: امتنع، وأبى. أشد قوة من امتنع، لكن لكل مقامه.

(وأبى- وأبا) أراد، وهذا وجه آخر.

﴿فَأَبَىٰ ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۝٩٩﴾ [الإسراء:٩٩]، بيِّن المراد منه، ويقال: يأبى: يمتنع.

وسمعت من بعض أهل جيزان: يأبى (بالياء) يريدون: لا يريد.

يقول بعضهم: (يأبي ياجي)، لا يريد أن يأتي وهي لهجة، وسمعتها من بعض أهل المغرب وليبيا.

و(أبيٌّ) إنما يوصف بها السيِّد الحرّ الكريم، عند نصرته للضعيف المضيوم المشاء به، ويأبى الضيم، أي على نفسه إذا كان حاكمًا أن يظلم ضعيفًا، أو يبعد أو يترك، وهو قادر على نصرته بحال ما، وصورة ما، وإنما يرد الوصف بها قليلاً، لقلة من يقوم بها. لكنها تطلق مجازًا على القوي الكريم.

ولهذا يوصف ابن الخطاب، وابن أبي أوفى، وأبو جعفر المنصور، وهارون الرشيد، والمعتصم، والأمين بها.

(وأبي) هكذا (أ-ب -يّ) من المفردات للدلالة على معناها، وهي مفردة بكر، وفي (سير أعلام النبلاء) جملة ممن وصف لكنهم قليل.

أجلد: ميزانها الصرفي: (أفعل) من الجلد، وهي: القوة وشدة الصبر مع الوعي، يقال: رجل جلد، ولا يقال: أجلد إلا عند المقارنة.

ويوصف بها المرءُ إذا اشتهر بها عند الكل.

وهي من المشترك اللفظي بتغيير الحركات، فيقال: أجلد: أصبر.

ويقال: أجلد: أقوى.

ويقال: جلد: صابر واع فطن.
ويقال: جلد: قوي مدرك للأمور.
ويدخلها الاستفهام، ويدل عليه المراد بالمعنى.
فيقال: جلد ضرب بالجريد.
ويقال: جلد خاف.
ويقال: جلد بكسر الجيم: جلد الإنسان وغيره.
ويوصف بها الحيوان كذلك، فيقال.
أجلد من: ورر.
أجلد من: ضب.
أجلد من: ذئب.
أجلد من: حية.
أجلد من: حر.
أجلد من: هر.
أجلد من: ديك.
أجلد من: عقاب.
أجلد من: حجل.
أُفق: الطرف البعيد، والناحية البعيدة والجهة، والأفق: البعد بضم الباء: بعد الشيء. يقال: آفاق: الجهات البعيدة.

ويُقال أفق: ناحية بعيدة.

ولا يقال بين الأفقين إلا نادرًا.
لكن بين المشرقين أو المغربين.

إذ لكل فصل من فصول السنة مشرق ومغرب، ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾]المعارج:٤٠[.ويقترن الأفق بلفظته الدالة قربًا أو بعدًا.

فيقال: أفق السماء.
ويقال: أفق الصحراء.

ويقال: أفق الوادي.
ويقال: أفق الدار.

ويرد أفق، ويُراد به الفكر مجازًا، فيقال عن: الأحمق والعجول والحسود أفقه ضيق.
وروحه ضيقة.
وباله ضيق.
وأفقه ضيق، أي لا يتسع لمجريات الأمور، ويضيق عن فهم أوجه واردات الخواطر، ويضيق عن إدراك معاني أوجه المسائل، إلا الحسود فيختلف، لأنها ترده فيلويها ليًّا، ويتبع مصلحته ومركزه، ليضر بغيره مع بيان حالته ووجهته، الأمر أنه حاسد، ولهذا فالحسد كبيرة من الكبائر، لأنه رد لقضاء الله وقدره واعتراضه.

وإنما قلت: أفق ضيق، لأنه هو يضيق بفعل البغي والحيف.

وأفق: يجمع على آفاق، ويرد مؤنثه أُفقها، وورد عن امرئ القيس قوله.

وقد طوفت بالآفاق -......، البيت..

أراد: جهات الأرض، وإنما هذا من باب المجاز تغليبًا، لأنه لم يطف بكل جهات الأرض أصلاً، إنما بقليل من ذلك، لكنه فخم اللفظ كناية عن: الجهد.

والمشقة والتجربة وعدم وجود مراده، ولهذا: رضي من الغنيم بالإياب، أي بالعودة إلى دياره.

وقول أطوف ما أطوف ثم آوي... البيت..

ليس مثله وإن دل عليه.

قال ابن سعد بن لحيدان: وأفقه جهته وناحيته، وذلك بضم الهمزة والفاء.

ولهذا قالوا عن (ابن تيمية): أفقه واسع، لأنه ذو دراية ورواية، وكمال عقل، وأفقها على المفرد المؤنث المجازي.

فيقال: أفقها- أي: السماء.
ويقال: أفقها- أرادوا الأرض.
ويقال: أفقها- بلغت الناقة جهتها.
ويقال: أفقها- يريدون المرأة واسع أفقها.
وجئت بهذا من باب مشاكلة الفرق، بين ما يرد من مذكر ومؤنث.
وقد رأيت جلة من العلماء وأهل الأدب والنقد والتحقيق لا يدركون معنى المؤنث (المجازي)، فيقع عندهم الخطأ الفاحش، فإلى الله المشتكى.

وأصل الإملاق أنها سماعية عند العرب، وردت عنهم في الشعر والحكمة والأمثال، وورودها لكنها وردت وأصل هذه المفردة إملاق انتظار.

يقال: أملق: افتقر.

ويقال: أملق احتياج.

ويقال: أملقت المرأة: افتقرت.

ويقال: أملقت الأرض: افتقرت إلى الماء.

ويقال: أملق العالم: احتياج إلى زيادة العلم. وأملق أصلية في الدلالة على المعنى المراد.

هل كان العرب يعرفون الموازين النحوية؟

لم يكن العرب قبل الإسلام يعرفون موازين الأفعال، ولا مصادرها، ولا نوع هذه ولا تلك، ولم يكونوا يعرفون نواصب الفعل ونواسخه، لكنهم يُدركون ذلك كله بالسليقة والملكة، التي يتعجب المرءُ من حصولها، كيف حصلت! وبلغت اللغة مبلغًا جليلاً من السمو والإحاطة، وبلوغ المراد من المعاني بعبارات قليلة، تُوحي بموهبة اللغة، وقدرة الناطق بها، على حال هو عليها يحكم عليه من خلالها: أنه فج لا يدري ما يقول. فإذا -هو إذا- نطق كان السيد الموهوب.

وحين جاء الإسلام زادت رفعة اللغة، وأسفر طريقها، وبان أمرها، وعلا شأنها. وذلك أن العرب على ما قدمت كانوا أهل لغة ونطق وسجية جيدة، لكن جاء (القرآن) حين جاء، فذلت له فحول العرب، وتصاغر أمامه من كانوا يظنون أنهم فيه سادة من نطق جاء بآيات وألفاظ، هالهم أمرها، وأسرهم مسكلها على نسق منسوق، لم يسمعوا به من قبل، وحين ألموا به قليلاً قليلاً، أدركوا حقيقة الإعجاز، ومُراد اللفظ أنه جاء إمامًا، وحاكمًا، ورافعًا ومقومًا، وهاديًا. فحينئذ قويت لغتهم، واشتد عودها، وخلد ذكرها على تطاول القرون، والعرب ذوو فطرة ونباهة، ولهم كعب معلا في حيازة قصب السبق، في مضمار كثير من الحكم والتجارب، فهم حين جاء القرآنُ انصاعوا إليه، وأذعنوا؛ لأنه جاء بلسان عربي مبين، لكنه سما بلفظ ومعنى، لم يكونوا ليقفوا عليه لولاه، ولولا الحمية الجاهلية، والعصبية الفجة، والنخوة العربية الضيقة، ضيق ميسم المخيط؛ لآمنوا عجالاً عجالاً، لكنهم (بعضهم) تراخى، ثم توالى إسلامهم خلال (عشرين سنة)، بعد بيان أمر الحق، من خلال الحكم والإعجاز والعدل والبيان، لولا ما سبق من الشقاوة لكبار ظنوها ظنًّا سيئًا، فتمسكوا بالعصبية والحمية والفخر الذاتي الضيق، حتى قال الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ :

﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾]الفتح:١٢[، وحتى جاء كذلك: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾]الأنعام:٣٣[، وحتى جاء المثل بحال من سبق، فقال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ ، ثم علل سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ هذا، فقال: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾]النمل:١٤[.

وحين داخل المسلمون غيرهم خلال العهود المتلاحقة داخل لغتهم العجمة والتوليد المزري، حتى لقد وضع علماء اللغة والنحو والصرف قواعد، يُسار عليها، حماية للغة

المسلمين، فلم يستشهدوا الا بالشعر العربي، العربي قبل الإسلام، وكذلك ما كان من الشعر في صدر الإسلام، وذلك لأن لغتهم سلمت من الدواخل المولدة، والألفاظ البعيدة عن مراد حقيقة اللغة، وجعلوا القرآن حكمًا، يعودون إليه إذا حزبهم حازب، أو غرب عليهم مغرب، أو سفه عليهم مسفه، أو اندس بينهم من يندس من أنجاس أعداء الحق، وهذا وايم الحق قارئي العزيز حاله كحال التمسك بسند المتون للوصول إلى صحتها من ضعفها ومكذوبها، لأنه لولا الأسناد لقال من شاء ما شاء، ولهذا جعلوا السند (سلسلة الرواة) من الدين، جاء في مقدمة صحيح مسلم بن الحجاج عن محمد بن سيرين: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، وحال لغة المسلمين كهذه الحال حذو القذة بالقذة، فلولا الله جلت قدرته، وتعالت حكمته، وتقدست أسماؤه، ثم ثلة من أحرار المسلمين البلغاء الواعين، في كل صقع وديرة ومصر، لسار العابثون لنشر العصبية والحمية ودسهما بلهجة ولفظة، ونطق وهطق، وجر ومر، وكر وفر، وها هم في العبث وقعوا، وفي الوادي ركنوا، وفي التعالم صعدوا، وفي الجرأة حرنوا، وفي البذل نشطوا، وفي الطرح ساروا، ما بين شعر وأدب، ونقد ورواية، وعلم وتحقيق وتصنيف، فإذا نتاج القوم، وما أدراك ما نتاجهم؟! يفوح منه الهدم بجهل وعلم، وبعلم وجهل، وبعجلة، وتعالم وتعاظم، وليس أشر لهدم اللغة وإضعافها ممن يزعم أنه ناقد عظيم، أو كاتب عظيم، أو مثقف عظيم، أو شاعر عظيم. فإذا أنت فتشت بقعر ودراية ونية ونزاهة وأمانة، وجدت خيبة الأمل أمامك تلوح لك. (هادم من أصحابها، هادم اللغة دخيل عليها)، وما شابه ذلك، مما سوف يتضح لك عند القراءة بعقل وروية وجودة آلة ذهنية صافية.

والميزان الصرفي إنما هو لحفظ اللغة من (المعارض)، وحتى تسلم لغة المسلمين من موازين مولدة، جاءت بسبب الذنوب، ثم بسبب عدم الشعور بالمسؤولية، ثم تهاون كثير من الناس بالنطق والتخاطب على شاكلة ما كان، حين داخلت علوم الروم والهند علوم المسلمين لكن بخبث ودس.

ما الحري بالعلماء والقضاة والباحثين؟

أخبر من الخبر، على وزن: أفعل، ويُراد به: أفاد ونقل.

وأصل الكلمة (خ. ب. ر)، فهي ثلاثية، ويأتي التعريف لتحديد الخبر والمخبر. بكسر الباء.

قال طرفة بن العبد البكري.

ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

وأخبر، ويُخبر: أفادَ ويُفيدُ، بما ينقله إليكَ من خبر. وأخبار مما لم تسمعْ به قبلها.

وأصلُ الخبر كما هو قول علماء البلاغة أنه: كلامٌ يقبل الصدق والكذب، حتى يردَ دليل مادي بصدقه، عدا الكتاب وما صح من السنّة.

وآفة الخبر إنّما ترد من راويه، ولهذا قيل في الحكمة، كما قيل في المثل.

أ. إياك وقبول خبر القريب الحاسد.

ب. ما بُلي أحد بمثل وشاية القريب.

ج. كم زلتْ أمة وجماعةٌ بقبول خبر ضعيف.

د. أنت والخبر حتى تلقى الله تعالى.

هـ. كم جر الخبر من هتكٍ ليس هو.

ويُجمع الخبر على أخبار، والأخبار في الحالتين التعريف والتنكير، والخبر والأثر، والحديث والرواية، من حيث العموم يُطلق على ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعًا، أو موقوفًا على صحابي له حكم الرفع.

وهذا له ضوابطه وشروطه، تلك التي لا بد منها حماية لجناب التوحيد وسياسة الحياة: عبادة ومعاملة، وإلا لدخل في هذا المخبرون والرواة والقصاصون من كل نحلة وملة.

وقد صنفت في هذا ثلاثة أسفار بحمد الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وهي.

1. كتب تراجم الرجال بين الجرح والتعديل.
2. نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين.
3. النقد العلمي.

وهي كتب متداولة.

وحريٌّ بالعلماء والمحققين والقضاة، وكذا من يفتون الناس، حري بهم تلمس مثل هذا عند (مُسلم بن الحجاج) في (مقدمة الصحيح) و(مقدمة ابن الصلاح) و(تواريخ البخاري الثلاثة).

وكذلك: (العلل الكبرى والصغرى) للترمذي، لكن هذا كله يحتاجُ إلى سبرٍ، يتقدم فيه العقل على القلب، ولا بد لاستنطاق قوة الفهم، وجودة الملاحظة، وعمق إدراك مراد شواهد النسق، ولم يترك الأول للآخر شيئًا، فكتب القرن الأول إلى العاشر هي أدق وأجود من كتب جاءت بعد ذلك، ولعل من كتب خلال القرون المتأخرة إلى هذا الزمن إنما هم عالة على كتب من سلف، (ومن حفظ حجة على من لم يحفظ).

أقط: وهو بفتح الألف المهموزة.

وكسر الباء، وقد تسكن، وبلاد اليمن والساحل ينطقون ذلك بضم (القاف). وجماعة من أهل شمال إفريقيا وجنوبها ينطقون ذلك بضم: (الطاء) مع مدٍّ. ملاحظ للمتأمل، وأصل الأقط لبن يُخمرُ، ثم يُعجن، ثم بعد ذلك يُضغط عليه ما بين الراحة. راحة اليد والأصابع، ثم بعد هذا ينشر ليجف. والأقطُ معروف منذ أقدم العهود في البادية، ثم قد تحول عند الحاضرة لا سيما أهل الزراعة والماشية منهم. والأقط أنواع، فمن ذلك:

أ. الأبيض.
ب. الأصفر قليلاً.
ج. المائل إلى الحمرة.

وأطيبه الأبيض اللين، وهو مفيد للمعدة والعظام واللثة. والإكثار منه يضر بالكلى والكبد، وعلامةُ عفونته شدة حموضته مع مرارة قليلة ويبوسة. والأقط لا ينصح به لمريض الكلى والكبد بأنواعها الثلاثة. ولعلي أشيرُ هنا إلى ضرورة إجراء اختبارات طبية جيدة عليه قبل بيعه، لا سيما وهو خلال كنزه في كيس أو خيش، يحمل معه بعض الشعيرات الضارة، مما يكون متولدًا من الكيس أو الخيش.

ولعله يفسده خلطه بالسكر، وهذا مشهور، لكن الدراية بهذا قليلة.

أصحر: ميزانُ هذا الصرفي أفعل. وأصحر مهملة، أُخذ هذا من اسم الصحراء، حسب الوصف الملازم لذلك، فيقال:

1. أصحر الغلامُ: إذا ابتعد فيها.
2. وأصحر: إذا سار بعيدًا على غير وجه.
3. وأصحرت الأرض: أمحلت وجفت.
4. والتصحر: الجفاف ونحوه.

وصحراء: الأرض التي لا نبت فيها ولا ماء، وشديدة الحرارة.

أبكر: أفعل، هذا ميزانُها الصرفي. وبكر: بتشديد الكاف: من البكرة والتبكير، وذلك يكون أول النهار، قال جل من قائل: ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾]الفرقان:٥[.يقال: جاء الوفد مبكرين، وجاء الوفد مبكرًا، أي بكرة: صبحًا، وقال زهير بن أبي سلمى المزني: بكرنا بكورًا واستحرن بسحرة. ورأيت جملة من أهل السودان يتسمون بـ(أبكر)، يضعونه علمًا على المولود.

أمعن: ومفرداته أ-م-ع-ن بفتح الهمزة، أمعن ويمعن: حدد النظر، نظر بعمق وتصويب. وأمعن على وزن أفعل: أبصر بقصد الاستيضاح والتثبت. والإمعان مما يدخله الاشتراك اللفظي، وهو كثير، فمن ذلك:

أ. أمعن المسير: جدَّ فيه.

ب. أمعن الطلب: مثل الأول.

ج. أمعن القول: تعمق فيه.

د. أمعِن بكسر العين من فعل الأمر.

أنظر.. وأبصر. وأمعن فلانٌ يمعن، فهو يتبصر ويتأمل بتأن وطول زمن. وهذه يأتي بابها في حينه، إذ لا بد من الشواهد عليها، لأهميتها.

جزم الفعل المضارع كيف يكون؟

لعله من الغني عن القول، ومن نافلته كذلك: إن أساسيات علم اللغة كأساسيات علم الحديث، في عمقهما كلاهما، إنما هما موهبة وقدرات زائدة على الفهم والإدراك.

ولو فرضنا أن هناك رجلاً طلب اللغة سنين عديدة؛ لإعجابه بها -على سبيل المثال- أو أنه يميل إليها، ولكنه لا يملك الاستعداد الفطري أصلاً، إنما يحضّر (بتشديد الضاد) من هنا وهناك، وينقل ويستشهد كذلك، فلا يمكن أن يصنف أنه عالم لغة موهوب، أو يقارب ذلك، ولكنه قد يفيد من خلال عرضه للآراء، أو أطروحاته، وإن كانت إنشائية.

ولو فرضنا جدلاً كذلك: أن رجلاً يحب الشعر، ويتذوقه، ويقرأ منه كثيرًا، فإنه لا يمكن أن يكون شاعرًا ما لم يكن لديه تلك الموهبة، التي تفرض نفسها عليه، ولا سيما أن الشعر إنما هو من الشعور، وتدفق المعاناة، والحساسية المفرطة، وأعني هنا بالشاعر: الشاعر الحر المكين؛ لأنه ليس كل شاعر شاعرًا.

ولو أن رجلاً أيضًا معجبٌ بعلم الحديث، ويتلهف على طلبه، ويسعى إليه جاهدًا، وهو مع هذا لا يملك الموهبة، فإنه لا يكون عالم حديث، إنما يعد من الباحثين أو المحققين فيه، ليس إلا ذاك.

ولذلك تحرص الدول على إنشاء هيئات علمية ومراكز علمية؛ لتسد مسد غياب الموهبة، التي يميل صاحبها كل الميل إلى الانطواء، والبُعد عن الأضواء، ما وسعه السبيل إلى ذلك.

أقول: ولكن المشكلة (اليوم) إنما تكمن في إطلاق الأوصاف، على كل مشهور له آراء أو كتابات، فيقال: انظر المحدث الفلاني، أو انظر اللغوي الفلاني، أو انظر النحوي الفلاني، أو عالم الاجتماع أو السياسي، ونحو ذلك.

وهذا يعود -والحق أقول- إلى أن غالب الناس لا يقرؤون، وإذا قرؤوا لا يميزون، بينما (الخبايا في الزوايا)، لكنهم لا يظهرون.

هذه تمهيدة رأيت أنها ضرورية؛ لعلها تؤخذ توصية من حريص على التجديد والسبق العلمي النوعي، ولعلها تؤخذ لدى المعنيين في الدولة، من قِبل الهيئات العلمية والمجامع والمراكز، خاصة وزارة التعليم، والجامعات، والرئاسة العامة لهيئة كبار العلماء، والمجامع اللغوية في كثير من الدول.

وأدخل الآن بعد هذه التمهيدة -بإذن الله تعالى- إلى صلب الموضوع الحساس، الذي يكتنف اللغة والنحو جنبًا إلى جنب.

وطرحي له هو لأنني أحسست عدم فقهه، حتى لدى علماء كبار، ولدى مثقفين وأدباء وكتاب، كان قد يقع منهم بعض الخطأ فيه، لعله غير مقصود، وهذا الموضوع وإن بدا هينًا، وهو (جزم الفعل المضارع).

ولعل البعض قد يستغرق ضاحكًا: ماذا يريد صالح اللحيدان من هذا؟

فجزم الفعل المضارع معروف الحال، فكيف يتم طرحه، ولكن التأني سوف يظهر شيئًا فشيئًا عن هذا الجزم، الذي تعددت أدواته، وقد يكون بعضها غير معروف، إنما المعروف منها أسماء الصدارة الجازمة، ليس إلا.

من هنا أبدأ القول: إن جزم الفعل المضارع صورة من صور إعرابه. ولكي أبسط القول حول هذا، فإن جوازم هذا الفعل تأتي على صور، منها ما يأتي:

1. إذا سبق الفعل بحرف جازم معلوم من حاله بالضرورة..

أولاً: مثل لام الأمر الصريحة نحو (ليتكلم العاقل أولاً)، وتكون الميم في آخره ساكنة. وقس عليه.

ثانيًا: إذا سُبق الفعل باللام الناهية عن فعل أو قول، مثل (لا تعمل السوء). فاللام تعمل وفوقها سكون.

ثالثًا: إذا سبق الفعل بـ(لم) نحو (لم يفلح الظالم).

رابعًا: إذا سبق الفعل بـ(من الشرطية)، نحو (من يصدق يسد)، ومثلها تمامًا (إن) الشرطية، وهي مخففة من الثقيلة.

خامسًا: إذا سبق الفعل بـ(لما) نحو (قدم العقلاء ولما يقدم معاذ).

سادسًا: فمن ذلك حرف (ما)، وهو ما قد يفوق مثل (من) و(إن)، فقد وقع لكثير من العلماء والمثقفين الخلل في أثناء الدروس العلمية.

و(ما) هذه كون البعض يقع في الخلل في عملها؛ وذلك يعود لعدم التنبه لعملها أصلاً في الفعل المضارع المقترنة به، وإلا فإن الذوق العربي يستجلبها.

ومثال (ما): (ما تعملوا ندركه منكم)، ونحو: (ما تفعل يظهر عليك) بتسكين اللام.

سابعًا: ومن ذلك مما يجزم الفعل المضارع (حيثما) نحو: (حيثما تكون أجدك).

لكن حيثما هذه قد تكون ظرفية، فلا يحسن الخلط بينهما؛ لأن دلالة الحس اللفظي توجب التفريق بينهما، نحو (جئتك حيث الليل حل).

والمقصود: أن الفعل المضارع في حالات جزمه، يحتاج إلى التأمل وشدة التدبر، قبل الكلام خلال المحاضرات أو الندوات أو الفتيا المباشرة أو التقرير العلمي أو الثقافي، ولا سيما أن هناك بعض الحروف تجزم فعلين، وهذا هو ما يحسن التنبه إليه، مثل (من أن مهما حيثما).

ولعل دراساتي العلمية المتابعة للحالات النفسية للعلماء والمثقفين والكتاب قد وجدت أن من أسباب حصول الخلل، وعدم ضبط اللغة، إنما لسبق العاطفة مع العجلة للوصول إلى النتيجة، التي يريدها هذا العالم أو ذاك المثقف.

والعجلة لا جرم من صفات القلب لا العقل؛ فيقع الخطأ، ويحصل الخلل دون قصد يراد، إنما لحب الخير للوصول إلى الهدف.

من أجل ذلك، لعل في هذا المعجم ما قد يسهم في الوسط العلمي والثقافي، بشدة التنبه إلى إيصال العلم عن طريق آلياته، بحذر وهدوء ورزانة.

الإعجاز اللغوي من خلال (أن) الناصبة

الذي يقرب أن أقطع به: أن كثيرًا من الناس اليوم لا يقرؤون، ولستُ أظنهم إذا قرؤوا إلا يقرؤون الخفيف من القول. ولعل سبل التواصل الاجتماعي ألهت الكثير عن أساسيات العلم.

والذي أقلقني في كثير من المؤتمرات العلمية والندوات: أنها حينما تعرض عليَّ أجد أن بعضها قد أخذ من الإنترنت مع تغيير طفيف، ولا يقصد كثير منهم السطو، إنما الاقتباس مع الإضافات من قبل ومن بعد، وهذا ما جعلني أنحو باللائمة على كثير من الزملاء من كبار العلماء والباحثين، الذين أجد منهم تجاوبًا كريمًا، حينما يتضح لهم المسلك الذي يحسن المسار عليه.

وكثير منهم إنما يأخذ من المواقع من باب الاختصار ليس إلا؛ لأن الرجوع إلى المطولات وكتب الفروع هذا يأخذ الوقت كله، ولكني مع هذا أنحو كذلك باللوم الشديد على الكثيرين.

وقد وجدت هذا عند بعض كتّاب الصحف والمجلات، بل قد وجدت أن بعض الكتاب يطرح مسألة علمية غاية في الصعوبة، من خلال الطرح والاستشهاد، وهو بعيد عن هذا التخصص كل البعد، أقول كله، وإنما نقل فقط وأضاف، وهذا شيء يقلق المتلقي ويتعبه إذا كان ذا خلفية؛ لأن مثل هذا الكاتب قد يخرم المسألة، أو يورد ما يؤيد رأيه فقط، دون تأصيل للمسألة، وذكر الأقوال والأدلة، وما يجري على ذلك من الضوابط.

وعود على بدء، أبين هنا حال (أن) الناصبة، التي تفردت عن غيرها، بعمل يحتاج إلى فهم خاص، وإدراك خاص، لتنزيلها على العمل المراد، وكنت قد بينت أمرين في حال الفعل المضارع، هو أنها تعمل ظاهرة، وتعمل في حال إضمار.

والآن أبين أنها تعمل خلاف ما تقدم، وذلك إذا اقترنت أن بحرف واحد من حروف العطف الأصلية، وقد تقدمها، وهذه المسألة بالذات تحتاج إلى سعة بال، وشدة فهم وتحرٍّ؛ ذلك أن هذه المسألة من دقائق المسائل في الكتاب والسنة وفي الشعر العربي قبل الإسلام.

ولكي يتضح هذا، لا بأس بضرب المثال، ومثال ذلك (قيامك فتكسب الخير، أجود عندي من قعودك وفشلك). وأنت ترى قارئي العزيز: أن هذا المثال يحتاج إلى إيضاح، ولا سيما أن المصدر (قيامك) تقدم على الفعل، وهذا فيه غموض للوهلة الأولى، فإن (فتكسب)

منصوبة بأن المضمرة، وهذا يُحس بالسليقة، لمن أوتي ذوقًا نحويًّا، وأكثر النظر في كتب النحو والحديث ومعاجم اللغة، وتحلى بقوة التأمل العقلي، لا ذاك النظر العاطفي العجول.

وهذا وإن كنت أختصره، فإنما قصدت الذكرى، لكي يعود الناس إلى مطولات العلم وكتب الفروع، ويجعل الوسائل الحديثة معينة فقط، وليست أصلاً لأخذ العلم، ونقل العلم، ونشره، وذيوعه.

ولعل في النوادي الأدبية، والمراكز العلمية المتخصصة، وكذا المجلات المحكمة، وما يكتبه الكتاب في الصحف من زوايا وأبواب، ما يجب معه العودة إلى ما عاد إليه حماد ابن سلمة، وحماد بن زيد، وأيوب السختياني، وقتيبة بن سعيد بن جميل، والترمذي، وما عاد إليه الأصمعي، وابن جني، والفراء، وما عاد إليه في حين من الدهر أبو حيان التوحيدي، وابن منظور، والجوهري، والفيروزآبادي.

ولعل في كلامي هذا ما يغني قليله عن كثيره.

نَـقْـدُ الاتِّـجـاهِ الـتجديـديِّفـي هذا الـعَصْر

اللغة كما العلم كلاهما -وايم الحق- يحتاج إلى النقد، وما لم يكن ذلك، فإنه أمر مزر في كليهما معًا. ولعل ما نراه اليوم من تردٍّ في بحث اللغة ودراسة النحو وطرحهما طرحًا صحيحًا، إنما نجم ذلك -ولا أعدو الحق- عن أن الذين يكتبون عنهما في ناحية أو في نواح، يكتبون على حالة عجلة، دون تصور تام ومحيط، لما بين أيديهم، مما يجب الكتابة عنه، ناهيك عن قصور بيِّن في التناول. ولعلك حين تُبيّن هذا، وتشخّص الداء، وتُبيّن العوار، لعلك تُستعدى، وهذا الاستعداء بحد ذاته أمر جبار في حماية هدم اللغة، ولعل من يستعديك يجرُّ معه آخر وثانيًا لقدحك.

لكن. اليوم. تبادر إلى ذهني حقيقة لا أدري. لعلها بسبب سطوها وتمكنها وعمومية انتشارها، لعلها سبب ثان وثالث في تقهقر اللغة والنحو تقهقرًا، لا جرم هو مع الأيام يجعلها من التراث الذي قد كان. إنَّ هذه الحقيقة سبب عال لموجة رداءة لغة قومي في أحاديثهم، أخبارهم، كتاباتهم، تحقيقاتهم، تخريجاتهم، وتنظيرهم...إلخ.

إنَّ هذه الحقيقة ماثلة أمامي، كأبان وأجأ وسلمى طيء وسروات الحجاز، لكن لضعف الآلة، وفقدان الموهبة، (استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير)، وهذا ما جرَّ بعض الكتبة إلى الطرح الإنشائي، والخطاب المباشر، بدعوى التجديد، أو بدعوى التحديث ومستجدات المفردات، وهذا أحسبه مرضًا لا يدركه صاحبه، بل لعله يحقد على مَنْ يوضح له خطأ مساره، واعوجاج مسلكه، وضعف أخذه، وضآلة طرحه، وقلة تناوله.

إنَّ أمرًا واحدًا يُعبِّر عن هذه الحقيقة، أجزم الجزم كله -لا بعضه- بأنه سوف يتضح منه أمر مذهل، لدى العقلاء والمنصفين في الأخذ، كما هم منصفون فيالعطاء والبذل.

لقد جرت العادة في الفطر والعقول السليمة: أن إدراك الحقائق على ما هي عليه، دون تعصب، أو تخوف، أو تردد، أو ضعف ثقة، فرق بين العرض والمرض. وما أصاب العلم، واللغة، والنحو، وقُلِ التحقيق، والتنظير، والطرح السياسي، إنما هو عرض وليس مرضًا. وأغلب الظن أن روح العجلة، والتعصب للرأي، وحب الوصول إلى النتيجة مباشرة، وإقحام النفس فيما ليس من شأن الكاتب مثلاً. هذا كله هو العرض، ومن طبيعة العرض بإذن الله تعالى أن يدوم: كسوسة النخلة، ودودة الثمار الفتاكة؛ فأنت لا تدري حتى تسقط النخلة،

وتعطب الثمار كلها. إنَّ العرض خطر، حتى إنه ليجر الكاتب والباحث والمحقق إلى تصديق النفس أنهم مع الحق.

ومن صفات العرض أنه يعمي صاحبه السائر في سلبيه عن المرض، وهذا مثله مثل أورام السرطان، التي قد يمر بها عشرون عامًا، ثم تبين أنها مرض خطير، مثله مثل النفاق تمامًا.

إنَّ المرض الحاصل هو: (غياب النقد الموهوب)، وكل ما نقرأ ونطالع ونتابع في الملاحق والمجلات المحكمة والدوريات عن (النقد) إنما ذلك: دراسات للأعمال الأدبية والثقافية واللغوية والنحوية والبحوث العلمية، وليس من النقد في شيء.

جرِّب مرة واحدة فقط: أن تقرأ بتأمل جاد مركّز، مع حضور وعي مستقل، وتجرد ونباهة جادة. جرب فقط أن تقرأ لهذا السيل الجارف من النقد، وسوف تجد أنك أمام عرض فقط، ودراسة فقط، وانتصار للنفس فقط. ولو أعدت القراءة بمنأى عن العجلة حتى لما تكتب أنت، وبُبعد عن حب الذات وفرض الرأي، لوجدتك تنعى النقد وتبكي عليه.

إذًا الحال أننا نفتقد النقد، ونسبح الآن في أعمال ليست من النقد في شيء، ولم يزل هناك من يجر نفسه جرًّا، ويدفعها دفعًا، ويسير بها سرًّا، حتى لعله يزعم التجديد في أطروحات، لو بعث لها سيبويه أو الكسائي أو المبرد، ولو بعث لها البخاري أو مسلم أو حماد بن زيد أو يزيد بن هارون، ولو بعث لها الكرماني أو ابن فرحون أو الذهبي، لو بُعثوا لمثل ذلك لقضوا دهرًا ينظرونها ويحققونها. لعل تلك الأطروحة أو الأطروحات، التي يكتبها (اليوم) صاحبها، يكتبها وهو جالس يتناول إفطار الصباح أو شاي المغرب.

اليوم: أين الموهبة في العلم واللغة؟

من المفيد أن أدون شيئًا ذا بال عن حقيقة فهمه، قد يدركها القلة ممن يكتب في حوض العلم، خاصة علوم أصول الأدلة، وكذا علوم الآلة على حد سواء.

وأغلب الظن أن العجلة في القراءة، ومحبة الطرح، ونثر الإنتاج بين ظهراني القراء، أغلب الظن أن هذا يُعدُّ واحدًا من أسباب كثيرة، جعل الكثيرين يكتبون هنا وهناك، ويبذلون الجهد الجيد فيما بين أيديهم، لكن لو ذهبت تجمع ما كتب، لرأيت من مجتهد، إلا أنه ليس كل مجتهد مصيب، فهو في كل واد، وكل سفح، وكل هضبة، من هنا ومن هناك، يبذل، لا يسعه الجهد في ذلك كله، هذا وحده كافٍ الكفاية كلها: أنّ هذا الشيء الذي سوف أذكره، سوف يقول القائل: إن ما تذكره يعلم بالضرورة: أنه موجود، لكن فيما تعود على بدء تجد -وايم الحق- نواكص الإقرار، لأنه لا يقوم به، ولا يركبه بدليل عدم تأصيل الطرح، ووجود العجلة والإصرار بدوام الكتابة، وقد يكون ينشر بعضها من باب المجاملة. فيخال أنه يقوم بما سوف أذكره هنا، ولا ضير هذا الشيء، الذي أتمناه وأدعو إليه حثيثًا حثيثًا. وأُلزم به من يربطني به علاقة النظر والتلمذة، سواء في دروسي أو محاضراتي في الداخل والخارج، هو أنه لا بد من: (الموهبة) في فهم النص: صحيحه وضعيفه، العالي منه والنازل، ما له أصل وما ليس له أصل، والفهم الجيد في إدراك اللغة والنحو والبلاغة على أساس العمق، وسعة البطان، واتساع رقعة العلوم، وحسن الأداء بواسع مكين، جدَّ مكين من البعد عن (الأنا..) و.. ورداءة اللفظ في المداخلات والسعي، أو الملاحظات العجولة للوصول إلى البروز بطرق شتى، كان الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، يخفيان عظم ما توصلا إليه من علو كعب موهبتهما، حتى إذ زلف عُمرٌ، وعُمرٌ بان منهما ذلك، وكان الخليل إياه يُعظم إمام المحدثين حماد بن سلمة، ولا يفتأ ينهل منه، لا سيما أخلاق أهل العلم واللغة، فقد كانوا وإن كانوا ذوي موهبة ربانية يطلبون قبلاً الآداب الحسنة، وحسن الخلق، ولطف التناول، وكانوا إلى هذا كله

يبتعدون عن اللجاجة والدخول في (النوايا)، ذلك أنك فيما تقرأ لإمام المحدثين واللغة البخاري أو حماد بن سلمة أو قتيبة بن سعيد أو الكسائي أو المبرد أو النووي أو العيني صاحب (العمدة) أو ابن قتيبة الدينوري أو للتوحيدي، أو تقرأ لمثل: الرافعي ومحمود شاكر أو أحمد شاكر أو المبارك فوري، تجد نسقًا متحدًا، جيد التماسك، فتضلع اللغة على ساق، قائمة من وتد لا يزول. هذه الموهبة التي أعنيها، وأذكر جملة قليلة ممن وهبت له، فضلاً من الله تعالى، تعني أول ما تعني أننا بحاجة إليها ماسة. وجرب أن تقرأ وتعيد القراءة لما يطرح اليوم. جرب بسعة تأمل، وطول نظر، واستقراء مكيث، ثم أعد القراءة تترًا، ثم بعد ذلك بعد القراءة تأمل بتقديم: (العقل على العاطفة) كيف هذا؟!

أخالك كنت قبلاً تقرأ: إما قراءة تثقيف وقضاء وقت، أو إعجاب، أو تضخيم الصورة، لكن. لا. جرب أن تقرأ بعقلك الحر، المتصف بالنزوع إلى البحث عن الإضافة عن التجديد.

لا أدري. كيف هي الصورة حينئذ؟ ولهذا في (المعجم) الذي انتقدت فيه خمسة أفراد: اثنان منهم تبين لي أنهما يعانيان من حالات نفسية (مركبة مرضية)، حاولت أن أتلطف معهما، لكن يبرز لي صعوبة الخلق بعد المرض، وتجري في أخلاق العلم واللغة: أن أبين فقط أنهما مريضان، ولهذا كتبت عن هذا أكثر من كونهما انتقدا فقط.

وأصل الموهبة. هبة من الله سبحانه وتعالى، ووضوح لدى بعض الناس، كل حسب ميوله، والموهبة لا تكتسب، ولكن الذكاء والنبوغ قل يكتسبان، والموهبة نادرة، وهذا يجعل بعض المعنيين بالدراسات العلمية يخلطون بينها وبين النبوغ مثلاً.

العالم بين الموهبة والادعاء

حين يكون للمرء استعدادٌ خلقي للحالة التي يرنو إليها، فإنه سالك فيها مسلك الرشاد، وسالك إليها الطريق الأوسع، لبلوغ المراد منها وعنها على كل حال، ذلك أن إقحام المرء نفسه فيما ليس له فيه استعداد خلقي، إنما يتداركه العوارُ، فإذا هو يبور، وإن من يُطالع سيرة من خلف على سيرة من سلف، من كبار العلماء يدرك البون، وأي بون.

وإن من يتأمل على سالفة خلت في القرون الماضيات، يكاد بعقله وعاطفته معًا يتأهب لا جرم للوصول إلى سر حياة أولئك الأقوام، وكأن أمرهم ضرب من خيال، ذلك أن مُعدل التصانيف عندهم، يهولك أمره على قائمة تقوم، وليس هذا وكفى، بل ما توصلوا إليه من فرائد المواهب في علم وعلم وعلم.

وإنك لو تدبرت حياة: (الفراء) مثلاً، أو تدبرت حياة: (ابن جرير الطبري) مثلاً، أو تدبرت حياة: (ابن مالك)، أو (ابن فرحون)، أو (القرافي)، أو (المزي)، فإنك بعجلة القراءة، وسرعة إظهار النتيجة، تريدها سراعًا سراعًا، فلسوف يطول بك الدهر، ولن تجد إلا أنك أمام علماء، كيف تم لهم ما تم؟

وكيف وصلوا إلى تجديد غير مسبوق؟ لكن حينما تغوص عميقًا في خبايا النفس، وزوايا السؤدد، ولافتات النجابة، فسوف يتبين لك سر ذلك الخلود لمآثرهم ولآرائهم ولإضافاتهم الجيدة، سوف تقف على مكمن حر جيد متين، ألا وهو: (الحظ)، و(الحظ) حالة، أو إن شئت قُلْ: صفة نفسية، تعيش مع المرء في خبايا نفسه، وطوايا اللاشعور لديه، ذلك هو السر الذي جدد للأمة مآثرها عبر العهود، وعلى تطاول القرون، و(الحظ) لا يحصل إذ يحصل اعتباطًا، إنما ذلك بنتيجة لتربية خلقية سامقة، وإنما ذلك لأدب جم على الأخذ بوعي ودهاء وشعور بالمسؤولية، وكل ذلك ولا محيص، إنما هو توفيق من الله تعالى لبعض خلقه، ليتم التجديد على سوابق لم تطرق قبلاً، وإذا كان (الحظ) عند: المحدث واللغوي والنحوي حالة نفسية كامنة في الأغوار، فإنّ ذلك يُدرك بعضه لا كله، من خلال: حسن الخلق وأدب الألفاظ، وطرح علمي غير ذي تكرار. وإتيان المقصود لإبرازه بتواضع جم، وأسلوب قوي متين، وروح خلوقة حبيبة.

ليس لدى المحظوظ وقت لسوء خلق، أو استطراد على استطراد، أو نبش النوايا لنقد المخطئ، أو قُلْ نقد المخالف، أو أن لديه حبًّا للهجاء، أو أن لديه حبًّا للبروز، ولهذا صعب جدًّا استغلاله، بل هو متعذر، إذا ما وقع انتصر لنفسه بالسؤدد ودافع وفاز، والعالم الكبير المحظوظ أدركتُ ذلك جيدًا، قليل الاجتماعات، بسيط المسكن والمركب، وقد تنحاله به مس،

من شدة تواضعه، وبساطة مجالسته ومحادثته، ومن هؤلاء العظام من لا يكاد يعرف حقه، إلا بعد كبره وعجزه، وإلا بعد موته، وذلك لحسد قد ينشأ، أو سوء فهم نحوه.

وهذا وذاك ما يدعوني إلى التنبه كثيرًا، لقراءة أعماق خباياهم، واستخلاص عظمة تجديدهم الفذ.

وهو ما يدعوني اليوم إلى ضرورة أن تتنبه الجهات المتخصصة، إلى مثل هذه النوعية من العظماء، لاسيما الذين تقاعدوا، أو تركوا العمل لسبب ما!! أو نالهم سوء من قريب أو بعيد، بسبب سوء فهم نفسياتهم.

هذا كله ولا كلام مؤذن بنجابة العلم في هذا العصر، مع توفر آليات الفحص والدراسات الجادة الأمينة المركزة.

المسؤولية بين الدولة والمجامع والمجالس والهيئات العلمية

الذين يتابعون: المجامع أو المجالس أو الهيئات العلمية أو اللغوية يجد أنها سدت مسدًّا جيدًا في مثل هذا الحين، الذي اختلطت فيه كثير من أمور وصفات علمية ولغوية، ما كانت لتكون، لولا تفشي آثار ونصوص وقواعد وألفاظ ضعيفة وهشة.

ونقدر كثيرًا الجهود المبذولة من هذه المجامع والمجالس والهيئات، نقدر تلك الجهود، ونحترمها، ونبذل لها ما وسعنا البذل، ونعطي ما وسعنا العطاء، ونرى لها من الفضل ما نرى. لكن وخلال عقود، والجدير منها خلال سنين، لم نر لها ذات أثر فعال في سياق التجديد، والطرح الاستشهادي الممتاز، الذي يصل إلى حد (ما يحسن السكوت عليه).

ففي كثير من آراء طرحت، وفي كثير من آثار ونصوص استشهد بها، وفي كثير من المصنفات (وايم الحق) لم نجد أن جديدًا أضيف، يؤخذ به على تطاول الحال من عام إلى عام.

وها هي الآراء العلمية مبثوثة، وها هي كذلك التوصيات اللغوية منتشرة هنا وهناك، لكن يطغى اليوم ما لا يخفى على اللبيب من أحاديث ضعيفة، وآراء علمية مرجوحة، ولها بين هذا وذاك سطوة وانتشار، حتى بين طلاب العلم في الدروس العلمية والجامعات والمحاضرات.

ولها مع ذلك (ولا جدل) مكانة ظاهرة، في كثير من التقريرات والبذل العلمي، لها مع ذلك الحضور المشهود.

ناهيك مما هو حاصل من مفردات ولهجات، طغت على اللغة الأم، وهذه المفردات وتلك اللهجات، سوف تراها دون شك، ودون تردد على واجهات: الفنادق، والشركات، وكثير من المحلات التجارية، فهناك أسماء وعنوان وصيغ من لغات أجنبية على واجهات الفنادق والمؤسسات والمحلات التجارية.

وهذا وحده فقط يجعل (الدولة) تُلزم: المالكين والشركاء والوكلاء بضرورة (اللغة الصحيحة) ولا بد.

ولا خلاف أن من مُهمة: المجامع والمجالس والهيئات اللازمة رفع: التوصيات إلى كل وزارة وجهة مسؤولة في كل (دولة)، لتطبق ما تم نظره، والاتفاق عليه، من حالات لا بد

منها، ومن حالات ضرورية يلزم منها القيام بها على كل حال.

ولا أحد يشك أن (الدولة) تحتاج من هذه المجامع والمجالس والهيئات إلى ضرورة قوة التواصل: حسًّا ومعنى. وضرورة التقارير والتوصيات تلك، التي لا بد منها، لتلزم (الدولة) الجهات والأفراد بضرورة التقيد باللغة، ويحدد لهذا زمن معقول للتغيير، تغيير أسماء وعناوين ودعايات الفنادق والشركات والمؤسسات والمحلات التجارية.

والذين كذلك يتابعون كثيرًا من التقارير العلمية، وكثيرًا من الآراء العلمية والآثار والنصوص، يجد المتابع المطلع الألمعي، أنها تحتاج إلى إعادة وإلى نظر، وهذا وذاك لا بد منهما ولا محيص، ويكفي أن أورد بعض الأمثلة، لتكون شاهدة على حال يجب ألا تكون.

ففي أحد الكتب العلمية المسؤولة وجدت ما يلي:

(والمساهمات التجارية لا بأس أن تكون مشتراة، ولو لم يرها المشتري)، وهذا أصح القولين.

ويجوز فسخ نسك التمتع إلى قران في الحج، ما دام لم يؤد العمرة بعد، وهذا أظهر الأقوال وأقواها.وهذان مثلان اثنان، ترى أنهما مبهمان، ومختصران، ومبتوران.

ففي المثال الأول جاء: (وهذا أصح القولين). وفي المثال الثاني جاء: (وهذا أظهر الأقوال)، هكذا ورد في ذلك الكتاب المهم، ورد هذا وذاك، دون إشارة إلى: مرجع أو مصدر علمي مبسط، ووضح وبيّن.

فأصح القولين. هنا. والمراد بها عند من؟

هل هم الفقهاء؟

هل هم المحدثون؟

هل هم الأصوليون؟

من هم؟

وأين الأدلة؟ وأين التعليل؟

وحينما ترى (الآثار) لعلك واجد فيها ما يحتاج المقام فيه إلى تأصيل وبيان وتحرير علمي، لكنك واجد هناك نقلاً ما بين حسن وضعيف وصحيح، وما لا أصل له.

وهذا كله يوجب عدم التسرع بتأليف الكتب والرسائل العلمية أو الفتوى، إلا بعد مكث، وشدة تأمل، وقوة مراجعة، مع صفاء ذهن واستشارة.

أصل الـموهبـة ، و أصل الـخطأ فـي كـتـابـة الـلغة

تمتاز اللغة، ويمتاز النحو، وكذلك: البلاغة بأنها كلها (ملَكة) بفتح اللام دون كلام، ولعله يتعسر التعسر كله أن يكتب أحد ما عن علم من هذه العلوم، وهو إنما يكتب لمجرد الكتابة، أو هو، وهو الأعم، إنما يكتب لإعجابه بهذا العلم، وذاك ناهيك بمن يكتب من باب سد الفراغ، أو كشكولية الطرح.

ولهذا، كان كبار العلماء في سالف العهود ما بين سنة: **170** حتى القرون: **200**، **300**، **400**، **500**، إلى: **700** كانوا يرحلون في طلب هذا العلم، ذلك كله بادئ ذي بدء، ينبي عن هذا العلم الجليل، أنه يؤخذ عن طريق التلقي الموهوب.

وذلك هو: السليقة أو الملكة، أو الاستعداد الجيد للكامن في الأغوار، واللغة والنحو والبلاغة في كل واحد منها متعة عقلية نشطة، لكن هذا قد يكون ثقيلاً على من ليس لديه استعداد مكيث، أو يفتقر إلى حسن التأني، وبعد غور الاستنتاج. مثلها مثل هذه العلوم، كمثل علم: الحديث سواء بسواء؛ فهو يحتاج إلى طول الباع: صبرًا، وتذوقًا، وأريحية، وكثرة نظر، وقوة مراجعة، وحسن فهم صاف جيد.

من أجل ذلك لم نر اليوم اللغوي أو النحوي أو البلاغي، الذي نقول عنه إنه ذاك، وإن كان هناك اجتهادات عالية عاينتها في بعض من لقيتهم، سواء من أعضاء المجامع اللغوية، أو أعضاء اتحاد المؤرخين العرب.

ولا جرم، فإن طول القراءة، والتدبر، والمكث التأملي، وسعة البطان، مع قلة حب الشهرة، بل انعدامها بنية صافية، ومحاولة تجديد الطرح، مع خلق رفيع، وكلام رزين كريم، واهتبال الوقت لكتابة المصنفات العالية التناول، المفيدة للأمة. كل ذلك خير من كتابة مقالات فيها المكرر والمحفوظ والمنثور، المعلوم بين ذوي الدراية والرواية.

وتستطيع -وخذ هذا مثلاً- أن تقرأ الكتاب لسيبويه، هذا الكتاب الجيد الذائع الصيت، فلعلك إن كنت من ذوي تلك القدرات والاستعدادات. الاستعدادات المكيثة الفطنة، سوف ترى هذا العالم قد ترك لغة الخطاب المباشر، أو لعلك في حال تأني النظر له، تلمح أن: (سيبويه) قد أصّل وقعّد، وسار على العظماء خلقًا وأدبًا. وأسلوبًا. واستشهادًا في كتابه سار على طريقتهم:

حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وسواهما، لكنه هناك أضاف جديدًا لم يسبق إليه بواسع متمكن، أمكن من أدب جم، وسعة أفق مبين، جد مبين.

وأنت تطالع بمكث عقلي حيوي: (الصحيح)، أو (العلل)، أو (العواصم من القواصم)، أو (العلل الكبرى)، أو (الباعث الحثيث) فسوف ترى البخاري، والدارقطني، وابن العربي، والترمذي، وابن كثير، سوف تراهم جملة وتفصيلاً: لماذا خلد ذكرهم؟ وسار علمهم مسار الرياح عبر العصور. لن تجد. -نفع بك-. إلا أسس الإضافات، وسعة العقل، وبنية الكلام الرصين، تجديد ورصانة، وخلق وحكمة ومثل، وسبق جليل في الطرح، تجد ذلك شاهدًا على أن الملكة أصل مهيب، وأن الموهبة تشمها في ثنايا معالجة القول والنقد والاجتهاد والتوجيه على سالفة سلفت. ولو نظرت مثلاً. أيدك الله بتقواه، ودلك بهداه. لو نظرت اجتهادات وآراء ابن جني والمبرد وابن فارس، وعاينت بتأمل سطور ابن قتيبة وكلام عامر بن شراحيل الشعبي، وابن أبي ذئب لندبت نفسك أنك نأيت من قبل لم تقرأ لهم.

كل ذلك أسوقه لعله يفيد قومي، في حين نحن أحوج ما نكون فيه إلى طول التدبر، مما خطه القروم الموهوبون، فنأخذ منهم فنستفيد ونفيد، لا سيما لغة الخلق، ولغة البذل الزمني. وإضافات نكتشفها بعيدًا عن العجلة. واستعجال دافعة الاسم، وبروز اللقب، وما شابه ذلك، ولعلك لو جربت، وأنت كأني بك فاعل تقرأ (الصحيح) للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، فقط: (المقدمة)، فإنك واجد شيئًا في تحرير مسألة التناول، وتحرير أصول النقد والرواية، ومعالجة توجيه قول المخالف، وتوظيف اللغة والنحو والبلاغة، بما لم يسبق إليه هذا الرجل الجليل.

جرب، دلل. وهداك مولاك، وأعانك بنية وصواب. وخير فأنت ملاق العلم والرأي السديد، وهي دعوة ماثلة إلى الجامعات، والنخب المسؤولة، بضرورة ضبط هذا العلم بضابط مؤصّل قدير، بصرف النظر عن اللقب، أو الدرجة العلمية، إنما ضبط ذلك بالقدرات العالية، والقدرات القوية الفاعلة، وحماية الموهبة بحماية الموهوب، ونتاجه وآرائه، ورفع قدره وأمره معنويًّا، ودفعه للكتابة بجو آمن حر كريم، ودفعه للتجديد الذي تدفعه كوامن الموهبة من هنا وهناك.

وأصل الخطأ عند عامة أهل اللغة أنه:

1. مجانبة الصواب.
2. فيقال : أخطأ، أي لم يصب.
3. ويقال : أخطأ، لم يجود المسألة.
4. ويقال : أخطأ: زل.
5. وأخطأ : اجتهد، لكنه لم يصب المراد.
6. والخطأ : من صفات القلب لا العقل.

والخطأ أنواع:

1. سوء الفهم.

2. العجلة العاطفية.
3. قصور الإدراك.
4. عدم الإلمام.
5. التلقي السيء.

وأصل الخطأ أنه الزلل :

1. يقال : خطأ : زلل.
2. ويقال : أخطا فلان : زل.
3. وأصل هذه المفردة (خ.ط.أ).
4. وخطأ بمد الألف : كثر الخطأ.
5. وخطيئة: إثم. أو معصية.
6. وخاطئ: أثم ومذنب.
7. وتخطئة: بيان للخطأ الحاصل.
8. وتخطئ للمؤنث: وتذنب أو تسيء.

والخطأ أنواع:

1. ما كان مقصودًا.
2. ما كان عن اجتهاد.
3. ما يكون عن سوء فهم.
4. ما يكون بسبب الاستغلال.
5. ما يكون بقلة العلم.

نقد المسار العلمي واللغوي اليوم

الأصل في (فهم العلم) سلامة الآلة من الخلل، وسلامة العقل من ضيق الأفق، وسلامة النية من النزوع إلى الذاتية ونشدان الاستحسان، ذلك أن الفهم كل الفهم إنما ينطلق بالسجية الأولى المخلوق له أصلاً. وذلك طلب الخير للغير من العلم: علم سياسة العادات، وعلم سياسة المعاملات، وعلم اللغة والنحو وغيرهما، هذه العلوم إذا لم تنطلق على أساس فهم المراد من أصل الحياة، وإنما تقوم بالعلم الصحيح على أساس سليم بطريق واضح، كان من يكتب العلم، وينشره ويذيعه، يتعب نفسه ويتعب غيره، بل قد يُخطئ (بضم الياء) غيره، ويزيد بالتشنيع عليه، ولعله يبعث النوايا، بل لعله يذهب مذهب الحمقى، فيعلو في مذهبه المذاهب كلها، يمثل هذه الألفاظ:

1. يغرر بالآخرين.
2. يكتب في غير ذهنه المستقيم.
3. يكتب في غير فنه.
4. كلام غامض غير مفهوم.
5. لا يفقه بالعلم شيئًا.

ومثل هذه العبارات فجة ومريضة، قد تنبئ بجانب (طلب العلوم سوء تربية إبّان الطفولة المبكرة، ولما كان العلم يحتاج إلى علو الخلق، وعدم العجلة في نشره، وعدم القطع حال التقرير أو التحقيق أو الاستنتاج، كان الزامًا على من يكتب فيه أن يعاود ما يكتب قبل كتابته إياه، ويعاوده مرارًا، لأنه إذا نشر ما بين يديه ذهب للتاريخ، فليس بعد ذلك يكون ملكًا له، لا من قريب ولا من بعيد.

وصورة العلم اليوم أراها صورة عجولة، جد عجولة، ولا سيما من يكتب في أصول العلم الضروري: كالحديث، واللغة، والنحو، والمصطلح في علم الحديث، والأصول، والتفسير، والاقتصاد، والإدارة، والطب، والهندسة، وعلم النفس الاجتماعي بصفة خاصة، وكذا علم القضاء بالذات.

وهذه الصورة رجراجة متفاوتة جدًّا، ما بين كاتب وكاتب، وباحث وباحث، ومحقق وآخر مثله.

ولهذا لعلك تجد من يُسفه غيره ويُجَهله، إذا لم ير رأيه، ويذهب مذهبه.

قال ابن لحيدان: وهذا داعية إلى انعدام التجديد، والإضافات غير المسبوقة، فيما ذكرت من أنواع العلم آنفًا، وهناك سبب للعجلة، وجدتها خلال قراءاتي لبعض المطبوعات، وقراءاتي لبعض الزوايا الصحفية، وذلك أن بعضهم ينشد الالتفات إليه، فهو من أجل ذلك فيه: جرأة وعجلة، وينحو نحو: الإسفاف نقدًا وتهجمًا، وهو -أعني من هذه صفته- لو وضع نفسه موضع من ينتقده، لعاد إلى نفسه ينحو عليها باللائمة، وندم وخز الضمير.

وحال العلم اليوم ما دام الأمر كذلك غالبًا، فإن هناك خطورة قد تقع، إن لم تكن كذلك، وهي تبادل: (شد لي وأقطع لك)، فهذا يثني على هذا، وذاك يعظم ذاك.

وبهذه الصورة تكون الصورة -ولا جرم- واضحة للعيان، أن الخيبة تسود دون دعوة إليها أن تكون.

وسوف تجد في هدي النبوة ذم مدح المادح، وقال للمادحين: «قطعتم ظهر الرجل»[41]، وورد كذلك عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»[42].

وتبادل الثناء، وإطراء هذا لهذا، وتزلف الكتابة والشعر، كل ذلك لا يريم يؤدي بفطرة العلم. وموهبة الكتابة، وعمق الطرح العلمي، يؤدي به إلى تكرار القول، والسطو الذكي والادعاء.

وكلي أمل عريض، والرائد لا يكذب قومه: أن نقرأ قليلاً، نقرأ فقط ترجمة من تلي أسماؤهم، لكن بطول تأمل عميق:

1. ابن قتيبة.
2. الأصمعي.
3. حماد بن سلمة.
4. حماد بن زيد.
5. حماد بن أسامة.
6. ابن خلدون.
7. الفراء.
8. ابن جني.
9. ابن تغري بردي.

تراجم هؤلاء تقود دون ريب إلى قراءة آثارهم المبثوثة، سوف نجد سر الموهبة فقط، لكن هناك نجد ما يلي:

1. ما هي الموهبة؟
2. كيف كانت؟
3. آثارهم من خلالها عبر العهود.
4. سر عدم التجديد لديهم؟

هناك ندرك فقط الصدق مع النفس، وكيف يمكن استنطاق محبة الخير، من خلال موهبة الأداء، وحسن الخلق، واحترام العقل الآخر.

كيف نحمي اللغة، وكتاب نهج البلاغة؟

قد ثبت من خلال تتبع آثار العرب وآدابهم في كثير من المصادر القديمة: أن اللغة إنما تكون على السجية. قولاً واحدًا.

فقد تجد أعرابيًّا ذكرًا كان أو أنثى، لم يقرأ البتة، ولم يسافر قط، يجري على لسانه أصول اللغة، من ثنايا كلامه ومحادثته، حتى لعلك تجد فتاة في ميعة الصبا، هي ما بين الرابعة إلى العاشرة، يهولك نطقها بلغة قحة جميلة جليلة.

ليس هذا في المعاجم اللغوية، وفي آثار العرب، خلال العهود المتطاولة، إلا أنهم نشؤوا على هذا، ورضعوا لبانه أبدًا.

ففي الأسفار (كمجمع الأمثال) للميداني مثلاً، نقرأ الحكمة، ونقرأ المثل، ونقرأالرواية، نجدها منسوبة إلى فئات مختلفة من الناس، لعل كثيرًا منهم لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

ويكفي ما ذكره الأصمعي (عبدالملك بن قريب)، وهو: ثقة في رواية، أنه وجد أعرابية تعالج السقا فيه ماء، لكنها لم تطق السيطرة على (الماء)، فدعته قائلة: (أدرك فاهًا، غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها). تعني: (قربة الماء)، فجمعت الإعراب، وإن شئت قل: (النحو: في جملة قصيرة، وتحليل هذا وسواه، إنما تدركه بعد روية وتأمل وشدة مراجعة إلى ما يلي:

1. السجية والتربية.
2. الاعتزاز.
3. قوت الانتساب.
4. الفطرة النابهة.
5. ثقة الاختلاط والمحاكاة..
6. عدم التأثر بغيره لشدة الاعتزاز.

ثم جاء القرآن والسنة الصحيحة، فصعدت اللغة إلى مراق جليلة، واسعة النطق، وواسعة الألفاظ، عالمية الكلام، إذ أخذت اللغة مسارًا عالميًّا كبيرًا وواسعًا، فنشرت نفسها. بإذن الله تعالى بقوة الجذب إليها، لدى كل من يتأملها، ويسير حسب السجية التي عليها المرء.

حتى كان عصر (المأمون) عفا الله عنا وعنه، دخل إلى اللغة وعلومها علوم أخرى، ولم تكن الترجمة حينها قد جاد أمرها. وبعض من ترجم أساء، فدخلت لهجات أخرى فارسية ويونانية، وما سوى هاتين اللغتين لكن بقصد، وبدون قصد، خاصة إذا علمنا ميل (المأمون) إلى الفرس، وإن كان هو أصلاً لم يرد هذا.

وحين نضع المجهر. اليوم على تردي اللغة كتابة، ونطقًا، نرى من خلال ذلك (الحق يقال) نجد سيطرة لهجات شتى على اللغة، بسبب ضعف الشعور بالمسؤولية نحوها، ونحو فقهها، ولا كلام.

وقد أصبحت المكتبات العامة والمكتبات الشخصية تخلو من كتب مطولات (المعاجم اللغوية)، إلا ما شاء الله تعالى.

ومع اهتمام بعض (الدول العربية) التي زرتها، وشاركت فيها في كثير من (الندوات) العلمية واللغوية، يبقى طغيان لهجات أخرى مسيطرة، مما حدا بكثير من العلماء، والأدباء والمثقفين ينادون بظاهرة هذا الطغيان، وأنه خطر داهم، يوشك أن يعم إن لم يكن.

ليس الأمر بهين أبدًا، ذلك أن اللغة إذ نسيت تداعت، فزالت وحل محلها ما لا يصلح أن يكون، واللغة اليوم ليست هي الدارجة، إنما محلها صالات المحاضرات واللقاءات والدروس العلمية، مع ما يكون في هذا لسان أحيانًا ليس بقويم.

هذا كله هو المنظور، (وفتش تجد). يقول ياسر الحبيب وهو رجل رافضي، أصله (فارسي)،عاش وولد في الكويت، وهو الآن في (المهجر) فارًّا، يقول في: (قناة صوت العنزة): عيب علينا إذا لم نقض على لغة العرب كلية، ولا يمتد التشيع إلا بهذا.

ليس هذا بحسب، فهذا أيضًا (خالد الشمري) يظهر في هذه (القناة)،يقول: ما هو أطم، لكنه يفقد الدهاء والمكر كحال: الحبيب ويفضحه تشنجه تجاه فهم القرآن ولغته، ومن يستمع إليه يستغرب ضاحكًا، ولا سيما وهو يمثل دور المتشيع الجديد، المتشنج في مظهره وكلامه.

وهذا ليس بخاف منه، ولا سيما وياسر الحبيب ما دام أصله فارسيًّا، لكن الذي لا تؤمن عواقبه، هو دوام مثل هذا التهجم المرير بسماع قليلي الخلفية العلمية أو الخلفية اللغوية.

ولهذا أتوجه بضرورة (فقه الواقع)، الحاصل من قبل المسؤولين، كل حسب دوره وطريقته، بعيدًا عن التشنج والغلو والخطاب الإنشائي المرتجل، وهذا كفيل أنه سبب جيد من أسباب حماية اللغة وآدابها، وضرورة تفعيلها أبدًا، وخذ مثلاً يعطي القليل، لكنه يغني عن الكثير، خذ كتاب (نهج البلاغة)، الذي ألفه في بغداد، ونشره على أنه من كلام علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- ألفه أحد دعاة التشيع ففيه ما يلي:

1. **710** أحاديث باطلة.
2. **115** حديثًا ضعيفًا.
3. دعوة إلى الحلولية.
4. دعوة إلى الفارسية بأسلوب غامض، لكنه ظاهر.
5. ركاكة اللغة.
6. كثير من الاستشهادات باطلة.

7. كثير من الأبيات لم تصح.

وهذا الكتاب يستشهد به الحبيب كثيرًا ويعظمه، مع أنه يعلم يقينًا أنه مزور على علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وهذا الكتاب يعاد طباعته كثيرًا وهنا أصب اللوم على من لم يفقه (واقع الثقافة العالمية)، وما هي عليه مما يراد في هذه الأمة، ولغتها وعلمها ورموزها.

أَعرضَ على وزن (أفعل)

أَعرضَ أفعل، هذا هو ميزانه الصّرفي، وأعَرضَ يُعرض، يُرادُ به: صدّ يصدُّ، فهو صادٌّ، وليس قولك منصرفًا بمعناه؛ فالمعنى بين هذا وذاك يختلف.

ولأعرضَ معان منها:

1. أعرض: أشاح بوجهه.
2. أعرض: صدّ.
3. أعرض: تركَ.
4. أعرض: كَرِهَ.

ويُعرضُ يجعلُ ويبسط القول، وعرّض يُعرّضُ يُبين مراده بدليله.

وعارضَ جاعل على وزن فاعل، وهو بمعنى مار يمر، تقول: الطيرُ عارض مار، وسوف يعرض الآن لنا: يمر بنا.

وأصل أعرض عارض ويعرض أنه بحسب المراد، فمنه عارض: مار وهو للمحسوسات، وعارض يُعرض، ويستعمل في المعاني، كقول القائل عرضتْ له فكرةٌ، وعرض له رأيٌ، أو عرض له أمرٌ ما، ويُقال في غير هذا: عارض، ويُراد به (صاد يصدُّ)،

من الاعتراض، وهذا قليل، فيُقال: هذا جدار عارض، أي صاد، فلا يُمرُّ من خلاله، ومنه سياج عارض، يعرض فهو عارض: مانع يمنع الدخول لمن أرادوا.

وأعرض أبان وبان وتبين، ولا يُقال في هذا: (بيّن).قال سبحانه وتعالى حكاية عن قوم سبأ حين زلوا وطغوا: ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمۡطِرُنَا﴾]الأحقاف:٢٤[، أي هذا سحاب بَيَنَ لنا مُقبل علينا سوف يكون فيه المطر لمزارعنا ودوابنا، وعرضوا لنا يُعرضون يُراد بذلك مروا أمامنا فهم يمرون، وهذا من المترادف، فتنبه، وعارضة ما يعرُضُ من الخشبِ على البئر، وعارضة مؤنث امرأة عارضة مارة عابرة، هكذا صفة للمرور السير، وأعرضْ بكسر الرّاء أبسط لي ما لديك، يقال: أعرضْ لي القول، وأعرِضْ لي الكتاب، وأعرض لي البضاعة، وإنما ذلك على سبيل الطّلب بصيغة الأمر.

ويُعرض (بضم الياء) من المرور بفعل فاعل بحس أو معنى، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في هذا: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾]غافر:٤٦[، وعلى سبيل مُراد الترك، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾]طه:١٢٤[يُراد بهذا ترك الحكم بغير الحق، وأصله: أعرض ترك ذلك وهو يعلم، أو وهو يُعلل الترك بغير نص سليم.(وعريضة) فعيلة، بخلاف عريض، فلا وجه هُنا قولاً واحدًا، فعريضة يُراد بذلك معروضة على إنزال الصيغة منزلة المؤنث، وهذه لها مشتقات، تأتي في بابها إن شاء الله تعالى، لكن من ذلك:

1. ناقةٌ عريضة: كبيرة العظام.
2. عريضة: ورقة مكتوب عليها.
3. امرأة عريضة: ممتلئة.
4. حياة عريضة: مبسوطة بمال وجاه.
5. عريض القفا: على سبيل الذم.

وسمعتُ من بعض بلاد اليمن وجيزان: (ها أعرض)، وله وجه عندهم، فهم يزيدون الهاء. لهجة للمبادرة، فهم يسكنون العين، ويكسرون الراء. ولبعض سكان (تُهامة): (هيا اعرض)، وهي لغة سليمة سماعية، لا قياسية، يُريدُ القائلُ بذلك: انصرف لكن بلغة التهديد.

والعروض على وزنه: فعول، سماعي ومنه العلم المعروف، ونورده في جزء آت بحول الله تعالى.

1. فهي صفة مؤنثة، ويصح جعلها: علمًا على الأنثى.
2. الأحكام.. لابن العربي.
3. لغة عربية قديمة عند غالب الساحل الغربي، من ذلك: ها تعال، ها وينك، ها قد روح.
4. وحديث (أم برٌ في صيام في سفر) ، أوردته لعموم النفع.

الإعجاز اللغوي من خلال (أن) الناصبة

وُضعت اللغة على أساس نسقي مطرد؛ وذلك لتفسير المفردات الواردة في الكتاب والسنة، تلك التي يعجز عنها العامي من الناس والأمي، وإن كان من المدركين ذلك أن بعض المفردات تحتاج إلى زيادة فهم، بجانب العمق الإدراكي لإخراج المعنى؛ ليقع المعنى على المراد من خلال النسق المتحد.

ولهذا تكون اللغة ودلالاتها من علوم الآلة، ومكان ذلك العقل، وسعة أفقه قولاً واحدًا.

والنحو طردًا أريد به إعراب الجمل والمفردات، للدلالة على المعنى الذي ينشده المطلع والقارئ سيان.

والنحو لست بحاجة إلى تعريفه، ولا اللغة كذلك، لكنهما قطبا رحى، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فضلاً عن أن النحو إنما جعل ليستدل به على الأحكام من خلال الكتاب والسنة، ويستدل به من خلال المعاجم: (معاجم اللغة والبلدان والأماكن)، التي يستدل بها على المواضع، وما تدل عليه.

من أجل ذلك فإنه يصعب القول على أحد أن يسمي أحدًا بأنه عالم لغة أو عالم نحو، ما لم يكن هذا أو ذاك لدى كل واحد منهما الاستعداد للفهم والإحاطة، وزيادة على ذلك عمق النظرة في كليهما. ومن فقد شيئًا من ذلك فإنما يعتبر من المجتهدين، الذين يقع منهم ما يقع؛ ولهذا لما فقدت الأمة (حماد بن سلمة) الإمام المحدث شيخ مسلم والترمذي وابن ماجة، وأبي داود والنسائي. لما فقدته توقف العلم إلى أن منَّ الله على هذه الأمة بغيره من الكبار، الذين نحوا نحوه. في كل هذا أقول هذا بين يدي ما سوف أتحدث عنه في هذا المعجم المهم، الذي دعاني إليه ما يقع فيه بعض العلماء واللغويين، وما يقع فيه بعض المثقفين والشعراء.

وهذا سببه الغموض الذي يكتنف الفعل المضارع ونواصبه، ولا سيما الحرف (أن)، فأبين هنا أن الفعل المضارع عند صناع النحو.أن الفعل المستمر من فاعله حاضرًا ومستقبلاً بالقيام به، وذلك نحو (يكتب ويعمل)، وهكذا كل فعل يشابه هذا أو ذاك، ولكن هذا الفعل له من النواصب من الأدوات ما تحيل رفع آخره إلى النصب، وهذه النواصب لا شك أنها معروفة من حال النحو، وجريان القول عليه بالضرورة، إلا أن الذي أحببت ذكره هنا بعد تمحيص وتدبر واطلاع على عامة كتب النحو، وما طرحه علماء الحديث، الذين كتبوا في

اللغة والنحو: كالإمام النووي والعيني وابن حجر وابن رجب، وسواهم خلق لا يحصون. الذي أحببت ذكره أن هناك حرفًا من حروف النصب يحتاج أمره إلى بيان.

ولست أزعم أنني من بكر إلى هذا أو بينه، لكنني أشد بالقلم أن هذا الحرف قد يفوت فهمه ودلالته على كثيرين.

من أجل ذلك أكتب حوله، مختصرًا القول، من باب بيان عظم هذه اللغة، وسياسة نسق تراميها، للدلالة على المعاني من خلال الطرح السياقي.

وهذا الحرف هو (أن)، وهذا الحرف له ميزة من بين سائر حروف النصب السابقة للفعل المضارع؛ فهو ذو امتياز على غيره بما يأتي:

1. أنه يعمل ظاهرًا، وهذا لا يحتاج إلى بيان، لاطراد فهمه لدى الجلة من العلماء واللغويين، وهذا نحو (يعز عليَّ أن تمشيَ بالنميمة)؛ فإن هنا ظاهره وقد نصبت الفعل (تمشي) بفتحه فوق الياء. وقس على هذا، وهو شائع في اللغة.
2. لكن الإشكال الذي أرمي إليه، هو غموض عمل أن في القسم الثاني، وهي أنها تعمل من باب الجواز، لا من باب الإيجاب، وذلك نحو (سافرت معك لأربح)؛ فهي هنا تكون أعني (أن) من باب الجواز؛ وذلك لدلالة المعنى عليها، والأصل تحريرًا (سافرت معك لأن أربح).

واللام في (لأن) حرف جر، لكنها في معنى التعليل، وهذا واضح من السياق، ومن نسق الطرح الدال على المعنى من وجه قريب.

وسواء كانت حرف جر أو تعليل، فإن هذا واضح من خلال الطرح.

معجم الآثار الضعيفة

نعود تاليًا كما بدأنا أولاً على إضافة القول فيما من شأنه نفع العلماء والباحثين، بإذن الله من سبيل بين واضح، حيال ما يمكن إضافته في هذا الأمر الحيوي، الذي آمل من خلاله التنبه إليه، وذلك حمايةً لجناب العلم والتحقيق، اللذين لا بد لهما من صولة وجولة في حياض الذب على الآثار، وإنما ذلك قارئي العزيز يكون بإيراد بعض الآثار الضعيفة، التي لعلها لم يقف عليها أحد في العصر الحديث، وإن كان قد ذكر بعضها ثلة قليلة من المتقدمين عبر العهود المتطاولة، ولا ضير أن أختصر القول هنا، فإن غاية القول الدلالة على المراد بقليل من الكلام، ويكون بغير توسع في فهم ما أردت من إيراد هذه الآثار، التي استشهد بها كثير من العلماء والمحققين والباحثين، وليس كتاب الصحف بمنجاة من هذا، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾]فاطر:١٤[.

فمن هذه الآثار :

1. اتقوا الرأي في دينكم، هذا رواه البيهقي في المدخل.
2. أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم هذا حديث موضوع لم يصح.
3. لايعجبنكم إسلام امرئ، حتى تعرفوا عقدة عقله.
4. أكثر أهل الجنة البله.
5. حديث الغرانيق، ونصه: وإن شفاعتهن لترتجى، فهذا حديث باطل.
6. لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه حديث باطل.
7. وحديث التحكيم بين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص أيام علي ومعاوية، لم يصح هذا، أبطله الطبراني وغيره.
8. أبيات قيلت في مقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي:

طلع البدر علينا ××× من ثنيات الوداع

الأبيات لم يثبت أن الأنصار قالوها، وثنيات الوداع ليست بين مكة والمدينة، بل بين الشام والمدينة. وهناك من قال: إنها قيلت في مقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوة تبوك، وحتى هذا يبطل سنده، ومتنه ركيك، فإن الأبيات ليست مما يقال في صدر الإسلام، لضحالتها وخفة ألفاظها، ففي هذا علتان: علة السند، وعلة الأبيات. ولا

يحسن إيرادها، ولا التغني بها، على أساس أنها صحيحة، لكن يمكن القول أن تقال من باب الثناء ليس إلا.

9. كذلك حديث: سلمان منا آل البيت، وهذا الحديث يردده أهل الدين الشيعي، على أنه من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وليس كذلك، بل هو من قول علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحتى هذا لم يثبت بسند صالح، و إنما كررت هذا، وقد ذكرته من قبل حفاظًا على جناب المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
10. اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، هذا حديث يردده الوعاظ وبعض المحتسبين، وهذا حديث باطل من حيث السند، ولم أجد له قائمًا يقوم عليه، فلعلهم يتحاشون ذكره فلا يوردونه.
11. أفطر الحاجم والمحجوم، هذا الحديث صحيح، لكنه منسوخ.
12. لعن الله زائرات القبور من النساء، الصحيح زوَّارات، وليس زائرات.

ومن هذا المنطلق، فإنني إنما أوردت هذا من باب الإشارة، وإلا فإن الخُرج فيه ما فيه ممن يحطب ليلاً، فلعله يضر نفسه، ويضر غيره من الذين لايعون أخبار وآثار وروايات هذا الدين وليس المعول. وهذه نصيحتي لكافة العلماء وسواهم، عدم الاعتماد على كتب التاريخ، ولا على كتب الوعظ، إلا بعد التحقق من الأسانيد بضابط الصحة، التي يصح معها المتن وإلا فلا. وإضافة إلى القول هذا، فإن المعول عليه عقلاً: أن المسألة أمانة، يسأل عنها من يكتب أو يحقق أو يبحث ثم ينشر، ولا هو بمعول على الصحيح، إنما هو ينقل، ولا يلقي باله على الصحيح من السند ومعرفة أحوال الرواة.

الـصدق

أصدق: أفعل هذا وزن هذه اللفظة، والصدق: قول الشيء على حقيقته، وهو وصف قائم بذات المتكلم، لا ينفك عنه إلا ليعود إليه، وعند عامة أهل الحديث هو على أنواع ثلاثة:

1. صدق: الاعتقاد.
2. صدق: القول.
3. صدق: العمل.

وصدق المتكلم حقًّا.

ويصدق: قال الحق على ما هو عليه.

وأصل حروف هذا الوصف ثلاثة: الصاد، الدال، القاف، ويتفرع عن ذلك الأفعال الثلاثة.
صدق: للفعل الماضي.
يصدق: للفعل المضارع.
أصدق: لفعل الأمر.
وللصدق علامات.
الثقة المتناهية في النفس.
السكينة الطويلة.
العزم في الأمر.
التثبت في القول.
صحة المعتقد.
سلامة الخلق من الرياء.
جودة أداء الأمانة.

يقال: أصدق من نبي، ويقال: أصدق بلاغة من داود، ويقال: أصدق أداءً من رسول.

ويقال: صدق الصبح: أسفر وبان. ويقال: أصدق من سحبان وائل. أي أنه صادق في لفظه ودلالته.

والصدق على ثلاثة مناح:

أ. جبلة وخلقة.
ب. مكتسب وتجربة.
ج. تكسب وتصنع.

وفي ابن كثير وابن العربي وابن جرير الطبري، وعند ابن منظور والجوهري كلام جيد معتبر، عن الصدق ومعانيه ومشتقاته، وخير زلفة ما كان جبلةً وخلقةً، لأن هذا عائد إلى طبع كريم وتربية خالصة حرة، جاء في الأثر: وإن الصدق يهدي إلى البر[43].

وجاء عند الأقدمين: الصدق منجاة وبمفهومه: **(الكذب مهلك)**، و**(هلاك المرء كذبه)**.

وجاء في الأثر: وأن الكذب يهدي إلى الفجور[44]. ويلازم الكذب دائمًا التملق لبلوغ الغاية، وهذا من أقبح الخلال أبدًا.

(علم الـجرح و الـتعديـل أصل الـعلـم.. و الـلـغـة)

جرت عادة عامة المؤرخين وكتاب الأخبار والسير، من قديم الزمان أنهم ينقلون ما يسمعون، وما يُكتب إليهم، وما يرويه لهم غيرهم من الوقائع والأحداث والأخبار، فيدونونها على حال ليست بذاك، فيقع عندهم أشياء لا تُصح بحال. وكنت قد درست هذا ردحًا من الزمن في كتاب (نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين)، بينت فيه الخلل الذي وقع فيه كثير من هؤلاء، مثل: المسعودي صاحب مروج الذهب، وأبو الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني، وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد، والجاحظ في البيان والتبيين، وابن شبّة والأزرقي وغيرهم من المؤرخين وكتاب السير. ولقد وقع كثير من المعاصرين في مثل ما وقع به كثير من المتقدمين، ولعل المتقدمين لا يقصدون الكذب ذاته والوضع ذاته، فيما يروونه من الأخبار والروايات، منذ البعثة إلى السنة العاشرة للهجرة، لكنهم يكتبون وينقلون، ويروون على طريقة خذ وهات، دون تمحيص أو تدقيق أو تثبت، وذلك من خلال الأسانيد، وأحوال الرواة وطبقاتهم ومروياتهم، ولهذا وقع كثير من الدارسين المعاصرين من العلماء والمؤرخين والباحثين في خلل النقل المجرد الإحالة على كتب تنقل نقلاً، وتورد إرادًا، دون شاهد مادي، يقوم عليه الحق من المتون، وهذا أبطل عملية التجديد في الآليات العلمية والنقدية في التاريخ والسير والروايات. والذي أقوله صادقًا: إن ما يُدوَّن اليوم عن طريق النقل ليس إلا قد يجر على مجرد الحكايات، فيصدقها العوام، وكذلك يصدقها عوام الكتاب والنقلة، ولهذا نجد قصة الغرانيق مع بطلانها مدونة، وكذلك قصة التحكيم، التي ندب إليها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وندب إليها معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمرًا ابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا للفصل في الخصومة فيما جرى بين الفريقين والفئتين المؤمنتين، ونجد هذا مدونًا في كثير من الكتب تاريخه والسير حتى لعلها في بعض المناهج الدراسية، وكذلك ما ينقل عن معاوية أنه أمر

بسب علي على المنابر، وكذا ما ينقل في بعض المصادر التاريخية لا سيما كتب الصوفية: أن قبر آمنة بنت وهب موجود في الأبواء، ومن المعلوم أن الذي يريد السفر من مكة إلى المدينة لا يسلك طريق الأبواء، إنما يسلك الطريق الغربي، مرورًا بالجموم وعسفان، فتكون المسافة قرابة سبعة إلى ثمانية أيام، أما الطريق الأول فيصل المسافر من مكة إلى المدينة بقرابة أربعة عشر يومًا. وكذلك ما ورد من أن موضع مولد النبي ﷺ هو في موضع المكتبة الآن بمكة، وهذا أمر باطل سندًا ومتنًا، ولكن النقل من هنا وهناك دون تثبت من أحوال الرواة ودرجاتهم، يجعل الأمر ضربة لازب. وكذلك أيضًا ما تم نقله من قضية أن عثمان رضي الله عنه نفى أبا ذر رضي الله عنه إلى الربذة نفيًا، ولم يحصل هذا بسند صالح يقوم عليه المتن. وكذلك ما تم نقله عبر القرون من قضية اتهام عمر لخالد رضي الله عنهما حينما عزله وولى أبا عبيدة مكانه. والحقيقة أن ما يوم حليمة بسر، وليس يمكن حجب الشمس، ولست أخال أن الحق إلا هو الحق، على واضح من طرس تليد، ولكن هذا يحتاج إلى موهبة العقل في التثبت من الأسانيد والمتون ومعرفة أحوال الرواة والجرح والتعديل والشذوذ والعلة، وإلا لأصبح كل الناس علماء وباحثين ومحققين وكتابًا، ولكن ليس كذلك، وقد وقع لي كتاب للدكتور عبدالحليم عويس بعنوان: (أسطورة إحراق طارق للسفن)، وقد عرضته مجلة الوعي في عدد **607** لشهر ربيع الأول من عامنا هذا **1437**هـ، وقد أورد بالأدلة المادية: أن هذا ليس بصواب، حيث لم يذكر إحراق السفن إلا بعد الفتح الإسلامي للأندلس بأربعة قرون، إذ لم تذكره الكتب المشهورة، التي أرخت للأندلس، مثل كتاب أبي بكر محمد القرطبي المشهور بالقوطي المتُوفى سنة **267**، وكذلك تاريخ افتتاح الأندلس صاحب كتاب أخبار مجموعة افتتاح الأندلس، وكذلك أحمد بن محمد آل الرازي وابنه عيسى وابن الفرضي صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس، وكذا الخشني صاحب كتاب قضاة قرطبة، فكل هؤلاء الأثبات لم يذكروا إحراق السفن، وهذا في نظري يبطل هذه النسبة لا سيما، وطارق بن زياد أخذ العلم عن المسلمين، وإن لم يكن عربيًّا لكنه مسلمٌ يقتدي بدينه، ولا يمكن أن يفعل هذا الشيء، لا سيما وهو من ذوي كمال العقل والرأي السديد. وهنا كتب أخرى مشهورة، مؤلفوها معروفون، لم تذكر إحراق السفن إبان الفتح الإسلامي، الذي ضم جملة من البربر المسلمين والعرب

المسلمين والأفارقة المسلمين، وهم هنا مع طارق كانوا قليلي العدد، أعني الأفارقة، والمؤرخون هم هؤلاء: أبو مروان ابن حيان القرطبي وكتابه المقتبس، وابن حزم وكتابه نقط العروس وكذا طوق الحمامة، والحميدي وكتابه جذوة المقتبس، والطرطوشي وكتابه سراج الملوك، وكذلك ابن بسام وكتابه الذخيرة في محاسن الجزيرة، وكذلك ابن بشكوال وكتابه الصلة. قلت: وميزان الجرح والتعديل في نظري ونظر المختصين من العلماء الباحثين في علم الحديث والسير والأخبار رواية ودراية، يبطل ما هو مشهور من أن طارق بن زياد قد أحرق هذه السفن، والذي يعود إلى كتابي (نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين) يجد حقيقة القول سندًا ومتنًا في كثير من الأحداث والوقائع، ولعل الذين ذكروا الإحراق منهم الإدريسي المتُوفى سنة **506** في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، ولعل الدكتور محمود ابن علي بن مكي لم يذكر الإحراق هذا، إلا من باب الرد، وأن هذا أسطورة، كذلك الحال بالنسبة للزمن، فإن فيه كبار العلماء من المحدثين وعلماء الأسانيد والمتون، زخرت بهم العراق والشام والحجاز وجزء من أفريقيا: مصر والصومال والمغرب، فلم يذكروا هذا، إذ إنهم لم ينتقدوه، ولو تم لذكره العلماء، لا سيما وقضية الإحراق لو حصلت لاشتهرت في زمانها، على حقيقة لا تقبل الجدل، لكنها ذكرت في حال تأخرت أربعة قرون، وهذا الأمر أبينه هنا على أن يكون أمرًا يتبين لكافة كبار العلماء والمحققين والباحثين: أنه لا بد من طول التأني وسعة البال وجمع الأقول، وفي مقدمتها الأسانيد، إذ لا بد منه خاصة قضية الإحراق، وقد كانت في زمن قوة الرواية، وشهرة كبار العلماء في الأرض، من أجل ذلك لعل في هذا مني أشارةٌ إلى ضرورة الدقة والأمانة، وتصحيح الأخبار والنقولات فيما بعد، وذلك بشدة التحري، وضبط الأسانيد، أو سؤال ذوي الاختصاص، الذين يحفظون الوقائع والأحداث مع الأسانيد والمتون، فيخرجون منها الصحيح من الضعيف، وما له أصل مما ليس له أصل، وذلك حتى يقوم العلم: علم الأخبار، وعلم التاريخ والتحقيق، وعلم الفتوى، على قاعدة صلبة من علم قوي مكين.

وأصل العلم أنه : موهبة إذا صاحبه فهم وأمانة.

1. علم : إدراك.
2. علم: أحاط خبرًا.

3. علم: أجاد وسدد.
4. علم : وعى.
5. علم : أشرف فهم.
6. وعلم : وصل إلى شيء ما.
7. وعلم : أدرك مراده.
8. وتعلم : تفهم.

الـجرح و الـتعديـل و الـلغـة

من أهم ما يمكن الوصول إليه لمعرفة الآثار والحقائق والوقائع هي الأسانيد، وذكرت آثارًا ووقائع لم تصح، وكان سبيلي ونهجي في ذلك الطرح هو إحراق طارق ابن زياد سفنهُ، وبينت أن عبدالحليم عويس قد شكك في هذا، بل جعله أقرب إلى الأسطورة، كما ذكر ذلك الذي عرضه في مجلة الوعي، وكنت ذكرت عددها وتاريخ صدور عرض ذلك الكاتب لكتاب عبدالحليم عويس، ومن هنا فإنَّ من نافلة القول: أن المرتكز الذي يقوم عليه العلم النظري، ويقوم عليه العلم العملي هي اللغة، واللغةُ من حيث هي أصلٌ من أصول ما يقوم عليه الأسانيد والمتون سواء بسواء، من هذه الحيثية، فإنني أدعو المجامع اللغوية، ومراكز البحث العلمي، والهيئات العلمية الرسمية، والهيئات العلمية العامة المستقلة، وكذلك المراكز العلمية في الجامعات: أن يولوا ما سوف أذكره بذات نظر مكين، لأنني من خلال تتبعي لما يُطرح في الساحة من بحوث ودراسات علمية ولغوية، هي في نفسها ذات اعتبار جيد، إلا أنها أحيانًا تفتقد التجديد غير المسبوق، كما أنه قد يقع ما يقع من عجلة في بعض النتائج المطروحة، من هذا الباب، فإنني أركز على ما يلي:

أولاً: شحذ الموهبة العلمية للوصول إلى الجديد، مما لم يُطرح من قبل، وتكون نتيجته قد تلقى ترحيبًا يسار عليه على كل حال.

ثانيًا: شحذ العقل بإيصاله إلى التثبت، ومعرفة الضوابط والتقعيدات والتأصيلات، للوصول إلى النتيجة التي يقبلها العقل الآخر، بنظرٍ لا يقبل ردًّا.

ثالثًا: شحذ الاستقراء العميق للوصول إلى أبعاد دلالات الآثار على الأحكام، ودلالات اللغة على المعاني، للوصول إلى نتيجة لم تحظ بنظرٍ من قبل.

رابعًا: قوة الاعتبار وسعة النظر، فيما طرحه كبار العلماء، خلال العهود المتجرمة منذ القرن الأول إلى العاشر، وذلك لتلاقح العقول، وتلاقح النظر، والأخذ مما سبق من القوم، مما صنفوه من الاعتبارات والشواهد والدلالات، مع الإضافة التي يقتضيها فقه المستجدات في العصر الحديث، وهذا أمر حبذا جعله على بال دائمًا لا يريم.

خامسًا: إدراك أبعاد فقه اللغة وأصول النحو، ذلك أن العلم يتكئ غالبًا على اللغة والنحو وأصول الفقه، كما يتكئ على العقل السليم.

سادسًا: فقه اللغة، وذلك للوصول إلى أبعاد دلالات الآثار، مما ورد في الكتب الستة عند علماء الحديث، وكذلك ما أورده علماء المعاجم والنحو في المصنفات الطوال.

سابعًا: لا بد هنا من طرح النتائج، بعد كل نظر أو بحث أو استقراء ظاهرًا للعيان، وإرسال ما ظهر لكافة العلماء؛ ليدلوا بما يرونه، وفتح الباب في هذا لا جرم يعطي تلاقحًا للعقول والأفئدة؛ لبذل الرأي الجديد، والاجتهاد الجديد.

ثامنًا: لا شك أن تلاقح العقول المختلفة، هذا سبيل شرعي، كم ذكره العلماء في أسفارهم، التي بين أيدينا، فاستفادوا وأفادوا.

وكان لطرح مجلة الوعي، وما كان قد عرضه الذي عرض كتاب عبدالحليم عويس، كان لهذا الدور الجيد والصيت الحسن، الذي أفسح المجال أمامي لدراسة إحراق طارق بن زياد السفن، والذي توصلت إليه هو نفسه ما توصل إليه عويس: من أن طارقًا لم يحرق السفن، وذلك لأن متن الإحراق فيه خلل لأنه إسراف، ولأن هذا القائد المسلم كان معه ثلةٌ من المسلمين العرب، ومن المسلمين الأكراد، ومن المسلمين الأفارقة، وفيهم علماء، كذلك مما يدل على تهافت الإحراق: أنه قد توفر كبار العلماء: علماء الأسانيد، وعلماء الجرح والتعديل، وعلماء المتون، فلم يذكر ذلك الذهبي ولا ابن الأثير، ولم يذكر ذلك خليفة بن خياط ولا الزبير بن بكار، ولم يذكر ذلك المؤرخون المعاصرون، ولا الذين بعدهم بحين طويل.

من هذا المنطلق، فإنني أعود على بدء من تدريس الطلاب في الجامعات والمراحل العليا، تدريسهم علم الجرح والتعديل، وعلم الأسانيد، وعلم أحوال الرواة، كذلك علم المتون، وهذا يعطي سبيلاً عظيمًا وسبيلاً كبيرًا لإخراج جيلٍ كبير من علماء، يفقهون واقع المتون، وواقع الأسانيد، وحقيقة فقه اللغة، وأصول فقه المستجدات.

من هذا المنطلق، فإنني أوصي من يطالع المقال بقراءة ما يلي:

تهذيب الكمال. (للمزي).

الطبقات الكبرى. (لابن سعد).

الضعفاء الكبير. (للعقيلي).

تاريخ دمشق. (لابن عساكر).

تاريخ بغداد. (للخطيب البغدادي).

سير أعلام النبلاء. (للذهبي)، وهذا كتاب مهم في بابه ولبابه.

تاريخ الأدب العربي. (للرافعي).

ووحي القلم له أيضًا.

منهاج السنة. (لابن تيمية).

المقدمة. (لابن خلدون).

الصحاح . (للجوهري).

لسان العرب. (لابن منظور).

أوضح المسالك. (لابن هشام).

وكذلك، وهذا لا بد منه.

الجرح والتعديل. (لابن أبي حاتم).

تاريخ البخاري. (الكبير والأوسط والصغير).
المعاجم الثلاثة للطبراني، وهذا لا بد منه.
ومن ذلك أيضًا نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرخين. (للكاتب).
مسند الإمام أحمد بتحقيق شاكر.
مصباح الزجاجة. (للبويصري).
المبسوط. (للسرخسي).
الموافقات. (للشاطبي)، وهذا كتاب يحسن تدبره ومراجعته جيدًا.

وهنا كتاب من نظره على سبيل الاعتبار والتلقيح والنظر، وهو كتاب ابن جرير الطبري في التفسير، وكذلك تاريخه، لأنهما كتابان كفرسي رهان، لكن هذين الكتابين يحتاجان إلى مطاولة في النظر، وشدة المراجعة، وعدم الملال.

القضاء. الموهبة والمسؤولية

الأصل في سياسة الدول حسب مسارها السياسي والأمني والاجتماعي والقضائي: أن ذلك كله يعود جزمًا إلى الموهبة، الموهبة غير المكتسبة، فإن جاء الاكتساب كان شحذًا للموهبة، وقوة لقدرتها على العمل الجاد المركز المتقن، سواء بسواء.

والقضاء أصل من أصول بناء الحياة؛ إذ إليه يعود تقرير الأحكام بالإلزام، بين طرف وطرف، وخصم وخصم، وجماعة وجماعة؛ ذلك أن القاضي في مجلس القضاء يحكم بما يظهر له بتأن وروية واتزان، وبُعد نظر، مع سابق عمق جيد، وصفاء ذهن مكين، وسعة اطلاع، سالم من كل خلل، والموهبة تزيد هذا بصائب من حكم جليل.

ولا ينفع في القضاء العجلة، أو الأخذ بمجرد الرأي، أو تطبيق حال على حال، أو واقعة على واقعة، أو قضية على أخرى، فضلاً عن الأخذ بنص ضعيف، أو نظر مرجوح.

وإذا كان القاضي قد طُبع على الموهبة، وخلق عليها، ساس نفسه؛ فيتكشف له وأمامه معضلات الأمور، تلك التي قد تنقلب على غير حق، فيؤجل القضية أو ينظرها، ويكون في نظره نوع من وجوب إعادة النظر.

ولهذا نجد الموهوب ليس في القضاء فقط يدرس ويوازن ويبدي ويعيد ويستشير، حتى من لم يرَ أنه على سياسة. وقد فعل هذا عبدالرحمن الناصر، وأبو جعفر المنصور، ومن قبل هذين عمر بن عبدالعزيز.

ومن القضاة الكبار الذين نهجوا هذا النهج: يحيى بن سعيد الأنصاري، وسليمان بن حرب، وكذلك فعل شريح القاضي، وشريك منذ أقدم الأزمان.

ومنها فالقضاء لا يصلح له إلا المكيث، قوي التأمل، البعيد عن الظهور. لكن قوة العمل مع الإتقان، وحسن الخلق على كل حال.

ولهذا كان القضاء في الدول المتعاقبة خلال العهود بنية أصلية في تأسيس الحضارة، وبناء العود الذي لا يكون الأمر إلا من خلاله، محاطًا بولاء تام لولي المسلمين؛ ولهذا صنف الأقدمون في القضاء، وأطنبوا وشرحوا، وقعدوا وأصلوا، وبنيت على هذا كله كتابي: (حال المتهم في مجلس القضاء).

من هذا الباب، وما يتطلبه هذا المعجم: أبين ما يدور حول لفظ القضاء، من حيث المقتضى اللغوي؛ لنصل من خلال ذلك إلى المراد منه، حسب السياق المعجمي عند

المصنفين.

فلنبدأ:

أولاً: قضاء بمعنى أوحى وأنزل.

ثانيًا: قضاء بمعنى أمر.

ثالثًا: قضاء بمعنى قال أو دبر.

رابعًا: قضاء خلق وأوجد.

خامسًا: قضاء ألزم، وهذا نتيجة قوة النظر.

سادسًا: قضاء بمعنى حكم.

سابعًا: قضاء بمعنى فعل وأنهى.

وقضى لي (وهبني وحكم لي).

وتقضي لي مثله على سبيل الاستمرار.

ويقضون يحكمون، ومنه يمضون، ومن ذلك قضوا وساروا.

ومن ذلك أيضًا يقضون الليل يبيتون، وهذا من باب التضاد، وعلى هذا يراد به يسهرون.

وهل قضى لك؟ حكم لك.

وفي الجملة، فإن القضاء على هذا الأساس، وما تقدم قولي فيه، أجزم كما جزم غيري من الأقدمين: أنه سياسة تتعلق بذات العقل، لا بذات القلب؛ ولهذا فالقضاء من ضخامته ثقيل، لا يقوم عليه، ولا يقوم به إلا الثقيل؛ ولهذا كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء بعده يكتشفون الموهبة، ثم يوظفونها، ثم ينمونها، ثم يحافظون عليها؛ ولهذا سار الدهر بذكر الأولين على تجرم العصور.

ويكفي في القضاء قوة الاكتساب، إذا تضمن ذلك قوة التأني، وشدة المواجهة، وتمام العدل بين طرف وطرف، والمكث الطويل في نظر القضايا، والإحاطة بأصولها وفروعها كافة؛ ذلك على أن الحكم على الشيء، لا يمكن أن يكون إلا بتصوره تمام التصور.والله الموفق.

الإجابـة

منذ مئة عام بل تزيد، سعى كثير من الباحثين والمحققين، وسعى ذوو القدرات الحية، لعمل الخير المطلق، وسعى المعنيون في طرق شتى، سعوا جميعًا المسؤول منهم والمستقل إلى الجهد الجيد، لإنشاء المجامع العلمية والهيئات العلمية. وكذا المجامع اللغوية، والمراكز التاريخية، حتى الجامعات دخلت حمى السباق، لا تلوي على شيء، سعت من خلال المجالس العلمية، ومراكز البحوث والندوات الجيدة المعتبرة، كل أولئك لا أشك ولا غيري من المعنيين عن الموهبة والتجديد[45].

سعوا لإحياء ليس: اللغة، ولا النص، ولا العلم، فكل هذا مدون ومسطر في الأسفار الخالدة، مما خلفه القروم عبر الأزمان، إنما سعوا لإضافة ما، أو تجديد ما، أو بعث لنازلة بتعليل عاقل حر مستقيم، لست أزعم اليوم أنني مطلع على كل شيء، وأقرأ كل شيء، وأنا مع كل شيء، لكنني فيما يخص: العلم واللغة. وعموم أطروحات: التاريخ والنقد والإدارة. أظن أنني في هذا لا أقل عن غيري، ممن لهم سبق كبير عمرًا وتجوالاً وحضورًا وإن كنت أصغر سنًّا، ولم أجس ما جاسوا من الديار.

إنني أرى خلال قرن سلف، وها هو يتصرم مثله، أرى ما أرى من هذا الكم الجيد المعتبر المشكور من هذه الهيئات، والمجامع، والمراكز، لكنني لم أر، وهذا فهمي ودرايتي، لم أر إضافة سباقة، يقول القائل: لم تكن قد لم أر هذا. لم أره.

ولا يحسن (هنا) جعل الجسارة في الطرح أو قوة الرأي بعرض ما يتم عرضه، أو جعل الجرأة في البحث، أو الإنشاء المهول، أو كثرة المصادر، وقوة الجاه، لا يحسن أبدًا هنا الخلط بين التجديد وهذه الاعتبارات، لا سيما مع قلة القراءة الجليلة المركزة في مثل هذا الحين[46].

وإن نحن فعلنا هذا وآمنا به، واتخذناه سبيلاً، كنا كمن يصطاد طيرًا، ثم هو يطلق، ثم يصطاده، ثم هو يطلق، وهكذا، فيزعم أنه اصطاد خمسين مرة، فماذا نسمي هذا؟ ماذا نسميه؟

كنت من خلال حضوري المؤتمرات خاصة في سياسة الإدارة العليا الدقيقة، وكذا: القضاء والتاريخ[47].

ومن خلال تدريسي في مجال الدراسات العليا كنت أركز على نحو جيد، كنت أراه كذلك، وكنت أركز على الآتي:

1. ما هو البحث؟
2. لماذا هذا البحث؟
3. حقيقة المصادر؟
4. أصول المصادر.
5. حقيقة الدليل، وصحته.
6. ضبط التعليل بضابط مستقيم.
7. جلب رأي جديد قدر المستطاع.
8. إضافة مهمة، ولو كانت ضيقة.
9. قوة المراجعة وتكرارها.
10. التنبه لطرد التشابه في الآراء.
11. الحذر من العجلة بأي صورة.
12. ضبط معايير نظر سياسة الإدارة العليا.
13. ضرورة الاستفادة من كل حضارة بحذر.
14. إبعاد هاجس الإعجاب بالنفس.
15. طرد إرادة المصلحة الذاتية بأي حال.
16. الصراحة بصدق التوجه، وبعث عمق العقل.
17. فهم معنى: (الإضافة) بصورة علمية.

وإلى هذا كنت أوجه من معي بإبقاء البحث أو الدراسة أو الرأي، حتى بعد الانتهاء منه مدة ما بين: **(5)** إلى **(10)** أيام، فقد يبدو ما لم يكن بالحسبان من إضافة غائبة أخرى، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾]يوسف:٧٦[.

ولهذا لم أزل أعتب على مثل: أ. إبراهيم البليهي، ود. حمزة السالم، و د. حمزة المزيني وأنور عشقي، وعبدالوهاب أبو سليمان، و أ. عبدالرحمن السدحان.

لم أزل عاتبًا عتاب أخ محب، مقدر على ما يبذلونه من جهد جيد ملموس، نحو ما ينحون نحوه، كل بسبيله الذي يريد بيانه وإيصاله، وذلك لتكرار ما يتم طرحه، وإن اختلف الأسلوب بين مقالة ومقالة، وبحث وبحث، ورأي ورأي.

فحينما تبحث عن إضافة أو سبق مهم فيما يكتبونه ويرونه، لا تجد شيئًا ذا بال مع أنهم قد يملكون معايير القدرة، نحو السبق التجديدي، بجانب حسن أخلاقهم وحسن أسلوبهم، ومعنى هذا معناه، (وهم صورة لصور أخرى): أنهم سوف يستمرون على هذا النحو في الفكر والاقتصاد واللغة والنقد والآراء الفقهية والإدارة.

ليس هذا فحسب، بل يرونه لصالح المقيم إذا وجد بعضهم عاضدًا أو ناقدًا، دع عنك (نقد التطرف)، فهذا ليس بشيء.

ولو كنت مثلاً قد قرأت ما يكتبه: أ. إبراهيم البليهي قبل نشره، لعلقت عليه بما يلي:

1. ثم ماذا؟
2. أين التغيير؟
3. أين الإضافة؟

ومع أنه يقرأ ويبحث لكنه يعرض فقط، ومع أنه جيد الاطلاع وذو نفس طويل، إلا أنه يعاود مجرد العرض والتكرار بجرأة، فإذا أنت انتهيت من قراءته لا تجد تحت الخبأ إلا الرمل.

إن عملية التجديد والنوعية العالية من جلب الآراء والنظريات، إذا أنت أعجبت بها، فعرضتها ودعوت لها.

1. ماذا يسمى هذا؟
2. كيف تحكم عليه؟
3. بأي عقلية تقرأ له؟.

فالبليهي ومن ذكرت لا جرم نحن بحاجة إليهم كثيرًا، لرفع سقف حرية الطرح الجيد للوصول إلى (الإضافات النوعية). كل في مجاله.

وليس هذا وكفى، فإن الإمام البخاري ومسلم والشاطبي وابن فرحون والقرافي وكذا: أبو يوسف ومحمد الشيباني وابن تيمية في (النبوات).

وابن قيم الجوزية في (إعلام الموقعين)، كلهم طرح آراء غيره، ونظريات غيره، وآثار غيره، ودلل وعلل، لكنهم أضافوا بما لم يسبقهم غيرهم، عبر تجرم القرون الطوال[48]، وحين أضافوا وجددوا بجرأة وحنكة ودهاء وسداد وزخارة علم مكين، قال التاريخ: (أنتم إذًا بإذن الله تعالى من الخالدين). وهذا كله مع مئات من كبار العلماء والباحثين، كانوا موجودين زمن هؤلاء، (كل في حينه)، فكيف لم يبرز وتخلد آثار وآراء إلا هؤلاء؟

السبب هو نقلة نوعية مسددة، جزمًا أقول: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ .. جاؤوا بها بحنكة، وسعة عقل، وصفاء ذهن وقاد، وجرأة عاقلة متأنية. إذا هذا هو السبيل لإشباع العقل بما لم يصلح إلا به، من عمل جيد سباق، نحو مدارك القول فيما من شأنه تحريك العقل، بعيدًا عن العرض والتحليل، والنقل، وتكرار الطرح.

والميل نحو: أبجديات الخطاب المباشر.

هذا هو السبيل لبعث العقل الجريء، نحو الضغط على دواخل العقل، بضابط صحة الإنتاج الفذ، بترك ما يطرح اليوم بين وقت ووقت. ليس إلا، وهذا مني لأنني أرى فيمن أشرت إليهم مع آخرين ما يمكن، (والله حسبهم)، أنهم من ذوي القدرات الجيدة، التي أرى منهم حيال (الإضافات) شيئًا جيدًا، وأرى منهم وهي دعوة مني إلى البدء، ذلك ولو بعد (حين قريب).

متى تعتمد روايات المؤرخين؟

يعتمد العلم حسبما قرأته وتتبعته وفهمته على سعة العقل، وقوة الفهم الحاد، وصفاء الذهن، الذي خلا من غبش التداخل، وخلا من لوثة تراكم فهم ليس بذاك، وسلم من ضيق النفس وسوء الخلق حسًّا ومعنى، وما لم يكن العلم ذا نهج عال سالم من دوافع الذات وحب الرئاسة (التصدر)، فإنه يحور سالكًا بصاحبه صوب عاليات هشة ومرتفعات هينة.

لقد كنت حال الاسترواح، وطلب إذن العقل حتى يستريح، ومعه العاطفة، كنت أطالع ما أقتنيه من كتب بعض المعاصرين في اللغة والنحو، والحديث، والأصول، والقضاء، والإدارة، فكنت أنتهي من كتاب صفحاته تصل إلى **(300)** صفحة، ثم حين قراري بعد إنجاز الرسميات، وبعد استقراري أطالع ما كتبه بعض الأقدمين في المجال الذي كنت أطالعه حال السفر وإن كان رسميًّا، فإنني أجد الوقت الذي يجوز لي فيه الاطلاع والنظر، فأجد فارقًا عجبًا بين كثير من المعاصرين، وبين من سلفوا من كبار العلماء العظماء، لست أدري قد يشاركني سواي، وقد لا يشاركني سواي، لكن هذا سيان، ذلك أن المهم أنني وجدت فرقًا فيما يلي:

١. المتأخرون منذ ١٠٠ عام حتى ١٤٣٥هـ.

تشابه الطرح في المجال نفسه.

الاستطراد من غير حاجة.

المبالغة في جلب الآراء.

العجلة في الاستنتاج.

إهمال تقعيد الآثار النصية.

الخلط بين الآراء دون تمحيص جيد.

بتر النتيجة.

دعوى التجديد مع جرأة خفية.

٢. المتقدمون منذ عام: ١٥٠هـ حتى ٧٠٠هـ.

إسناد القول إلى قائله بدقة ملحوظة.

ثقل القول وغزارة اللغة.

حسن الاستشهاد بتحري صحة النص.

الخطاب العلمي الرزين.

قوة الحضور العقلي الجيد.

تلمس النتيجة دون الجزم بها.

وإن كانت الكتب (المعاصرة) أحسن تصرف، من حيث السبك الترتيبي، والأبواب، والفصول، وطرح الخطاب بشكل جيد، وإن كان إنشائيًّا، ولهذا فالكتب غالبها في هذا (الحين) تفيد الطالب والباحث والمحقق؛ لسهولة طرحها البحثي، لكن معلوماتها قليلة، بخلاف كتب الأقدمين، من حيث غزارة العلم، وقوة الحاضرة، وجلائل الفوائد المبثوثة، وزبدة النظر والأحكام.

من هذا المنطلق أحيي الأستاذ الفاضل المرموق: (عبدالوهاب أبو سليمان)، لاهتمامه بكتابة البحوث والدراسات، خاصة فيما يهم: (مكة)، وقد نظرت بعضها على حين فترات متباعدة، وكنت ألتمس منها ما أحس بفائدته لي، لا سيما: الآثار، والمواقع، والنصوص، ومعالجة الخلاف بروح جيدة.

وظني غالبٌ، وغلبة ظني هذا العلمي أن الأستاذ الفاضل (عبدالوهاب) ذو صدر رحب، وذو بال واسع، من هذا وذاك، فهو يرحب بزميل وأخ له، يطارحه الرأي ليس إلا، فإن كان حقًّا فذاك يسعه، وإن كان الآخر فلا عدوان عليَّ، وإنما سبيل المجتهد: أن الأجر له ثابت.

أبدأ من هنا. ومن هنا أبدأ، قائلاً:

1. لم يثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ولد يوم **12** ربيع الأول)، ففي البخاري وسواه أنه يوم **12** أو **13** أو **14**، وكلها أسانيد جيدة.
2. هناك اختلاف قوي حول: (البيت) الذي ولد فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
3. قبر آمنة بنت وهب أم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يثبت أنه بالأبواء، وقد ذكر الطبراني في (المعجم الأوسط): أنه ليس قبرها عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
4. (مسجد البيعة) لم يثبت بسند قوي وصالح أنه هو، على أمور أخرى، لعله يبينها لي للحاجة إلى هذا، وضروري إليه ضرورة لعلها تعادل ضرورة (شرب العطشان في يوم صائف).

وكنت أحب دائمًا أن أهتبل كل صيد من طرائد نادرة، كنت أحب أن أبين أن كتب التاريخ، والأخبار والسير والروايات المطلقة، ليست عمدة في تقرير حصول شيء، ما لم يكن السند قويًّا، ليس في رواة السند: (ضعيف) بصورة من الصور. وتقرير الحوادث، والوقائع، والأماكن يجري عليها، ما يجري من لازم تحقيق مناط السند، لأنه (لولا السند لقال من شاء ما شاء). وفي أسفار جليلة يدركها، مثل: (المحدث الفاصل بين الراوي والسامع)، و(المنار المنيف)، و(علوم الحديث)، و(علل ابن رجب)، و(ابن المديني)، و(ابن أبي حاتم)، و(تواريخ البخاري) الثلاثة. وكذا (زاد المعاد)، و(إعلام الموقعين)، كل هذا هناك قد تقرر أن السند في إثبات ما أو نفي ما في حال معاملة، أو حال عبادة، لا بد من سند لا يعارضه رد

مثله، ومنهج المؤرخين في تقرير الحوادث، والأماكن، والحالات، والوقائع والآثار ليس إلا متفقًا، ولا جرم مع منهج (علماء الحديث الحفظة)، الذين جمعوا بين الرواية، والدراية.

ومنهج المؤرخين في حقيقة السَّند من حيث المعنى: أنهم يتركون كل سند، يعلمون أن فيه مثالاً، بسبب أو علة قادحة، ولست أظن أحدًا على الوجه الأغلب، يظن أن مؤرخًا أو محققًا يورد حالة أو يورد أثرًا، وهو يعلم بطلان السند بعلة من العلل، والشروط التي في (مسلم) في (مقدمته للصحيح)، وكذا (شروط الحازمي)، وما ذكره الشاطبي في (الموافقات)، تجعل صحة السند شرطًا لصحة السند وإلا فليس كذلك. ولهذا قال كما في (صحيح مسلم) قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كنا إذا قيل لنا: قال رسول الله. اشرأبت إليه أعناقنا. أما وقد وكثرت الفتن، فقلنا: سموا لنا رجالكم. أي سلسلة الرواة الذين ذكروا هذا. أي ذكر المتن أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قاله فإذا كان الناقل (الراوي) مبتدعًا أو واهمًا أو ينشر ما يراه ويرويه، وليس له صحة قائمة فيترك، ومن هناك وقع جملة من الإخباريين، وكتاب السير والمؤرخين في مجرد النقل ومجرد الرواية، دون تمحيص وتوثق لصحة المنقول، ولا شك أن د. أبو سليمان هو من خيرة من سوف يبين هذا، لتمكنه في مثل هذا السبيل.

على أنني أرغب إليه إضافة جديدة، فيما سوف يطرحه نحو: تحرير حقيقة الروايات وصحتها وطرقها، فيما ذكره علماء الجرح والتعديل، من خلال تراجمهم في مصنفاتهم، الباقية إلى اليوم: كالمزي، وابن سعد، والعقيلي، والذهبي، وابن كثير خاصة: (البداية والنهاية)، وابن حجر، وابن عساكر في (تاريخه)، وخليفة ابن خياط، وهو ثقة ثبت، روى له البخاري وغيره، وموسى بن عقبة، نفع الله بعلمه نفيد منه ونستفيد، فنحن اليوم أحوج ما نكون إلى العلم بصحة الأسانيد، وصحة المتون وسلامتها من المعارض، وأبو سليمان جدير بكل جدير وتجديد.

ومن هذا الباب أبين حقيقة الرواية.

1. فالرواية: أبين حقيقة الرواية.
2. الرواية: ما يتم نقله هكذا.
3. ما يرويه العالم، أو الراوي.
4. الرواية: ما يتناقله الناس.
5. الرواية: ما يرويه الاخباريون، وسواهم.
6. الرواية: ما يروى دون ضابط.
7. الرواية: من روى. ذكر. قال. أخبر.
8. الرواية: مطلق الخبر دون سند.
9. الرواية: القصة. أو الأثر دون رواة.

ولهذا فكتب الاخباريين وكتب المؤرخين غالبها تفتقد عنصر صدق الرواية، لافتقارها إلى صحة السند، وسلامة المتن من (المعارض).

(باب: الشين) والشخصية العلمية القوية

أشخص: بعث، وأرسل، وإنما هذا على وزن: أفعل، أشخص الرجل ابنه: بعثه. وهي لغة قحة لكنها قليلة، وهي لغة قوية، للدلالة على المعنى المراد.

وشخص ببصره غير: أشخص؛ فشخص بضم الخاء نظر بقوة تجاه جهة بعينها دون سواها، وأشخص هذه تتداخلها معانٍ مختلفة، وذاك حسب المقام، فيُقال: أشخص الحاكم رسوله بعثه.

ويُقال: (أشخصٌ أنت) على سبيل التأكد، والتثبت من عقله ورأيه، ويُقال: أشخصٌ تفعل؟! على سبيل السخرية، ويقع كذلك: أأنت شخصٌ؟ تكون على سبيل اللوم، كما يراد جمعها، بحسب المعنى المطروح، بدلالة الحس على ذلك منها.

هناك خلط بين كثير من العلماء بين قوة الشخصية العلمية بسمتها العقلية العادلة، وبين الشخصية الإدارية المركزية الجالبة، للمصلحة. المصلحة ذاتها بطرق شتى، وأحسب أنني قبل تخصصي القضائي الجنائي، والإدارة العليا أن من يقوم بالدهاء، ما كنت أحسبه القوي المتضلع كثيرًا بقوة علمية ما، أو لغوية.

لكنني. وهذا محسوب عليَّ لا لي حين نظرتُ أسفار كبار العلماء، خلال تجرم القرون إلى العاشر منها، أدركتُ أنني أخلط بين مفاهيم كثيرة، كما هي واقع اليوم الخلط بين: الموهبة، والنبوغ، والذكاء وبين خفة اليد، وسعة الحيلة، واجترار المصالح، بغاية من النباهة والذكاء الحاد، وحتى نقف جميعًا على بعض السِّمات لقوة الشخصية، أجلبُ شيئًا دونته في حين مبكر من بعض النقولات، التي وقفتُ عليها، كنتُ أكنزها لمثل هذا الوقت، وسوفَ أُدلي برأيي لعله يُسهم فيبناء الشخصية السوية مع أناسٍ لا يرون إلا أنهم: هُم.. هُم، ومن ثم يُلقون النكير حتى من أقرب الناس إليهم، لأنَّهم يعرفون منهم ما لا يعرفه جُل الناس.

وهذا سبب (مذمة التاريخ) لمن خال طريقًا ظن أنه هو، فإذا هو ليس ذلك.

إذا إليك هذا: شاع استخدام: (Intearation) وهو لفظ: التكامل النفسي والاجتماعي في علم النفس، للتعبير والاتساق بين مقومات الشخصية: جسمية ونفسية، بحيث لا ينشأ بينهما اضطراب أو تعارض.

ثم: والشخصية القوية هي تلك الشخصية التي تستطيع الإفادة من ذكائها، في مواقف الحياة المختلفة بنزاهة، وصرامة قوية، وكمال شفافية، حتى مع من لا ترغبه.

وأيضًا: تتميز الشخصية القوية بقوة العطف والنخوة، حيال من يلجأ إليها، ويبتعد في هذا كله عن كل كيد ودهاء، ولو تم أن من لجأ إليه لا يميل إليه.

وكذلك: ومن الصفات البارزة في الشخصية القوية قدرتها على تعديل موقفها في ضوء ما يتكشف لها. أمامها. من حقائق جديدة، فالمرونة التي تتصف بها شخصيةٌ تمنحه القدرة على استيعاب الجديد في الحال، ونقلتُ أيضًا: وتتسم الشخصية القوية بأنها لا تهتم كثيرًا بتوجيه الانتباه إلى ما سوف يقوله الناس عنها. والواقع أن الالتفاف حول الذات بالفكر والوجدان والخوف من النقد مع تأمل السلوك الشخصي جزئية جزئية، إنما يحول بين الشخص وبين ملاحظة سلوكه في مجموعة، بل إن الفرق في جزئيات السلوك يحول دون الانتباه إلى ما هو أكبر، ويحول دون الانتباه لمشكلات أصلية، تلك التي يُريدُ الفكر معالجتها.

وكذلك: تمتاز الشخصية القوية بالقدرة علي التعامل مع الناس بطريقة سليمة، دون تعصب أو ذاتية. والواقع أن معاملة الناس فن، قلَّما يتمكن الكثيرون منه، ولقد دأب الحكماء على وضع أُسسٍ ينبغي اتباعها، بغية النزاهة والعدل بصدق وتجرد.

وسجلتُ مما سجلتُهُ: ويتبع هذا كله: أن الشخصية القوية لها قدرتان:

الأولى هي: الإنصات إلى الآخرين بوعي وصدق، وتمام قسطاس مُستقيم، وهضم لما يقولون.

. والثانية: الإفصاح عما يدور في الخلد من أفكار واتجاهات، بعيدًا عن حماية الذات، بل لذات الحكم بشفافية الإنصاف، وتوزيع الفرص، والوفاء بالوعد، دون حيلة أو كذب بلباس الذكاء.

ءة الشخصية الحقة تبتعد كثيرًا عن إيذاء الضعيف، ولو لم تحبه بحال ما من الأحوال، ذلك أنها قوةٌ نابعة من قعر الَّعقل الحر العظيم. وإذا غاب عنها تفقدته خشية أنه لم يُنصفْ معه، فنزاهة الشخصية وقدرتها تخاف خوفًا عظيمًا ممن قطع زيارتها، بعد أن تشكى وتألم أمامها، وتُفسر الشخصية القوية الحرة انقطاع الزيارة والسلام تفسيرًا رحِيمًا عادلاً، ينبع ذاتيًّا من حرارة وقادة نحو الإنصاف، إذا كان قد استجار به من قبل، ودهاه أو تلاعب بعقله لشك ما أو ظن نفسي مُفرط.

وضابط ذلك كله عند أساطين الحكماء: أن الضَّعيف يأمن ويسعد عند القوي، والمتكسب يتسلق ويُصانع في ظواهر حالاته.

. لا تقوم حال (القوي) قوي الشخصية القوة الضارعة بعلو العدل، إلا بالخوف من ضرب من لا يملك إلا الشكوى، من كيد كائد، أو مكر ماكر، أو تسفيه مُصانع، أو

تزلف مُتزلف، وقوارب القول، كله في ضوابط الحكمة، هو وجل قوي الشخصية جدًّا جدًّا: أن يفوته نصرة من لجأ إليه، ولم يعدل معه، حتى ولو لم يكن هو من أعمله أو استعمله، لأن الأمر بيده، وإنما تشكى إليه لقوته، واللجوء إلى حكمه وعدله ورد اعتباره، ولو كان قد زل فقط .

وهذا كله حق، وهو معلوم من حال الحاصل بالضرورة، وتبين القوة من خلال هذه المواقف، التي وقفت عليها شخصيًّا، يتضح من خلالها قوة شخصية جيدة.

قال أحد الأزواج لزوجته.

* سوّي عشاءً عندنا ضيف.

* ابعثه إلى المطبخ يسوونه.

* وكيف هذا؟!!

* ما عندي شدة، أو سوه أنت.

* لا لا، أكيد الحبيبة غضبانة.

* لا بس ما بي حيل.

* اللَّي تشوفين.

ويبعث الزوج إلى الطَّباخ.

ليعمل له العشاء، وتتم الضيافة على أحسن حال.

تقول هذه الزوجة: فكنتُ بعد ذلك أهابه كثيرًا لسعة صدره، وطول باله.

وقال أحد (مُديريِ المَدارس): نما إلى علمي أن أحد المدرسين البارزين نما حوله كلامٌ من رائد الفصل، ومدرس آخر، وكثر الكلام حوله فكرهته؛ لأنه سوف يعكر صفو (سياسة الإدارة)، فتم نقله إلى عمل إداري، فتشكى إليَّ كثيرًا، لكنني كنتُ لا أرغبه أنا والوكيل والمشرف الطلابي، وكنتُ يومًا أصلي بجواره الظهر في المدرسة، فسمعته وهو ساجد -ويظن أنني لا أسمعه- يقول في سجوده: (اللهم إنهم نبذوني وركنوني، اللهم إن كانوا حافوا ولم يعدلوا، فعليك بهم بالفتنة)، فتقربت منه خلال شهر، وشيئًا فشيئًا حتى تبينَ لي الحَّقُّ في هذا، فرفعتُ بأمره تقديرًا لحضوره المبكر، وسعة علمه، فكان وكيلاً، ثم هو المدير بعد ذلك.

يقول هذا المدير ومع هذا لم يزل دعاؤه جاثمًا على قلبي، فعسى الله تعالى أن يتجاوز عني.

ومن هذا أبين ما يلي :

1. القوة: القدرة.
2. القوة: البذل من سعة قوية.
3. يقال: قوي، أي عظيم الفعل.
4. ويقال: به قوة: قدرة ونشاط.
5. وقوة: قدرة على الاقتدار.
6. وقوي: يستطيع على ما يريد.
7. وجدار قوي: متماسك، وقس عليه.

والقوة أنواع:

1. القوة الحكيمة المركزة.
2. القوة الغاشمة.
3. القوة المكتسبة.

تدهور اللسان العربي، أين الخلل؟

من أساسيات فهم اللغة وإدراك مراميها، تفتح العقل ونضوجه، وشدة التأني، وسعة الإحاطة بمدلولاتها على المراد، ذلك حتى يستقيم عمود اللغة استقامة بينة، وحتى يدرك القارئ لما يطرح أنه يفهم ويعي ما بين يديه، مما يكتبه العلماء المختصون في هذا كله، وهناك دقائق لغوية قد لا يعيها الجلة من الناس، لكن هذه الدقائق اللغة البالغة الأهمية، حين يتم طرحها من قبل كبار العلماء، يأخذ هذا مسارًا حسنًا، ولو طال المطال لتنتشر اللغة الحقة.

تنتشر بين أهلها، الذين لعل كثيرًا منهم تهاونوا في نطقها وكتابتها، فجر هذا وذاك خللاً نحويًّا ظاهرًا، وجرَّ: خللاً بلاغيًّا بينًا، فطغت مفردات لست أدري كيف تم هذا؟ ولست أظن غيري يدري، اللهم إلا اجتهادات من هنا وهناك، ذلك أن لدينا مشكلة، حتى وإن تمت ندوات حولها ومؤتمرات حولها كذلك. وهذا كله يبين كثيرًا حالتنا، وما يحسن أن نكون عليه حيالها، إن المشكلة ليست كما نتصور هينة، بمجرد ندوة أو مؤتمر يكون هناك حلها، إن المشكلة تكمن جزمًا بأننا نعالج العرض، قبل أن نعالج المرض، إن حقيقة القول تكمن في العجلة، كما تكمن في معالجة العرض ليس إلا.

إن ندوة أو ندوات ومؤتمرًا ومؤتمرات لن يحل هذا وضع اللغة، ومن ثم النحو لن يحل هذا كله شيئًا، ما لم نتلمس الحقيقة الغائبة، فالجزم الحازم لمعالجة ذات المرض يكمن في قوة النظر، إن اللغة حية حياة الأرض، بل هي الأرض التي تسير عليها العلماء، وأي أحد يسير على غير الأرض، إن حماد بن سلمة ومسلم بن الحجاج والترمذي وشعبة بن الحجاج وابن قعنب القعنبي، وإن سيبويه والكسائي والمبرد وابن جني، والثلة من كبار العلماء، فيمن سلف ما كانوا ليسودوا بعد فضل الله تعالى،

لولا إدراك هذه: (اللغة، وذلك النحو، وحقيقة البلاغة). لولا إدراكها والمحافظة عليها وحمايتها والإضافات الموهوبة دون ادعاء، ودون تعالم، ودون تلبس بها. إن العلماء المتقنين لآثار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذين أتقنوا آثار الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يعلمون جيدًا كيف يتبينون صحة الآثار من ضعفها؟

فمن المعلوم قاطبة: أن السند إذا صح صح المتنُ، وإذا ضعف السند بصفة ما من صفات العلة ضعف المتن، ولهذا لا ينظر هنا إلى نظرية تقديم العقل على النص إذا صح النص. جاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله: لو كان الدين بالرأي لكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه[49] وسنده عراقي مدني، وهو: موقوف صحيح.

قلت: إن العلماء المتقنين لآثار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمون جيدًا، وذلك أن اللغة العربية ودقائق النحو وصدق البلاغة، كل ذلك يبين صحة الأثر من ضعفه، فهم يقولون:

أ. ركاكة اللفظ.

ب. تداخل الألفاظ.

ج. نكارة المفردات.

هـ. تقعر الكلام.

فهم يقولون: إذا جاء النص هكذا على هذه الوتيرة، فإن الأثر يكون ضعيفًا جدًّا، أو هو باطل موضوع، حتى وإن صح السند، لأنه قد يكون مركبًا على متن باطل.

إذًا فاللغة أصل في العلوم وسياسة الحياة التعبدية، ولقد كان يشكل عليَّ كثيرًا كيف لم ينجح ما يصنع حيال هذه اللغة؟

إن العبرة أن ننهض وأن نقوم وأن نتدارك الأمر عبر الإلزام بها كتابة ونطقًا، وأن نحاول جاهدين باذلين عن طريق الرسميات: كوزارة الثقافة والإعلام، والشؤون الإسلامية والأوقاف، والجامعات، والمؤسسات العلمية، وأن نركز جيدًا على (وزارة التعليم العالي)، (والتربية والتعليم)، إن مثل هذا حريٌّ بإذن الله تعالى بحياتها وقيامها بفاعليتها، يبث روح التشبع بها، حتى لتكون الجزء المهم في سياق النطق بها، حتى في طلبة المراحل الأولى، إن التوصية بهذا، والإلزام به، ومتابعته، جسر قوي لقيامها. إن تشديد الأمر حول هذا، لعله يقطع مسببات غير مقصودة لحلول بعض الألفاظ العامية واللهجات الدخيلة، إن الله جل وعلا يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[50]. كذلك قال خليفة المسلمين عثمان، وقيل: عمر وهو قول صائب في مكانه لا يريم أبدًا، وسوف أذكر شيئًا هنا نقلته مما تم عرضه عليَّ ممن يكتبون خلال الزوايا، بعضه ركيك اللفظ، والآخر لا يحسن نشره.

1. فمن الركيك:

بلوى ياشنيها والله وع عليها)، (قبيح منه ذلك لو مسح وجهه بمرق) (هذا كلام سطحي يدل على نذالة صاحبه).)

2. ومما لا يحسن نشره:

هذا المريض نفسيًّا كيف ينقل مثل هذا الخبر، يتلصص على المكالمة.

بتاع كله مسكين في كل شيء، يكتب هذا (بتاع كله) صحيح.

وش هذا: سحر.. أو مس، لا حسد وين حنا في عصر العلم.

فهل مثل هذا أو مثل ذاك يتم نشره، قد يكون. (ففاقد الشيء لا يعطيه)، لكن الشعور بالمسؤولية نحو: الأخلاق والأداء العلمي أين هذا؟

وأين حقيقة اللغة، وحسن اللفظ في كتابات يطالعها العاقل، فيضحك، ولعله يستغرق: ضاحكًا.

ويطالعها العجول فيتعجب!!!

ويطالعها خالي الوفاض فيتساءل إذًا: هذه بعض الحال التي يقع أمرها تباعًا.

ومع أن كثيرًا من كتاب الزوايا يصدرون عن صدق فيما أحسب، والله حسيبهم. ويكتبون عن إخلاص، لكنهم يجنحون للعجلة، كما يجنحون للإنشاء والثقة الرجراجة، وغالبهم يكتب بألفاظ قوية وعبارات قاسية، لكن المعنى ليس بذاك، فهو مترد أشبه ما يكون بالغثاء، وتلك كتابات وقتية، لعل الواحد منهم لو قرأ ما كتب بعد عشرة أعوام لقال ما هذا؟
كلا ليس هذا: أنا.
لعلي أجهل.
لعلي كنت أنشد الاستحسان.
أبدًا كنت متوقعًا بدافعٍ ما.
ليتني لم أفعل.
ليتني لم أكن أنا ذاك.
ما هذا ما هذا؟!!
وهذه واحدة من كثير تسلك بنا سبيل تراخي اللغة.

إن العجلة والكتابة الوقتية، إن الاندفاع العاطفي ليجعل هذا وذاك الكاتب نفسه حجر عثرة في طريق أمر اللغة، وقوتها، وتأثيرها، وسلامتها، إن مثل هذه الكتابات ما بين نقد ونقل، وملاحظة وملاحظة، ورأي ورأي، على هذه الوتيرة، لا جرم يؤثر هذا كله في مسار أصالة اللغة وقدرتها على الاستمرار، ويجلب إلى الساحة الهشاشة النقدية ورداءة الملاحظة، لأن مثل هذا حقًّا يجعل صاحب هذه الكتابة معه الحق، خاصة إذا لم يرد عليه، ولم يناقش لسبب ما من الأسباب، التي قد يعيها أو لا يعيها.

إن الحصيف جد حصيف هو من يكتب من ذات منطلق حر عادل جيد نزيه متوازن، يعرض ما يريد طرحه كله تباعًا، ثم المناقشة بروح جيدة، عالية الخلق القويم، وسعة الصدر، وبيان وجهة النظر بروح تأخذ بالعقول، لما تتسم به من نزاهة وعدل تام تام، حتى ولو كان ما يكتب من الموضوعات ذات الحساسية المهمة، التي يجب القطع فيها ولا بد.

إن حقيقة القول ليس فيما أكتب أنا، أو ما تكتبه أنت، بل هي كيف أكتب؟ كيف؟

وإلا فالكتابة اليوم كل يستطيعها، هذا إذًا هو المحك.

هذا إذًا هو المراد.

وهو كذلك دلالة العقل.

ناهيك أنه ذم أو حمد لك أو عليك.

إذا التدهور، كم تدهور إذا ضاع أمره، وسقط منه شيء إلى شيء آخر.

1. فيقال تدهور : تدهورت صحته.
2. ويقال: تدهور، تدهورت كتابته وضعفت.
3. وتدهور يتدهور : يتردى ويضعف.
4. وأصل هذه المفردة هي (ت د هـ و ر)، وهي صفة أو وصف يطلق على كل من بان منه أو عليه ما يوجب وصفه بها.

هذا هو السؤال: (الهيئات العلمية والمجامع اللغوية).

كثُرتْ في هذا العصر هيئاتٌ، ومراكز، ونوادٍ علمية وثقافية، وهي تترا بين حينٍ وحينٍ، وإذا ما درستُ عمر الجميع لم أجدها إلا خلال مئة عام خلتْ، وأغلبُ الظَّن المستقل منها والرسمي كلها ينشدُ إحياء العلم بدليلِهِ وتعليلِهِ، وإحياء اللغة وسيادتها رويدًا رويدًا، وإحياء حقيقة الأدب الصحيح والثقافة الحقة، ما في ذلك شك عندي.

لقد حضرت اجتماع هيئات علمية ومراكز علمية ومجامع كذلك، ولاسيما القضائية، وكل ما رأيته وشاركت فيه رئيسًا أحيانًا، وعضوًا أحيانًا أخرى، كل ما رأيته وشاركت فيه حتى اليوم حتى هذه الساعة بصفتي العالمية، يُنبئ ولا كلام عن حرصٍ وجد وبذلٍ، وينبئ عن شعورٍ بالمسؤولية، نحو: العلم، واللغة، والنَّحو، والأدب، (دع عنك القضاء).

فهُناك حركةٌ دائبةٌ وبحوثٌ ودراساتٌ وآراءٌ وقراراتٌ، بل ومتابعة وجد جيد، وينتهي الاجتماع، وتصدرُ التوصيات، وتصدرُ القراراتُ والتعليماتُ بشكلٍ مُدوٍ في حينِهِ في وقتِهِ في ظرفِهِ لا نظير له، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾]فاطر:١٤[. لا يمر زمنٌ إلا وتضعف الهمة، ويكون الاتكال كله لا بعضه على السالف وكفى.

وقد يحدثُ استثناء ما فيكون هناك اجتماع مُهم في مجاله علميًّا أو ثقافيًّا أو لغويًّا أو قضائيًّا أو إداريًّا، فتُعادُ الصيّغ نفسها، وتُعادُ القرارات والتعليمات هيَ هيَ، بتغييرٍ طفيفٍ، ثم ينتهي كل شيءٍ، ثم بعدَ مرورِ دهرٍ ما زمن ما يُنسى هذا وذاك.

لقد درستُ هذه الحال، ودرستُ هذا الأمر بحكم تخصصي القضائي الدقيق، وسياسة الإدارة العليا، برابط علم النفس التحليلي، وعلم الحديث النقدي، (الجرح والتعديل).

فوجدتُ أنَّ تكرار ومُعاودة ما يُلقى في الاجتماعات والهيئات العلمية والقضائية واللغوية، إلخ. يكون غالبًا بهمةٍ عاليةٍ وبروحٍ جادةٍ مُركزةٍ دون ريب، لكن عور المسألة، كلها وخللها يكمن في عدم (التجديد الإضافي)، غير المسبوق، هذا ما وجدتُهُ منذ قرابة مئة عام أو تزيد.

كل صورةٍ وكل قرارٍ وكل جزمٍ وكل عملٍ جيدٍ بارزٍ، يبقى حينًا من الدهر، لكنه يتلاشى ينسى مع أنه في حينه يبهر العقل، وتكبر لصاحبه وتُجله، لأن المسألة ليست في علاج خلل ما أو مسألة ما أو قضية ما، بل المسألة في التجديد غير المسبوق مع ضرورة العمل بصمت

دون بهرج إعلامي متكرر. ودون تصريح أو ظهور مُستديم، هذه هي كل الحكاية كلها دون نكير، وهناك مسألةٌ أخرى مثلها (مثل التجديد)، وتكلم: ضبط القضايا، ضبط المسائل، ضبط النتائج، ضبط الحاصل.

تكلم هي هذه: ألَّا يتكرر الخطأ بوجه ما بصورة ما،لأن معنى التكرار بصورة أو بأخُرى خلل ما. لا بد أنه موجود. ففي الزوايا خبايا، لكن التجديد المتزن الواعي السباق طُرا كل حال في مجالها، وكل أمر في مجاله، مع نبذ الذات صدقًا حالاً ومقالاً، هو ما يُسهم بألا يتكرر الخطأ، وثالثة وجدتها خلال ترؤسي لبعض الندوات المسؤولة والمؤتمرات المغلقة، ذات الأهمية البالغة، وتكلم هي عدم متابعة الملاحظات الموجودة، التي يلزم نظرها ومتابعتها كل مدة ومدة، لما قد يتبين لنا من جديد يجب معالجته.

هذه لعلها من أصول لا بد لي من ذكرها، عالجتها مبكرًا منذ كنت (مديرًا للشؤون القضائية) إلى حين كتابة هذا الجزء من (المعجم)، وأنا في الطائرة بعد عملٍ مُلحٍ، استوحيت منه ما صاده الخاطر، وقيده القلم، وضبط الطرسُ على حالٍ، لعلها يتنبه لها كل معنٍ بأمرٍ لا بد له فيه من جدٍ وتأنٍ وتركيزٍ وطول نظر وتجديد نوعي، وهذا بيت القصيد.

وقليل من العلماء والمحققين من يعود أو يرجع إلى معاجم اللغة ليبين أو يشرح، فالمعاجم اللغوية مهمة عن الفكر والرأي والخلاف، وبيان أوجه المسألة أو المسائل العلمية.

متى يستقيم علم اللغة؟

لغة العرب مبنية على أصول وقواعد، أقرّها العقل، وأجازتها الفطرة، وحافظ عليها العلماء خلال القرون.

وإذا كانت موازين اللغة ذات بيان حميد لحقيقة ضبط اللغة، وما تدل عليه من حس ومعنى، فإن ضرورة الفهم وصفاء الذهن وقوة الإدراك لمرامي هذه الموازين، تأتي في المقدمة عند تحرير الكلام لضبطه ضبطًا غير ذي نكير، وحتى أكون واضحًا فإن حروف الجر مثلاً قد تم عدم فهمها بوضعها في غير موضعها، ولما كان كثير من الناس اليوم يريدون فهم المراد المطروح الفهم الصحيح، إلا ما قلّ فهمهم لموازين اللغة، ووضع كل حرف في موضعه، في سياق الكتابة أو البحث أو التحقيق أو الملاحظة، لا سيما الكتابات العجولة ذات المنطلق الإنشائي الجريء، مما يكتب في الإعلام المقروء غالبًا الوقتي منها، ولهذا قل نقد هذه الفئة أو مناقشتها، حتى ليحسب صاحبها أنه ابن بجدتها، وهذا يشكِّل خللاً مريرًا في مسار العلم، ومسار اللغة، ومسار إيصال المراد في آن، فحروف الجر عدها بعضهم بـ(**22** حرفًا. وآخرون بـ: **20** حرفًا، وجزم الجلة من كبار العلماء خلال القرون إلى الرابع الهجري: أن هذه الحروف تختص بالأسماء، والمشهور والمستعمل منها حتى عند عوام المثقفين والكتّاب ما يلي: (إلى، على، في، من، الباء، عن، اللام).

وعند الجدل اللغوي أو النقاش النحوي، الذي قد يحصل على هامش ما علمي أو أدبي أو ثقافي، لا يكاد إلا قلة يذكر شيئًا آخر من حروف الجر، بينما قد تم تدوين الحروف كلها على من ذهب: أنها عشرون حرفًا، ولست أدري وإخالني لا أدري كيف يغيب، وغاب عن الكثيرين حروف أخرى من حروف الجر، اللهم إلا ما ذكرت توًا، ولبعث هذا الأمر المغيب والحروف الغائبة لسبب ما من الأسباب، أبيّن هنا على عجالة من الطرح ما يأتي:

ألف: **1.** الحروف التي تختص بجر الاسم، وتختص كذلك بجر الضمير هي الحروف السبعة الآنفة الذكر.

باء: **2.** الحروف تلك التي قد لا يفطن إليها أنها حروف جر، وهي حروف جر لكنها تكون في الاستثناء، وتلكم هي: عدا.. حاشا.. خلا.

جيم: **3.** حروف غائبة، ويندر ذكرها لإيراد بديل عنها، لا يحل محلها، وذلك لظن بعض الكتّاب والباحثين: أنها ليست من الجر في شيء، فيوردونها على العلات كيفما اتفق، فالمهم لديهم إيصال المعنى، وهذه الحروف كما يلي:

(حتى. رُبَّ. مُذ. الكاف. مُنذ. الواو. التاء).

ولأن هذه الحروف تشترك في معان أخرى غير الجر، فهم يوردونها حتى وإن دلت على جر: (الاسم)، تورد لمعانٍ أخرى، مع أنها يجر بها الاسم، وكم بيّنت أشياء لأناسٍ من هذا القبيل، فكانوا يقولون: (الساعة علمنا)، مع أنهم من الفضلاء علمًا وعقلاً وخلقًا حسنًا، (فسبحان من أحاط بكل شيء علمًا، تبارك وتعالى).

وحروف الجر لا جرم دالة على ضخامة هذه اللغة، ووعورة مسالكها لمن رامها، وهو ذو: عجلة، أو أنه يشكل مع فهمه فهمًا يحتاج معه إلى صدق طلب العلم بفهم ووعي سديدين بضرورة حسن الطلب والأداء، ولست أظن هذا الجزء من كلامي عن حروف الجر بمغنٍ أي شيء في مجلة مرموقة، ما لم تتم قراءته على ثلاث مرات، مع تطبيق لا بد منه من خلال ما تتم كتابته من مقالات، أو بحوث، أو تحقيقات، أو محاضرات).

فالأمة اليوم بحاجة إلى العلم المتكئ على قواعد ضرورية من سداد الفم، وقوة الوعي، وصدق التلقي، وبذل طلب الأخلاق العالية.

وقد كان العلماء منذ أقدم العصور يطلبون قبل العلم وتلقيه، يطلبون الأخلاق وحسن الأدب، وتحرير النية، تحريرها جيدًا من حظ النفس وحب السمعة، وكانوا يهربون لا يلوون على شيء عن الجرأة في النقد والجدل.

الجرأة المتسمة بالثقة المريضة بالنفس، وجلب عبارات السخرية واللمز، وما كان على شاكلته.

ولعلي في هذا المعجم اللغوي والفكري والعلمي أكون قد بذلت جهدًا، أحسبه حسنًا وحسب جهد المقل، لكن تبقى المسؤولية على ذوي القدرات من الشاعرين بالمسؤولية، وأن ترى أني في هذا المعجم جمعت أمورًا شتى، لكنها تصب في حياض اللغة.

(أصل الخطأ عند العلماء في العصر الحديث)

أحسبُ أنني واحد من الذين يتألمون لوضع (علم الحديث) رواية ودراية. كذا الحال بالنسبة لعلم اللغة والنحو وفقه الآثار، فهناك فهم قد جانبه الصواب في حقيقة العلم، حقيقة لا بد من كشف عوارها، فهناك: عالم حديث، ومُحقق، وباحث، وجامع ليس إلا، وهذا الفهم السيئ في هذا الحين، هو الذي جعل محقق الآثار النبوية مُحدثًا.

وليس كذلك، وجعل الباحث فيها مُحدثًا، وكذا الجامع، حتى إذا رأى الناس هؤلاء، قالوا: هؤلاء علماء الحديث، وليس ثمة، فعالم الحديث هو من يحفظ الأسانيد والمتون مع العلل والحالات الأخرى، لكن المحققوالباحث والجامع لا يمكن لواحد منهم مُطلقًا أن يكون: مُحدثًا، وهذا ما كنتُ أُبينه لكافة العلماء هنا وهناك.

وهو ما تجب معرفته، والوقوف عليه قبل أي شيء آخر.

وكنت أستمع إلى محاضرة كتب في العنوان (الشيخ د المحدث.) وقد فرحتُ بهذا، وطربت له، فما هو إلا هنيهة، حتى تبين لي خطأ الفهم، وهو ما جرَّ إلا خطورة وضع: (المحدث) هكذا. وما ذاك إلا أن المحاضر أستاذ في الشريعة، رسالته الدكتوراه عن (الحديث)، وما هو إلا باحث. وبينه وبين علم الحديث رواية. (حفظ الصدر)، والدراية فهم النص، كما بين المشرقين.

هذه مقدمة لا بد منها حيال هذا الجزء من (المعجم)، لأبين هنا الخطأ الحاصل بين النحوي، واللغوي، فبينما يوصف هذا أنه: (نحوي) يوصف ذاك أنه: (لغوي)، بينما هما (كاتبان) فقط.

وسبب هذا العجلة في إعطاء الأوصاف لغير صاحبها، فذلك الذي يمكن أن يُلقي محاضرة مدتها ساعة دون ورقة، ودون تحضير، ولا يكرر ما قال قبل شهر، مع أدب جم، وخلق حسن، وتضلع في أساسيات هذا وذاك، فذلك هو العلم النحوي، أو العلم اللغوي.

أذكر هذا بين يدي ما قرأته عن درس في (النحو) بتجاوز الساعة بسبع وعشرين دقيقة. وحينما سألتُ عن هذا؟ كان الجواب: إنه أستاذ في النحو، أي من (العلماء) في هذا المجال، فأسفت كثيرًا إذ كانت محاضرته عن الحال.

فقد قال ما نصه عنها: الحال هي: اسم منصوب، يوضح معنى صاحبه.

ثم هو يقول: هذا هو الصحيح.

وقال: والحال تكون مشتقة فقط.

ومعنى: هو الصحيح، أي تعريف الحال أنها اسم، أن هناك من قال غير ذلك.

وقوله: مشتقة فقط. يعني الحال، هذا دال عنده حسب اطلاعه، أن ليس ثمة غير هذا.

لقد اتهمت نفسي فيما قرأتُ هذا، وعدت أقرأ مرتين، فإذا بي على فهمي مما قرأت، وحتى يبين الصواب، فإنه لا يمكن بأي صورة أن تكون الحال اسما، بل هي: صفة منصوبة، يتبين منها وصف المذكور قبلها.

مثال هذا، وقس عليه: (قام العالم إجلالاً لشيخه). ومن قال: إن (إجلالاً) اسم، وكون الحال مشتقة فقط، لست أدري كيف أفهم هذا، فالحال تكون على صفتين: مشتقة، كما قال، وتكون أيضًا: (متنقلة)، وليته جعل الباب مفتوحًا لم يقفله، وليس هنا بيان معنى: مشتقة، ومتنقلة، ومن المعلوم من حال الحال بالضرورة، أنها لا تكون إلا (صفة)، هذا ما دونه كبار العلماء، ومثلوا عليه.

صحيح أن الحال قد وقع في تعريفها وتنكيرها خلاف، هل تكون نكرة أو تكون معرفة؟

هذا ما سبرته، لكن ليس ما تقدم، فإنه خطأ كبير من أستاذ كبير.

وحتى الحال في هذا الخلاف، هل هي نكرة أو تكون معرفة؟

فلعل الصواب حسب فهمي: أن الحال لا تكون معرفة. وهذا أمر ندركه بالتذوق والاطلاع المكين.

فإن جاءت معرفة مثلاً. حسب الظاهر، فإنها نكرة حسب المعنى، بدلالة المعنى نفسه على كل مثال يكون.

هذا يجرني إلى القول: أن نفرق بين العلماء الحقيقيين، وبين الكتاب والمحققين والباحثين.

وهو كذلك ما يدعو إلى أن يعقل المرءُ نفسه وقدراته وفهمه، فإن الناس اليوم بحمد الله تعالى مطلعون، ويستطيعون أن يفرقوا، وأن يميزوا، فيعرفون حال من يكون هذا، ومن يكون ذاك.

لكن لعلها مني إشارة إلى ضرورة التقصي والتروي، وفهم الحالات على وضعها الصحيح، لأن من يكتب أو يُحاضر (خلاص) فقد أصبح ما يكتبه أو ما حاضر حوله في صفحات التاريخ، فقد يكون له، وقد يكون عليه.

الحضارة والتجديد العلمي

تتمثَّل اللغة العربية بما تتمثَّل به غيرها من سائر اللغات، وإنما مرد هذا كله إلى إيصال المعنى المراد للمخاطب، لكن هناك البون الشاسع بين لغة ولغة أخرى، ويكون هذا الفرق أول ما يكون في حقيقة استيفاء كافة المعنى بقلة اللفظ، وقلة الألفاظ، وفيما جاء القرآن الكريم شمخت (اللغة العربية) شموخًا سيدًا، وتعالت بواقعية الإضافة، وحقيقة الإضافات.

والعرب ذوو ملكة وسليقة، يعرفون بهما الغث من السمين، الحسن من السيئ، الرديء من الجيد.

كيف وهم مرجع القول وأساسه في اللغة، ودلالتها على المعاني.

لكن حينما تعالت اللغة وسمت اللغة، وظهرت على حال لم تكن عليها من قبل، أوصل هذا العرب إلى حيز ناهض مبين جيد، كان له الأثر البالغ البيّن، في تأثير هذا الدين على حضارة فارس والروم والهند، ومن قبل كان العرب هم من يقلّد هذه الحضارات بحلوها ومرها، بجميلها وقبيحها، بخيرها وشرها، الأمر الذي جعل كثيرًا من العجم يجوسون خلال الديار، ليصلوا إلى العلم وأصله، واللغة وأصلها، والنحو وأصله، والبلاغة وأصلها، بل زاد الأمر إلى أن استفادوا سياسيًّا وإداريًّا وطبيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، استفادوا ونقلوا، فكان تأثير الإرث العلمي الإسلامي ظاهرًا في كثير من علوم الحضارة الفارسية والرومية والهندية وتراثها، وذلك كان إلى حدود القرن السابع.

فهذا البخاري يبوّب في صحيحه (كتاب الطب)، ومثله فعل مسلم في: صحيحه، (كتاب الطب)، وهكذا جاء كثير من القوم من كل فج عميق، ينشدون أصول العلم، وأسس الحضارة، ليأخذوا بها تطبيقًا حرفيًّا؛ لتنهض بعد ذلك الحضارات، أخذًا من علو كعب تأصيل وتقعيد الحياة، تلك التي جاء بها (القرآن)، وجاءت به السنة الصحيحة.

ولقد كان يعجبني كثيرًا كثيرًا محاولة، بل محاولات متنوِّعة، تقوم بين حين وحين، وذلك حول:اللغة، وحول التصنيف، وحول تجديد سياسة الإدارة والاجتماع والاقتصاد، ومحاولة جادة مركَّزة، نحو نهوض العلم، وإيجاد المجتهد الحذق النحرير، كل ذلك يعجبني جدًّا، وتلك علاقة حسنة على محاولة وثانية وثالثة، لبلوغ ما بلغه الترمذي مثلاً، أو الدارقطني، أو ما بلغه أبو يوسف ومحمد الشيباني، أو ما بلغه ابن قتيبة الدينوري، أو ما بلغه سيبويه، أو ابن جني، أو السيرافي، أو ما بلغه ابن عقيل، أو ابن هشام.

لكني أنحو باللائمة كثيرًا على كثرة الندوات واللقاءات وبعض المؤتمرات، وما يكون فيها من تكرار ومعاودة لنفس القول من قبل.

وهذا ليس جيدًا تمامًا، وإن كان ينبي عن خير وحرص وشعور بالمسؤولية، ذلك أن المراد هنا هو: التجديد، وتحريك العقل العلمي الموهوب بدفعه، نحو: سبق جيد، وتأسيس جيد، واجتهاد جيد.

هذا هو المراد بتمام حسن كريم، من كمال التجرد والبذل والعطاء، ومحاولة طرح التكرار، وطرح إنشاء العمل، هكذا دون توصيات حارة مرة كريمة، يكون منها ولا بد شيء قد سبق ما كان من قبل، وهذا ليس بعسير، إذا تم توظيف القدرات على حال سطرها من سطرها من الخالدين عبر القرون، كفعل ابن فرحون والقرافي والآمدي والسرخسي وابن خلدون، وأجمل ذلك -وليتنا نستفيد منه- الذهبي في خالدته: (سير أعلام النبلاء).

التجديد غير الجديد، فتنبه لهذا، وكن منه على بينة:

1. التجديد: هو التحسين.
2. ويقال: جدد: أضاف حسن.
3. ويقال: تجديد: بيان لشيء مضاف.
4. ويقال: جدد: بيّن ووضّح، لكنه زاد عليه.
5. ويقال: جدد: أبدع بشيء لم يسبق إليه.
6. وجدد تجديدًا: سبق غيره بالموهبة.

الـنقـد و الـعقـل الـحر

الفرق بين الناقد والمحقق والدارس. وإضافة إلى ما سبق القول حوله أبين تمامًا إلى: أن المرء حتى يعرف بالعلم النقدي الجاد المركز، ويعرف أنه ناقد من طراز جيد، أن يكون ذا تجربة، وأن يكون ذا تجرد تام من العصبية وآحاد الرأي. والدعوة إلى حظوظ النفس تلك، التي أراها ونراها من خلال التجريح، والذم، والحط من القدر شيئًا فشيئًا، وأحيانًا الدخول في النوايا، ولقد يكون كثير مما يكتب في مجال العلم أو مجال الأدب أو الشأن الاجتماعي، إلخ.

إن هناك من يلصق صفة: ناقد. على هذا وذاك، أو يطلق عليه: صفة كاتب مميز. وهو إنما ينشئ إنشاءً، فيسطر ما يراه بحرارة وعجلة وجرأة بطرح إنشائي، ليس ثمة اختلاف إن ما يكتبه إنما هو من باب الإثارة، ولعل أخطر ما يواجه (سياسية النقد) منذ سبعين عامًا، أو تزيد هو ما يدونه بعض من يميلون للثقافة، أو يحترفون الأدب، أو تحرير المسائل العلمية، لعل أخطر ما يواجه سياسية النقد الصحيح، هو أن الكثير من المتابعين يخلطون بين شيء وشيء، بين نقد وسب، بين نقد وذم، بين نقد وتسفيه، بين نقد وإلزام للطرف الآخر بما يراه من انتقد أو كتب.

لقد حاول ابن قتيبة وابن رشيق والترمذي والآجري وعلي بن المديني ويحيى بن معين والعز بن عبدالسلام وابن نقطة وابن تيمية وابن كثير خاصة في: (التاريخ) و(أجزاء من تفسيره)، حاولوا الجهد كله منذ قرون خلت رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تعالى، أن يبينوا معنى أساسيات النقد ولوازمه وضوابطه، بعيدًا عن كتابات السخرية، أو الأنا، أو الإلزام بما لا يلزم، أو التهكم بما لو قرأ ما كتبه بعد سنين لبصق عليه، وأنه ليته لم يكتبه، وها هم نفر جلة كثيرون، يتم نقدهم، وتسفيه الآراء التي قالوها، ها هم أولاء لم يرددوا، ولم يناقشوا مع معرفة عقلاء الناس: أن هذا النقد وتلك الكتابات إنما هي من باب: (نشر النشار) وتسويد الصحف، وهذا مع استمراره يولد: عمى البال، وعور العقل. وإنشائيات القول، ويحط بالعلم والثقافة والأدب والخطاب الاجتماعي إلى درك، يصبح معه الأمر أنه يكتب كل أحد بما يريد، وقد تعج الكتابة بالقش والغث، فلا يلتفت أحد إلى هذا، وحينما صنف ابن قتيبة سفره: (أدب الكاتب) وابن رجب في: (شرحه للعلل) والرافعي في كتابه: (وحي القلم) ومحمود بن شاكر في: (شرحه لشعر المتبني).

حينما صنعوا هذه الأسفار، وايم الحق لم يقوموا بذلك من فراغ، بل لعل قارئي العزيز يعود، وسوف يفعل بإذن الله تعالى، يعود إلى ما دونه ابن خلدون في: (المقدمة)، المقدمة فقط، سوف يدرك توًّا كم هو بحاجة ماسة إلى فهم ووعي أمور النقد وأصوله وحقائقه في مجالات شتى ذلك، إذا تمت قراءة (المقدمة) بنفس طويل، وعمق، وتجرد تام، وفقه للواقع، بضرورة تقديم العقل على العاطفة، مع شدة تأمل، ومقايسه بعد القراءة، ولست مع تدويني هذا لمن يقرأ هذا الكلام، إلا أناشد بضرورة احترام العقل، فإن الكتابة بعد ظهورها تكون في حكم التاريخ، وقد لا يتبين عورها، إلا بعد دهر ودهر.

وهذا ما دعا الإمام الجليل محمد بن عبدالوهاب إلى كتابة (القواعد الأربع) و(الأصول الثلاثة)، والإمام محمد بن عبدالوهاب حينما تتدبر ما أراد من ذلك كله، يتبين لك هناك أنه أراد: سلامة النية بسلامة المعتقد، وإذا صح هذا، وهو صحيح حمدًا لله تعالى، يكون هناك إذًا معرفة المرء قدر نفسه وعلمه وعقله ومداركه كلها، حينئذ يكون له من نفسه كل الوعظ، فينصف نفسه كما ينصف سواه، ولو كان بينه وبينه أشد جفوة.

هنا كما هناك يستقيم الأمر جزمًا. فيكون التجديد، وظهور الواقعية، ومعرفة هذا من ذاك.

واطراد الأمر في هذا (المعجم): أن الحر صفة لازمة لكمال الإبداع والإضافات، دون ريب، ويراد بالحر هنا:

1. الحر: صفة معنوية، لكنها عقلية.
2. الحر: من تحرر العالم من التقليد.
3. ويقال: من صفا فكره، ولم يتقيد برأي.
4. ويقال كذلك: إن الحر يرتبط بالعقل لا بالقلب.
5. والعقل الحر: مرتبط بالمجتهد المطلق لا المقيد.

ضعف النص في الهيئات والمجالس العلمية

طرح كثير من العلماء، وكثير من الباحثين، وعلماء النقد وتحرير مسائل الردود، آراء وروايات، يزعمون أنها صحيحة، بل يجزمون بذلك كل الجزم، فحينما تقرأ نقدًا أو ردًّا أو معالجة لمسألة علمية أو لغوية أو نحوية، يجلبون من الآثار ما يخالونه صحيحًا دون شك منهم في ذلك، حتى إنني وجدت أساطين من كبار العلماء في العلم واللغة والبلاغة وأساسيات النقد والإجابات يجزمون بالصحة والقوة لما يوردونه من آثار وآراء، وهذا مثاله:

1. قال النبي صلى الله عليه وسلم..
2. جاء في الحديث: كذا. وكذا.
3. قد ورد.
4. قد ثبت.
5. جزم به فلان وفلان.
6. جاء في الصحيح.
7. هذا ما ذكره فلان وفلان.
8. نص عليه (على صحته) فلان وفلان.
9. بل هذا أصح الأقوال.
10. هذا مذهب كافة العلماء.
11. الحديث ضعيف (لكن معناه صحيح).
12. هذا ما رواه ابن قتيبة.

طالع كثيرًا مما تصدره (دور النشر)، وطالع آراء ومقالات وردودًا هنا وهناك، وانظر المداخلات في المجالس العلمية، وكذا الديوانيات والنوادي الأدبية. ولعلك إن تتابع ما يقبع في بعض المجالس الخاصة، فإنك في هذا كله تجد ما ألمحت إليه في الأرقام الآنفة الذكر، وهذا جزمًا يوحي بانعدام هيبة النص، وشبه ضحالة التلقي، وضعف أسس وموازين معرفة ما للنص وما عليه، وكذا النقولات التي ترد في الكتب والفتاوى والردود والنقد.

فلعلي -وهو جهد المقل- أن أُبين بعض -لا كل- ضوابط ما يجب الوقوف عليه من لدن العلماء والباحثين والمفتين والقضاة والكتاب؛ لعل هذا يُسهم في تنشيط الهيئات والمجالس العلمية، وكذا الذين يزاولون الفتيا، أو الكتابات المتتالية: (كتاب المقالات والزوايا) الصحفية، بما يسهم في (حماية النص) وأمانة النقل والاستشهاد ونقل الآراء.

فأول ما أبدأ به أن المعجم اللغوي لمفردات النص النبوي أو ما قاله صحابي أو تابعي كبير إلى القرن الخامس هو:

1. يكون النص سليمًا قوي اللغة.
2. يدل على حكم مُعين.
3. أو دلالة مُعينة أمرًا أو نهيًا.
4. لا يعارض أوله آخره.
5. لا يعارض آخره أوله.
6. لا يدعو إلى بدعة أو ضلالة.
7. لا يعارض نصًّا آخر.
8. أن يُعرف مخرجه ومن رواه.
9. أن يكون سليمًا من الركاكة.
10. ألا يكون النص منسوخًا.
11. أن يعرف من نقله (معناه).
12. ألا يرويه بالمعنى إلا لعالم جيد في اللغة.
13. ألا يفهمه فهمًا مجردًا (هكذا).
14. أن يُحرر النَّص من (الهوى).
15. ألا يستشهد به إلا لعالم بالنحو.
16. ألا ينقل النص إلا من مصدر مشهور، عُرف صاحبه بعلم الآثار (صحيحها وضعيفها).
17. شدة التأني ودقة التحري في النقل.
18. الرجوع إلى كتب الحديث الموثوقة.
19. ترك كتب التاريخ والسير والأخبار ما لم تكن قد تم تخريج (آثارها) من عالم دقيق، عُرف بهذا.
20. جودة القريحة اللغوية، والمسلك النحوي والبلاغي في معرفة (دلالة النص).
21. قصد الحق بدليله.
22. الوقوف على ما عناه (سيبويه - والكسائي) في بحث أصول اللغة، وما أراده ابن هشام وابن عقيل في أصول النحو.

وأنت ترى أن هذا فيه صعوبة بالغة -جدّ بالغة- على كثير من طلاب العلم والباحثين، فكيف بمن يكتب كيفما اتفق من كتاب الزوايا والمقالات.

لا جرم هنا يندرس العلم، وتذهب مع الريح أساسيات اللغة الموجبة لمعرفة معنى الأثر. ومع كثرة الكتب المبينة لضعف الآثار وعدم صحتها، وهي كتب مطبوعة وفي متناول اليد، تجد -ويهالك هذا- ما يورده كثير من العلماء وسواهم من الكتاب والمثقفين من الآثار الضعيفة، وما لا أصل له، فتجد مثلاً:

1. كتاب (الموضوعات) لابن الجوزي.

2. كتاب (الفوائد المجموعة) للشوكاني.
3. كتاب (المنار المنيف) لابن قيم الجوزية.
4. كتاب (كشف الخفا....) للعجلوني.
5. كتاب (الرفع والتكميل) للكنوي.
6. تخريج كتاب (ابن هشام) للسهيلي.
7. نقد كتاب (الأغاني) لوليد الأعظمي.

فهذه كتب مطبوعة، تُباع، وتجدها عبر الإنترنت، حتى تجدها دون الرجوع إليه؛ لأن أخذ العلم عن طريق الإنترنت، وأخذ الآراء والفتاوى ضرر، هذا واضح جدًّا، وليس الخبر كالعيان.

وكنت قد نويت من قبل أن أستشهد بكثير من الوارد في المقالات والبحوث، لكن أدع هذا لحينه، أو لعلي أن أبين هذا في المعجم (جـ9م5).

مكانة (ابن) في الإعراب

ابن - نسبة الموصوف فيها متقدم على لاحقها، ولا تستقم الأعلام الثنائية إلا بها قولاً واحدًا، لا يخالف في هذا عالم عاقل أو أديب وناقد ماهر، إلا ما يكون من الأسماء المركبة، فهذه لا يدخل فيها: (ابن)، إذ لا محل لها هنا، وقد وجدت أهل مالي وموريتانيا يركبون الأسماء (بضم الياء)، يركبونها بعضها على بعض، ويجعلون -ولا سيما أهل موريتانيا، ومن جاور بلادهم- بدل (ابن) يجعلون: (ولد)، وهذا أحيانًا يكون نسبة إلى الأب، مثل: أحمد محمد ولد ماهر. و مصطفى علي ولد الطايع.

لكن هذا خلاف الأصل السماعي، مما ورد عن العرب. وإذا أرادوا النسبة إلى القبيلة أو العائلة، فهم يقولون: محمد ولد سليمان ولد العائذ. وأصل (ولد) إنما ذلك بكسر الواو، وتسكين اللام.

ونعود إلى (ابن) فقد أجمع العلماء دون مخالف على أن من قرأ هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾]الصف:٦[،فحذف: (ابن) بطلت صلاته ما لم يكن ساهيًا، وهذا بعيد جدًّا، فابن أصلية، فما يكون بين علمين مثل منصور بن سالم. لأن منصور موصوف أنه ابن لسالم، وهذه حال مدركة من واقع الشرع، وواقع حال اللغة دون نكير، وليس بمعتبر حذف (ابن) اليوم من كثير من الأسماء بين علمين، لأن هذا تقليد للغير، فإن عامة أهل (الغرب) لا يذكرون ذلك، وإلا ففي الصحف والزبور والتوراة والإنجيل قبل التحريف والبغي ذكرت (ابن)، ورأيت بعض يهود يتمسكون بها، وإن لم يكونوا يهودًا أصلاً، إنما هم من المرتزقة.

وحق: (ابن) في الإعراب أنها تكون بحسب ما قبلها، فيقال: رأيت محمد بن علي فيكون محلها النصب.

وتقول: مررت بمحمدٍ بن علي، فيكون محلها الجر، إلا ما يكون خاضعًا لأن أو كان، فبحسب الموقع، فيقال مثلاً: إن خالدًا بن ناصر. فتُرفع ابن على أنها خبر: لإنَّ.

وفي حال النصب هكذا، حسب هذا المثال: كان معاويةُ بنَ حيدة.

فتنصب: ابن لأنه خبر لكان، وابن هذه يجب حذف همزتها (إ) إذا وقعت بين: علمين، وتثبت في حالات منها: إذا جاءت في أول السطر، مثل: (جاء القوم الصالحون لأداء الحج إلا

محمد بن يعقوب). فهنا يجب ذكر الهمزة، وتذكر كذلك إذا حذف العلم الأول قبلها مثل: مررت بابن منصور.

وكذلك إذا سبقت بمحذوف بعدها كنية مثل: رأيت ابن أبي فالح.

ثم إن الذوق الحر السليم يمقت حذفها بين العلمين مقتًا شديدًا، فلا تدري من الأب من الابن، مثل:

(ذهب متعب زيد علي فهد).

وردد هذا الاسم جيدًا بذوق حر سليم صافٍ، تجده لا شيء، لكن اقرأ هنا حين نحيله إلى اللغة بميزانها الصحيح: (ذهب متعب بن زيد بن علي بن فهد). جمال في جمال، وتناسق طردي يُحييه الذوق، ويفرح به القلب، ويطرب له العقل.

ولك أن تقرأ اليوم كثيرًا من المؤلفات، ولك أن تقرأ كثيرًا من الدعاية والإعلان، فسوف تجد كثيرًا منها حذف (ابن)، إما للجهل، أو سوء الفهم، أو التقليد، أو أنه لا يرى ذلك، بينما لو أدرك هؤلاء الخطورة من حذف (ابن) لأعادوا النظر سراعًا، كأنهم إلى العلم والخيرات يُوفضون.

فتدبر حال القوم في هذا الحين، فكثير منهم جهل دلالة اللفظ على المعنى، إذ ركب الاسم تركيبًا، ونسي أباه وجده وجده أبيه وقبيلته؛ أليس موجبًا للعودة إلى العلم باللغة الصحيحة، ولزوم جادة الصواب.

لماذا تكتب هذه المقالة؟ لماذا؟

أقبل: على أفعل هكذا، هو ميزانها الصرفي من غير نكير.

يقال: أقبل الرجل إذا جاء.

وأقبلت المرأة إذا جاءت.

يعني: أقبل، وأقبلت رأي العين.

وأقبل جاء من بعيد، أو جاء من قريب، سيان، لأن الوصف للإقبال يشمل هذا وذاك. ويدخل هذا (اللفظ المعنى)، فيقال: أقبل برأيه، وأقبل باجتهاده، بمعنى بذل، وأبدى الرأي، وأفصح عن اجتهاده.

ويعتري هذا اللفظ (أقبل) ما يعتريه من لوازم التصرف.

فيقال: أقبل بكسر الباء على سبيل السؤال.

ويقال: أقبل بضم اللام على سبيل فعل المضارع.

ويقال: اقبل بكسر الألف على سبيل فعل الأمر.

وقد جاء في الذكر الحكيم، والسنة الصحيحة، وشعر العرب، ما يدل على هذا كله.

والإقبال من هذا ضد: الإدبار.

وهذا له معناه وحسه بدلالة ما يلازمه من القرائن، وهذا يدرك كذلك بالتذوق.

وبمناسبة هذا يضطرني القول هنا، كما اضطرني من قبل أن أبين حقيقة لا بد منها حيال ما يتم اليوم تناوله، من مقالات وزوايا، تكتب في أمور تقع على شكل وشكل بين كاتب وكاتب، وأعجب كما يعجب غيري، أعجب كثيرًا أن الذين يكتبون في نقد، أو نقاش، أو ملاحظة على رأي، أو وجهة نظر، أو فهم خاص، يميلون كل الميل إلى أساليب يكررونها، وهي لازمة عجيبة حتى اللحظة، لا أدري سببها من ذلك مثلاً:

1. الطرح الإنشائي العجول.
2. الإلزام بالرأي[51].
3. بعض ألفاظ التهكم.
4. بعض السخرية المبطنة.
5. تضمين مثل هذه العبارات:
6. هذا المريض الجاهل.

7. دع.. أو دعوا هذا العلم لأهله.
8. هذا المتطفل المسكين.
9. هذا تحجر في الرأي المتشدد.
10. فضمنا عند العالم كله.

حاول جادًا. مركزًا. متجردًا التجرد كله: أن تقرأ مثل هذه المقالات التي أصحابها لا أشك أنهم: ذوو نية جيدة، وتوجه جيد، وذوو حرص على الخير، حاول القراءة لواحد منهم مرتين، بل ثلاث مرات على موضوعات مختلفة، فسوف تجد ما ذكرت آنفًا[52]..

ولهذا لا تجد من يناقش هذا النوع أو يرد عليه.
ولماذا يفعل والطرح إنشائي وعجول.
وفيه: جزم وسخرية وإلزام بما يراه.

إن سبيل الكتابة العاقلة، والكتابة الفاضلة، والكتابة الصالحة المّصلحة، إنما بالتعقل جدًّا، والرزانة وحسن الخلق وسلوك سبيل جمال الطرح الخالد الكريم.

وإنما مثل هذا يحتاج إلى مثل:

1. مقدمة لطيفة هادئة.
2. عرض الرأي الآخر بتمام خلق حسن.
3. إظهار الفهم الخاص لذلك الرأي.
4. بيان الرأي الذي يراه الكاتب بهدوء تام.
5. ترك الانتصار الفج العجول.
6. الابتعاد عن السخرية جدًّا، (لأنها قد تكون إسقاطات نفسية لا يعيها الكاتب نفسه، وهو يذم نفسه)[53].
7. محاولة فهم الرأي الآخر بتمام سعة نظر جيد، وتمكن اطلاع واسع.
8. ترك (الحلال والحرام) لأهله من العلماء المعروفين بالتحقيق والرواية والدراية.
9. عرض الرأي أو الكلام المكتوب جيدًا دون بتر أو انتقاء، ثم مناقشته شيئًا فشيئًا، بروية وعمق وبعد نظر، ثم إبداء المخالفة دون سخط أو سخرية أو لمز أو غمز أو تعلم فج[54].
10. حفظ الآثار والقواعد جيدًا، وهل هي: صحيحة أو ضعيفة؟ وذكر المصدر كذلك.
11. ترك الحكم على الرأي أو الشخص، إنما النقد أو الملاحظة تحوم حول ما تم طرحه، ليس إلا.
12. ضبط الكلام جيدًا وقراءته إلى عشر مرات قبل نشره.
13. ترك الاستعداء، لأن هذا ضار، وفيه مهلكة.
14. جَنَحَ من كان قبلنا من كبار العلماء، ومن الذين امتهنوا صناعة الأدب والتاريخ، وكذا السياسة والاقتصاد، جنحوا إلى طرح مميز جد، مميز حيال الاختلاف، بل كذلك

الاعتراض على الأسلوب المستوفي الناهض بمقاييس رجاحة العقل وسؤدد الخلق، دون توجه شائن صوب الذات، أو صوب لي الكلام، أو لي الاتجاه أو لي النية، وإلزامها بما لا يلزم.

فهذا الإمام البخاري، والإمام الذهلي اختلفا.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل، والإمام علي بن المديني اختلفا.

وهذا الإمام مالك، والإمام ابن إسحاق اختلفا.

وهذا الإمام الذهبي، والإمام ابن قيم الجوزية اختلفا.

وهذا الإمام الكسائي، والإمام سيبويه اختلفا.

وهذا الإمام ابن هشام، والإمام ابن عقيل اختلفا.

وهذا الإمام ابن حجر، والإمام العيني اختلفا، ثم ماذا؟

اختلف كثير من العلماء، وهو مدون في الأسفار، لكنه كان اختلافًا نتج عنه التجديد عبر تطاول العهود، حتى في السياسة بين أحمد وابن المديني زمن المأمون، جرى ما جرى، لكنه كان اختلافًا خالدًا يُنبئ أول ما يُنبئ إليه الطلب الحق، والمراد الصواب على كل حال.

بل اقرأ بتروٍ وتأنٍ بعد قراءة هذا الجزء من (المعجم) مقدمة: (سورة هود).

تجد هناك كيف كان العقل والحجة والبرهان؟

وكيف تم معالجة الخفايا ممن لا يعلم الخفايا إلا هو؟

ولعلك حين تعود إلى الجزء **5** و**6** وج**7** من: (تاريخ ابن كثير)، (البداية والنهاية). **(5/9-213)، (6/19-300)، (7/5-181).**

لعلك حين تعود إلى هناك خاصة السنة التاسعة، (عام الوفود) ستجد الجدل، والاختلاف، والمعارضة، بين دليل ودليل، وقاعدة نصية وأخرى مثلها، فإنك هناك سوف ترى كيف تم تولد نضوج العقل؟

وكيف تم فقه الواقع؟

خاصة مع: (وفد نجران)، ووفد (عبد قيس)، و(ملوك اليمن)، و(البحرين)، هناك. هناك. فقد ولا جرم يمكننا معالجة وضع الكتابة الإنشائية العجولة إلى الرصانة وقوة العقل الناشد الصواب به أو عليه.

زمن يسير. ميسر جدًّا تقضيه (قارئي العزيز) مع هذه الأجزاء الثلاثة من: (البداية والنهاية)، تعطيك عكس بعض ما هو حاصل في هذا الحين.

بل لو نظرت (أدب الكاتب) (للإمام ابن قتيبة)، أو (منهاج السنة) للإمام ابن تيمية، أو (الرد على المنطقيين) له، أو نظرت: (التعليل) للإمام ابن قيم الجوزية لوجدت المتمكن الأمكن من النضوح والتروي والتجرد وقوة العبارة، ونشدان الحق، والنحو صوبه كائنًا ما كان الحال.

ألسنا نحتاج بعد إلى مثل هذا؟

ألسنا نحب الذكر الحميد؟
ألسنا نحجب أنفسنا عن (كل شيء يروينا)؟
ألسنا أحق بحمد المقالة على كل لسان؟

عاود القراءة مرارًا لهذا الجزء، فعلك يحصل لك في الثالثة ما لم يكن في الأولى.

مجامع التدوين

في المعاجم اللغوية تلك التي ضربت تترا في سبل (الأمصار) خلال القرون، يستفيد منها العلماء والباحثون والمحققون، ويطالعها أولئك المهتمون على معاني الألفاظ، لإدراك حقائق المعاني لفهم نسق المعنى بتمام مراده، كما هو مرصوف.

في تلك المعاجم اللغوية تدرك التخصص الجيد البارع في تفسير معاني المفردات، مع ما يتسم به العلماء المؤلفون لها من باع كبير في الشريعة والأدب: (شعرًا، ونثرًا، ونقولات جيدة، من فتاوى وآراء جياد.

وإنك. وايم الحق. لتستغرق مفكرًا ومتفكرًا بهذا التخصص الجليل عند القوم، وسعة مدارك عقولهم، نحو: العلم بالآثار والمواقع، فعندما عقد البخاري (معاجمه الثلاثة) أو: (تواريخه الثلاثة) في (الرجال) وبعض الآثار، وفيما صنف ابن منظور (اللسان) والجوهري (الصحاح) والذهبي (الكاشف) وابن الملقن شرح الصحيح، ونقل عنه ابن حجر ما نقله في معجمه: (الفتح)، وكذا ما جاء في (معجم البلدان) و(الطبقات الكبرى) و (معجم ما استعجم)، وما جاء في: معاجم التراجم من خلال تراجم علماء: النحو، واللغة، والحديث، والفقه. إلخ.

عندما فعل كبار العلماء هذا إنما انطلقوا من (موهبة التخصص)، ذلك التخصص الذي عرفوا به على مدار العهود، وهذا لم يجعلهم مقصرين في علوم شتى، لكن قد عرفوا بما عرفوا به من تلك (الموهبة) الضاربة في أطناب الجد وتمام المعرفة.

ولما كان يحزنني ويحزن غيري من الذين اطلعوا على: حقائق الموهبة، وضرورة الاتجاه نحو: التخصص والالتزام به لبذل المزيد صوب التجديد في باب ما أو مسألة ما، لما كان هذا يقلقني؛ لأن الكتابة المتنوعة شتات للوقت، وضرب في صحراء، قد تكون سبلاً، لا رعي فيها، ولا ماء، ولا أنيس، لما كان الأمر كذلك كان هذا سببًا قويًا جزمًا في كثرة ما يلي:

أ. كثرة الاختلافات بين الكتاب.

ب. العجلة في الرد مما يولد سوء الفهم.

ج. كثرة ما أراه من الانتصار للنفس.

د. عدم استيفاء الموضوع حقه.

هـ. كثرة تكرار الكتابة في موضوع واحد مع اختلاف الطرح.

و. التهم التي تحصل بين كاتب وكاتب.

ز. الميل للتهكم على أنها (كتابة ساخرة)، هذا ما تولده الكتابة المتنوعة فتجد: الكاتب أو المثقف أو الأديب لا يتردد في الكتابة عن:

1. النقد العلمي أو الاجتماعي.
2. النقد الشرعي.
3. النقد الأدبي.
4. النقد الدعوي.
5. المداخلات والتحليل السياسي.

وهذا ما جعل كثيرًا من (وسائل الإعلام) تستضيف وتستكتب كل أحد عن بعض الأشياء أو كل الأشياء.

من هذا، يضيع التجديد وتتضاءل الموهبة، ثم لم تلبث أن تغيب إن لم تهرب، وبوسع عالم جاد دقيق ومثقف مثله، أو كاتب تام التجرد، أو أديب شديد التوقي عن العجلة، وسوء الفهم، بوسع كل واحد من هؤلاء أن يقرأ فقط ثلاثة كتب: لابن قتيبة، أو لابن حجر، أو لمصطفى بن صادق الرافعي من المتأخرين، ثم يقرأ ثلاث نسخ مما كتبه بعض المعاصرين، ثم هو فيصل بنفسه، ليحكم بالحق وبه يعدل، ألا نجد فارقًا بينًا في الشارد والوارد؟

أليس هذا من دلائل الخلط وتلهف الكتابة؟

ثم إذا أنت. ها هنا. تنحو باللائمة على فقدان: التميز، والإضافة، ونبش عمق العلم، الذي فقد الآن. وإنما اليوم: تكرار، واستطراد، وإنشاء، ونقولات: أليس هذا هو الحاصل؟

أليس الحال شاهدة؟

من هذا الباب، وما أحرص عليه، نحو: تعقيد وتأصيل الطرح الجاد المركز الحري بدوامه.

فإنني أهيب بمعالي الشيخ عبدالله المنيع، وله كتابات جادة في مجال الاقتصاد المعاصر: أن يبحث عبر سلسلة متكاملة أسس أنواع المعاملات الاقتصادية وأدلتها وتعليلها، وأن يحاول الجهد كله بحث السياسة المصرفية بواسع من القول المطرد الطويل، وأن يغلب جانب الحيطة والحذر في هذا، لا سيما ومعالي الشيخ الأخ (المنيع) له سعة بال جيدة في هذا، ولا إخاله إلا من الفاعلين ذلك، حتى يكون ما يكتبه يعاد إليه في جانب سياسة المال بخاصة.

وكذا هي دعوة لمعالي الأخ عبدالله التركي، وهو رجل له حضوره، وتأسيساته في زيارة بلدان إسلامية شتى، ولقاءات كثيرة مع رؤساء وعلماء وباحثين، لا سيما ورسالة الدكتوراه عن: اختلاف مناهج العلماء.

وهذا يعطيه دون ريب سبق جودة فاعلية التخصص الدقيق في بحث أصول الطرح وقواعده ومتانته، ومعالجة حقيقة الترجمة، وتأصيل نظر البحث العلمي الهادي المتين.

ولو أنه يبدأ بكتابة تجاربه من خلال إدارة الجامعة والرابطة ببحوث متناهية الفصول، عبر سلسلة علمية مركزة شاملة، فغالب ظني أن هذا يعطي صورة عالية القيمة في سبيل تخصص متين، يفيد الآخرين الذين ما برحوا يرون أن هذا يحسن أن يكون، لا سيما والحال داعية إلى مثله، على غرار من ألف من العلماء الذين أفادوا العالمين: (والمنيع.. والتركي)، لهما حضور وقراءة، ناهيك أنهما يحرصان على الخير، ولا أزكيهما على الله تعالى، لكن ربي نعم المولى وهو المعين.

والذين سوف يطالعون ما سوف يكتبه (هذان الخبيران) عما أشرت إليه سوف يدركون معنى المراد من الجهود العالية الدقيقة في سبيل هو من أهم سبل البحث في هذا الحين.

وإنها لدعوة كذلك لكافة ذوي التخصص الدقيق في مجاله، لعل العجلة تعود صعدًا، فنقرأ عودة التاريخ بعيدًا عن شتات الكتابات من: هنا وهناك.

حقيقة العقل

تكلم الناس منذ القدم عن العقل، وماهيته، وعن آثاره، وموضعه من بدن الإنسان. تكلموا، وأطنبوا، وكرر كثير منهم ما دونه غيرهم، ما بين: طرح وطرح، وجانب وجانب، ودليل وتعليل.

ولكن حينما نذهب مذهب الترصن بعيدًا عن الإنشاء والنقل والتقليد، نجد أن العقل تكون مادته: ع. ق. ل. عقل، فإذا أردنا التعريف قلنا: العقل.

من هذا فتحرير هذا يكون من تأصيله، من حيث اللغة، والمعنى اللغوي لهذا الأمر.

تكلم عن العقل أناس وأناس، ولا يعرف هذا إلا بمبدأ الإتيان على المراد منه، ذلك أن معاجم مفردات الألفاظ لا يذهب عنها إلا ليسار إليها، لأن اللغة مدخل كريم، وكريم من حيث الحس والمعنى.

وعلى هذا ترك المناطقة، وجل أهل الكلام المذهب اللغوي، وتعريف اللغة، الذي هو أصل لمدخل فهم دلالات الألفاظ، فكان هذا أن كانت معاجم موازين اللغة في جانب لا يؤبه به قيد أنملة، فذهب هذا النوع من الناس في المراد بالعقل إلى تفسير وتفسير ليس بذاك.

من أجل ذلك يكون لا بد لي في هذا المعجم: أن أبين المراد منه في كل مما ورد، ومما أبذل فيه رأيًا ولا آلو، وعلى هذا السبيل يكون الأمر هكذا:

العقل: الربط.
العقل: القيد.
العقل: الضبط.
العقل: الشد.
العقل: الوثاق.

العقل يؤخذ من عقل الدابة، وغالب هذا إنما يكون في عقل الإبل، وورد في الصحيح اعقلها وتوكل[55] أي قيد ناقتك بعقالها، وتوكل على الله تعالى بحفظها ذلك: أن العقال سبب مادي قد يزول بسبب مادي آخر مثله أو أقوى منه، والله جلت قدرته يحفظها بلطف قد لا يعقله المرء، وقل إذا كان (ضعيف اليقين) يعلل من هنا وهناك، فيقع بمنطق يخوض فيه ويحوص، ومن هنا وقع كثير من الذين قدموا العقل على النص في: آراء، ونظريات، واجتهادات، كانت عليهم حسرة بعد حين، ذلك أن الفطرة الصواب تأبى إلا ما يقبله العقل

السليم الخالي من شوائب العاطفة والهوى، أخلص إلى القول أن العقل قد فسره كثير من الخلق بما ظهر لهم من آثاره، فزعم الكثير أن هذا هو: العقل.

فمنهم قال: العقل الدهاء.
ومنهم من قال: العقل قوة الرأي.
ومنهم من قال: العقل حسن التصرف.
ومنهم من قال: الهدوء وسعة البال.
ومنهم من قال: دوام المكوث في العمل.
ومنهم من قال: إن العقل الاستعداد للفرصة.
ومنهم من قال: هو السيطرة بفرض الرأي.
ومنهم من عمم، فقال: العقل: النجاح.
ومنهم من قال: قوة التأثير على الآخر.
ومنهم من قال: إنما هو تدبر العواقب.

وحين أعود إلى (المعجم) فإنه من دلالته اللغوية (بعقل الدابة) بعقال رجلها أو عقل رجليها معًا، يتبين أن المراد اللغوي إنما هو عقل المرء نفسه من: الزلل، وهذا دال على أن العقل أمر معنوي غير حسي.

ودلالة اللغة توحي بربط الإنسان نفسه عن الخطأ بوعي جيد، ورأي صالح، وحسن تدبر، ووضوح الرؤية المراد الوصول إليها، وبنظر وتدبر ما سلف، يتضح جزمًا أن كل ما مضى بيانه إنما هو آثار للعقل، ولكنها ليست العقل، ولهذا قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : العقل غريزة، وعليه فالعقل هبة من الله تعالى.

فالدهاء وحسن التصرف واللباقة وقوة الحجة والاستعداد للفرصة، إنما هي أثر ليس إلا هذا.

فالمعتزلة زمن المأمون عفا الله تعالى عنه استخدموا العقل بصفة من صفاته، ألا وهي: المصلحة والتزلف، لأنهم علموا أنهم لو جادلوا بالنص وضوابطه وأسسه وحالاته، لخسروا كثيرًا مما يسعون إليه من الزلفى، ولأن حال المأمون كانت مواتية لهذا، لأنه كان يريد دوام الحالة، التي كان عليها فقربهم، وقد كان يعلم أنهم في زلل، فتلاقحت العقول بآثارها، ولم يظهر هناك عقل رشيد، وهذا ما قام به المعز لدين الله الفاطمي، والجهم بن صفوان الترمذي، والجعد بن درهم، ولهذا فالعقل في أصله أنه: هبة وسجية وخلقة، لكنه في آثاره ينقسم إلى نوعين:

1. عقل فطن متدبر واع كريم.
2. عقل جيد ممارس، لكنه مصلحي.

وأنواع أخرى تكون بين هذا وذاك.

حقيقة العقل

مادته اللغوية هي: ع-ق-ل، وهذا فيما علمتُ ما دونه أصحابالمعاجم اللغوية، كلٌّ حسبَ طريقته تلك، التي سار عليها حسب شرطه في معجمه، ولهذا تميزت المعاجم بعضها عن بعض.

وإذا كان كذلك فإن العقل تدخله لام التعريف عند الحديث عنه، لتناول أمره في حقه كله، أو في جزءٍ منه يحتاج المتحدث إليه فيما يكتبه عنه.

وكنت أرمي هنا كما كنت أرمي هناك: أن أبين حقيقته.لا آثاره في حياة الإنسان.

وعلى هذا المقتضى فإن العقل جوهرة موهوبة تقتضي. جزمًا. للدلالة عليها.

1. هدوء الطبع.
2. شفافية النفس.
3. علو الأخلاق.
4. العدل الملموس حقًّا.
5. تمام نضوج الفكرة وبراعتها.
6. الحياة على السجية دون تكلف.
7. الإنزواء وقوة التأمل.
8. ثقل الرأي الجديد.
9. استقلالية المنهج الحر.
10. التضايق من حب الظهور.
11. شعور بالأمن والراحة لمن يخالطه.
12. الاعتبار بحال من سبق (رجاءً.. وخوفًا).
13. غموض في شخصيته لمن يخالطه جيدًا لكن على حال متقطعة.
14. محاولة عدم ذكره.

وهذه غير التي ذكرتها من قبل، فهذه صفاتُ العقل، أما تلك التي مضت في (جزء1)، فهي: آثار العقل، وهذا أمره بين.

والعقل وجدته من خلال طول التأمل، وسبر غور سطور التراجم، وجدت ذلك في:

1. عبدالرحمن الناصر: حكم (50) عامًا، وبايعه وهو في سن (23) أعمامه وأعمام أبيه، وكان من سؤدده وعقله أن قرب المناوئين له أشد ما يكون، وترجمته مُسطرة.
2. يحيى بن سعيد القطان رجل أسمر اللون، نحيف القامة، في عينيه حول ضعيف، شديد المشية، قوي التأمل وسعة البال، تشعر وأنت تجالسه وتحادثه، أو وأنت تختلف

معه، تشعر بجواره بالأمن والراحة، والميل إليه مع قوة في شخصيته ظاهرة، وقف في طريقه حسد حتى من بعض أقربائه الأكبر سنًّا بدهاء ومكر، فتجاوز كل هذا. ومن عجائب بروز العقل لديه: أن كل أصحاب الصحاح رووا عنه تترا، فالبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبوداود وابن ماجة كلهم (قارئي العزيز) رووا عنه: قالوا عنه: (شيخ الجماعة). وقالوا عنه: (العاقل) و(المكيث) و:(الصابر)، لأنه صبر على الحسد والتهم.وقراءة سيره هذا الإمام بترو وسكينة وقوة تحرٍ، فإن أول ما يبرز إليك العقل من صفاته ليس ثمة.

3. ابن مالك: واسمه: محمد جمال الدين بن عبدالله بن مالك، له تصانيف جيدة، عالية القيمة والقدر، من تصانيفه: الخلاصة، وهي نفسها (الألفية) المعروفة.
ذ على كبار العلماء، وتتلمذ على يديه كثيرون.

كان طويل الصمت. والسمت. والجد. والأنفة. وقوة الملاحظة. وشدة الفهم لما يقرأ، وكان يُصدر عن رأي سديد، ومن الصعب جدًّا على عاقل مكيث، جدَّ مكيث أن يرمزه بتدليس، أو ما سوى ذلك، وترجمته مبثوثة يهالك منها، ويهالك فيها بروز العقل السيد، ذلك إذا تحليت بخلق وسعة فهم، وبعد غور فطين، ولا جرم، فتدبر سيرة هؤلاء الثلاثة، يهبك بإذن الله تعالى فهمًا جيدًا، ووعيًا حقًّا، لتفرق بين: آثار العقل وصفاته عند من تظن أنه عاقل، وقد يكون ليس إلا ذكيًّا، يعرف كيف يتكسب، ومن ثم كيف يكون عالمًا، وهذا ما أوقع الحارث الأغور. وإبراهيم ابن هدبة، وواصل بن عطاء في حيز ضيق خلال القرون.

(وسوف بإذن الله تعالى أفرد كتابًا مستقلًّا، لا علاقة له بهذا المعجم عن ابن مالك خاصة، وذلك لبيان حالته وصفاته وآثاره وألفيته). لكن بطريقة لعلها لم تكن معهودة من قبل، وذلك لإخضاعها للتحليل النفسي الفيسولوجي بنوعية جديدة، عن طريق دراسة أعماله وشخصيته وحقيقة ضابط العقل لديه.

وقد أكتب بعض ما يعن لي من خواطر وأحاسيس، ولما كنت أخشى فواتها كنتُ أقوم بتدوينها، فهذه بعض ما كنت أكتبه:

أ. العاقل لا يعادي، ولا يماري.
ب. العقل كله التأني، ومراجعة الزلل.
ج. لا تنشأ العداوة من عاقل.
د. العلم وراءه العقل وأمامه.
هـ. تبادل المصالح النفعية لذات الشهرة، يمقتها العقل.
و. ليس بذي عقل من سفه بنقده ولمزه وغمزه.
ز. ساد عالم تحرر من رباط الدعوة إلى الذات.
ح. العقل الحق يدور بين: الرجاء والخوف.
ط. من التمس العذر لمن زل عقله.
ي. العاقل من لم يستغل غيره لضرب غيره.
ك. العاقل من اعتبر وتدبر، وكف أذاه وتجريحه.

ل. السؤدد يصاحبه العقل دائمًا إلا في حالات:
الجور الخفي.
البغي المبطن.
نشدان المصلحة لذاتها.
إهمال الضعيف، ومن لا يحسن التعبير.
الوشاية الذكية من قريب أو صاحب.
ترك طلب من رجاك.
ترك طلب من اشتكى إليك.
ترك الحق لضعف صاحبه.
ترك العدل للخلود.

المصدر والمجالس العلمية واللغوية إلى أين؟

المصْدر: يقع الخلط فيه جملة حتى من كبار النقدة وكتاب اللغة لا العلماء، فهناك من العلماء والمحققين والمحاورين وجلة من الباحثين، من يخلط ما بين المصدر والمفعول المطلق، والتمييز، والحال، حتى لعله يعقب على حماد بن سلمة وسيبويه والكسائي وابن جني والمبرد، بل لعله يزعم التجديد مع حدة اللفظ وسرد الأقوال وأسماء الأسفار دون تعقيد وتحرير، معتبر عالي الخلق حسن الطرح متوازن جلب الأدلة بسعة بال ونظر مكين، متمكن من (موهبة ناهضة بارة واسعة)، وحتى يتسم ذلك بفتح باب جيد لذوي الاعتبار من الدارسين، والمجالس اللغوية والعلمية، أشير إلى ما يلي:

المصدر هو: اسم جامد دل بنفسه على عمل ما، لكنه مجرد من الزمان، فإذا حده زمانٌ ما، فيخرج بهذا من كونه مصدرًا، وهو بهذا يجعله مشكلاً لحصول التداخل بين المصدر وغيره.

وقد يختلط المصدر نفسه باسمه، وهذه (بلية كبيرة) إذا لم يتنبه لها القوم في هذا الحين، ولكي يتم فك مثل هذا هنا، فإن الأمثلة ولا جرم فيها بيانٌ شاق، فالمصدر كقولك مثلاً: (اقرأني قراءة) (أدبني أدبًا).

فقراءة، وأدبًا كلاهما، وهذا ظاهر (مصدر للفعل)، لأنه أخذ منه حقيقة ولفظًا.

وتعريف المصدر يعطي العالم واللغوي والباحث السبيل القويم ينطلقوا منه انطلاقًا واعيًا، فيحصل بهذا تحديده، وعدم الخلط بينه وبين سواه.

وهو والمفعول المطلق قد يتشابهان كثيرًا، لكن مع طول التدبر ينزاح هذا، لاسيما مع (فقه اللغة)، وسعة صدر العالم والباحث.

لكن هناك حالة غامضة، كم حذرت فيها كثيرًا من العلماء، والقضاة، واللغويين، في أثناء البحث والتقارير وكتابة الصكوك والبيانات، وبحوث اللغة ومقالاتها.

وتلكم هي: حالة المصدر المقدر، وهذه الحالة غامضة، فلعل هناك من يمر عليها في حالات المصدر، فيقع في إشكالات كبيرة، يكون بسببها قد وقع في الجهالة وعدم وضوح المعنى المراد، وسوف أبين بعض ذلك من باب الإشارة ليسار عليها:

أولاً : إن المصدر المقدر يُراد به المأخوذ من فعله، لا من وصفه.

ثانيًا:

إن المصدر لا يُقدر (بضم الياء) إلا في مواطن دون غيرها ذلك حتى لا يُعمم.

بعد هذين الأمرين أُوضح أن المصدر يعمل عمل الفعل المأخوذ منه فيما يلي:

الأول :

أن يتجرد المصدر عن الإضافة فما لم يتجرد عنها، فهذا يسبب الخلط، وذلك نحو: (إكمالٌ في قراءة موهبة)، فموهبة مفعولة به لكن للمصدر (إكمال)، وقس على هذا.

الثاني:

أن يكون المصدر قد أضيف إلى فاعله. ولابد. وذلك مثل (سُررت من قراءة محمد الطب)، (سلمتُ من كتاب مهمل اللغة).

ويلاحظ في هذا المثال أن المصدر قد أضيف إلى فاعله بعده، فـ(قراءة) مصدر مضاف، ومُحمد، هنا مضاف إليه، وهو فاعله فتم بهذا الجر لكن بالإضافة، وهذه النقطة بالذات هي ما أعوز الباحثين الوقوف عليه جزمًا.

الثالث:

أن يكون المصدر متصلاً (بالألف واللام).

نحو: (باسط الشكاية أوراقه).

فالشكاية مصدر تم إلحاق الألف واللام به، والشكاية أصلُها مصدر الفعل (يشتكي).

وهذه النقطة بالذات إلحاق الألف واللام بالمصدر لصعوبة إيرادها نجدها قليلة الورود، لكنها حالة من حالات إضمار المصدر تقديرًا.

هذا في مجمله ما يُهمني هُنا وأنت ترى قارئي العزيز الفطن رعونة فهم مثل هذا، فلك أن تتساءل لماذا تطرق نحو هذا في زمن يحتاج إلى خفة اللغة؟

وكيف تكتب في هذا، والناس اليوم لا يلقون بالاً لعمق اللغة، إنما يكتبون وينطقون على سليقة هشة مدخولة؟

وسؤال كهذا السؤال أراه يجب أن يكون، لأن الحال من بعضها لكن إليك (أيها القارئ النحرير) إليك هذا:

(لقد تتملذتُ على يديه، فعلمني تعليمات كثيرة).

و(قرأت عليه مقروءة طويلة)، إلخ.

جاء في مقابلة لعالم جيد كبير هذا الكلام، فلا العالم أصاب ولا المصحح أجاد، ولا الجريدة أحسنت.

والصواب: (قرأتُ عليه قراءةً).

والصواب : (فعلمني تَعلِيمًا).

وفي فتوى شرعية جاء هذا:

(هذا الراجح عندي - رجحانًا بينًا).

والصواب : (ترجيحًا).

وفي نادٍ أدبي مرموق جاء في معرض الرد على إحدى المُداخلات:

(اسمعوا أيُّها الإخوة الحضور ما ذكرته آنفًا تذكيرًا لمنزلة ودور حمزة شحاته)؟!!

والصَّوابُ : (ما ذكرتُهُ آنفًا ذكرًا).

أو : (ذكرًا بمنزلة)، لا لمنزلة.

وهُناك غيضٌ من فيضٍ تصبح به الساحة في العلم، والأدب، واللغة، والثقافة، والنقد، مما يدعو إلى ضرورة البعث من جديد؛ لنهضة اللغة والنحو وصحة الآثار المستشهد بها، للدلالة على شيء ما أو أشياء في حكم عبادة أو في حكم مُعاملة.

أفليس اللحيدان بعد هذا مُحقًّا في طرح هذا وسواه.

هذا هو السؤال

أبان يراد بها: وضَّح، وإنما ذلك بتشديد الضاد، من أبان الأمر ووضحه، حتى يتبين منه المراد منه. وأبان هكذا فعل مضارع فاعله المبين له، وهذا بالبناء على الفاعل بكسر الياء مع تشديدها، والمفعول به الأمر المبين بالبناء للمفعول، وهذا يكون بفتح الياء مع التخفيف.

وأبان وبيَّن ووضَّح كل هذا بمعنى واحد، لكن حسب حال المقتضى لكل فعل من هذه الأفعال الثلاثة.

ويدخل هذا الفعل المشترك اللفظي لكن بحسب المعنى، فأبان قلت: هو فعل مضارع، وأبان من جهة ثانية جبل مستطيل على يمين المسافر إلى المدينة. وقد ورد ذكره في الشعر كثيرًا، يقطن حوله بعض الرشايدة، وبعض حرب، وسبيع خاصة من بني ثور.

وكان إلى عهد قريب ترتع فيه: الغزلان والطرائد الصغيرة العاشبة: كالأرانب والوبر والضب أسفله، وتأوي إلى ذروته بعض الكواسر من الطير.

وهذا الفعل يقل ورده، وإنما يقولون غالبًا وضَّح ووضَّحه وبيَّنه، ومثل هذا: أجلاه يريدون: وضَّحه وأبانه، وكشف حقيقته على حال جدَّ بينة، ففي أجلاه زيادة معنى.

وورد في سورة (براءة: التوبة)، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ﴾ [التوبة:٤٣]، وهذا كان في قضية أُسارى بدر.

وأبان أمره أنه من صفات العقل البعيد الغور، لأنه بيان الأمر، وبيان الأمور كل ذلك يحتاج إلى مزيد عمق، وطول تأمل، وصفاء ذهن جيد.

وبهذه المناسبة فإنني كنت قد طالعت ما كتبه أ. إبراهيم المطرودي حول استعمال العقل في مراجعة المتون، مما ورد من الآثار، وذلك بجريدة (الرياض) مبديًا أن ابن حجر قد حرر بعض هذا، وأورد شيئًا من هذا في مقاله ذاك.

فداخله الأخ الشيخ صالح الفوزان، وهو رجل مسدد، وجيد في مداخلته تلك ونقاشه، إذ بين هناك ضرورة الالتزام بالنص إذا صح، حتى ولو خالف العقل ظاهرًا، لأن العقل السليم قطعًا لا يمكن أن يخالف النص الصحيح بحال.

قلت: وهذا حق لا مرية فيه، ثم عاود أ. المطرودي، وناقش نقد وبيان الفوزان، وجعل منه (مقالاً مطولاً) لنقاشه، وأبان هناك مراده، ودلل عليه.

تابعت هذا كله بإنصات، لمعطيات النص، ومعطيات اللغة والعقل.

فوجدت كلاهما ينشد الحق: الشيخ الفوزان وأ. المطرودي، وإن كان المطرودي قد غابت عنه أشياء كثيرة، كان يلزم منه التأني، وقوة المراجعة، وطول التأمل البعيد حيالها.

لكن في مثل هذا وفي أثناء الكتابة، كنت أحب من كل أحد -ناقدًا ومنتقدًا- أن يكون عنده في (المسائل الدقيقة) ما يلي:

1. تأصيل الطرح.
2. تقعيده.
3. الاستنتاج .

ثم بعد ذلك:

1. نقاش الموضوع.
2. حيثيات النقاش.
3. معالجة النص، والحكم عليه.
4. بيان من ناقشه من كبار العلماء، خلال قرون خلت، أو تكلم فيه خاصة: ابن حجر. العيني. ابن رجب. الكرماني. ابن خزيمة. ابن تيمية. سعيد ابن منصور المروزي.

ثم ضبط الفهم بدلالة صحة السند جدًّا، وفهم المراد، وما أبان منه كبار العلماء في أسفارهم، لأنني لم أجد تأصيلاً هناك، كما لم أجد تعقيدًا ولا استنتاجًا، إنما أخذ ورد ونوع انفعال عاقل جيد.

وإن كنت أنحو باللوم على (المطرودي) لعدم فقهه للنص، واستعجال الطرح هكذا، فإنني أدعو في مثل هذه النقاشات إلى ضرورة شدة الحرص على تأصيل المسائل وتقعيدها، ثم الاستنتاج بعد ذلك، قبل الرد أو النقد أو المداخلة، فذلك كله يُثري العقل، وقد يبعث على الاجتهاد، ولو في مسألة أو باب (دع عنك المقيد) و(دع عنك المطلق).

وقد كان أ. يوسف أبا الخيل، وهو كاتب جيد من نوع متماسك، لو هدأ وأصَّل وقعّد لكان له في هذا حسن تعبير، من طراز أظن أنه يسلك السبيل القويم.

فقد طرح قريبًا: (حال السند)، ودوره في بيان حال المتن، ونقاشه ذاك جيد، وهدفه سليم، لكنه قد غابت عنه أشياء، فلو نظر وتدبر كتاب:-(المحدث الفاصل بين الراوي والسامع)، و(العلل) لابن أبي حاتم، و:(العلل) لعلي بن المديني و(تدريب الراوي) للسيوطي بتدبر، وطول نفس، ومعرفة ضوابط حقيقة السند، وضرورته، ظني غالب أنه سوف يؤسس شيئًا ذا بال، وأنا جدًّا فخور به، لحسن طرحه، ونشدانه الحق، والله حسبه.

أبـر من (الــبـر)

أبر: من البر، وأصل البر بذل المعروف والصلة على وجه يكون لله.

والبر (بكسر الباء) بذل الخير والإحسان إلى ثلاثة إلى:

1. الوالدين.
2. ذوي العصبة.
3. ذوي الأرحام.

ومن جلائله: بر الضعيف والمسكين والمظلوم، بردِّ حقه حسًّا ومعنى وحمايته، وهذا من غاية البر، وجميل الصلة، وقد ورد فضل البر في الكتاب والسنّة، وهو ديدن العظماء والأخيار.

أخلق: على وزن أفعل بكسر اللام، بمعنى أجدر، ويصاحب هذا غالبًا لازمه (به)، فيقال: أخلق به، ويُراد بذلك: أنه جدير بما وكل إليه من عمل. وهي صفة مدح، لا يقال إلاّ للسيد الحر: علمًا ورأيًا وعملاً.

وترد لعله في الغالب لوصف المرء بما سوف يقوم به خلقًا.

ولوصف العمل بما ينسب إلى القائم به، فيقال: أخلق بهذا العمل أن يكون من صنع فلان أو فعله.

وورد في: الشعر، والحكم مثله.

أخرق: مأخوذ من الخرق، وهو سوء التصرف دون قصد.

والأخرق: الأحمق من وجه، إذ الحمق عند العرب هو: الجنون بلباس العقل، تقول: عمل أحرق، وقول أخرق، أي لا وجه له صالح.

وتقول: أحمق بني فلان، ويقال: أخرق بني فلان، وبينهما العموم والخصوص من وجه، وأخرق إنّما هو: بفتح الهمزة، وإسكان الخاء، وفتح الراء.

ومع تغيُّر حركات الحروف يكون من باب المشترك اللفظي، فترى هذه اللفظة على حالات بضم الهمزة وإسكان الخاء، وبفتح الهمزة والخاء والراء، على سبيل الاستفهام، ويرد قليلاً بكسر الراء.

أحق: ثلاثي، وهو: لفظ أقوى من قولك: أولى، وكلاهما يرد حسب المقتضى.

وأحق أولى وزيادة في باب إنصاف الإنسان، بدفعه إلى مكانه الصحيح من الفرص والمناسبات، ولهذا جاء في المطولات وكتب الفروع، من وجه توزيع القدرات، بإنزال المرء منزلته، بصرف النظر عن حبه أو كرهه، وهذا من باب العدل بتقديم ذوي المواهب والقدرات: علمًا وعملاً على غيرهم، لتوليد التجديد والنهوض والعلو بحق.

وفلان أحق من فلان، ليس بمعنى أجدر هنا، لكن يراد به أولى، لأنّه أحق عدلاً وميزانًا مستقيمًا.

ومن هذا الباب لا يقدم أحد على أحد في الحياة في ميادينها: علمًا وعملاً من جهة: العصبية ونحوها، ولهذا جاء في المنزل الكريم: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾]المائدة:٨[، وورد مثل هذا كثيرًا في السنّة، والحكم، والأمثال، وتعليل حوادث الدهر، وتضرُّعات الضعفاء، وتعليل التجارب، خلال القرون: أن الحيف موجب لذهاب العدل أصلاً، فهو طارده، فإذا حصل هذا وجب أمر الله ونزل، لكن بتدرُّج قد يطول وقد يقصر، ولهذا قال العليم: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾]الفرقان:٣٩[.

وإنّما هذا يحتاج إلى طول تأمُّل، وتمام نزاهة جبارة، وأمانة مستقيمة خالدة من أبيٍّ حُرٍّ كريم.

* * *

أهدأ: من الهدوء والسَّمت.

وإنّما ذلك يكون من باب المفاضلة بين شخصين، للقيام بأمر يحتاج إلى الفطنة والكياسة، وسعة النظر، وطول البال، وشدة التحمُّل.

والهدوء من صفات العقل الفطن، ولهذا قال جلّ ذكره: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾]الأنبياء:٧٣[،

أي يدلون، وينصحون، ويدعون.

وقال الشاعر: تهدأ الأمور بأهل الرأي...

والهدوء موهبة ربّانية يُولد مع المرء، ويمكن اكتسابه بطول نظر العواقب، وقراءة سير النابهين، كما ورد في مثل:

1. الطبقات الكبرى، لابن سعد.
2. الروض الأنف، للسهيلي.
3. أخلاق العلماء، للآجري.

وأصل الهدوء طمأنينة القلب، وسكونه وجدِّية القول مع الحكمة، وبسط الوجه، وقلّة الحركة، ووضوح الغاية من المراد طرحه.

أمات: من الموت، وهو: خروج الروح، تقول: مات: فاضت روحه.

وأمات فعل ماضي من الإماتة، وذلك نوعان:

1. النوم، فهو موت.
2. الموت بعدم إرجاع الروح.

وورد في هذا النص الكريم.

والموت له حالات، منها:

1. خروج الروح أصلاً.
2. سكون القلب، وتوقُّف الدم، وبرودة الأطراف، وثقل البدن مع طول الوقت.
3. موت الدماغ، وهو حالات، لكن هذا لا يسمى موتًا، حتى يتّصف بالأمرين معًا.

ولست هنا ممن يرى نزع آلات التنفس، فنزعها حسب فهمي، إماتة مادية معلومة من حال المريض بالضرورة، وأمات ومات وميت مشترك لفظي، فيقال عن الإنسان والطير والشجر، وتدخله الكناية، فيقال: مات الوادي: جف ومات شجره، ونحو هذا وبابه كثر.

تدهور العلم (بين السطو والإعجاب)

في حالاتٍ كثيرةٍ لعلَّه تطغى في أثناء القراءة لأي عمل علمي، أو أي عمل أدبي، أو أي عمل ثقافي، لعلَّه تطغى عاطفة الإعجاب، وهُنا إذا طغت العاطفةُ على العقل الحر المتبصر، فإنَّ التردي في هذا يكون سبيلاً لا محيد عنه إلى (عمى البال)، بحيث تخفى العيوب الأصليةُ والعيوبُ الفرعيةُ لأي عمل ما، أمام القارئ قراءة مُعجب للمؤلف، وهذا وجدته خلال لقاءاتي المتعددة بمشاهد كثيرة من أُناسٍ ما كنتُ أخال أنَّهمُ يعمون عن أصول الخطأ، لولا الإعجاب بهذا المؤلف أو ذاك.

وهذا من أمور مُتعددة لا محيص البتة: أنَّها تولدُ المراوحة في مكان واحد، لا تتعداه إلا وتعود إليه، وهذا. الحقُّ أقولُ. يقود إلى انعدام الإبداع وذهاب التجديد، إنَّما. فقط. فقط. التكرار، وقد يدعو هذا. ولا نكير. يدعو إلى أشياء كثيرة، منها أن كثيرًا ممن يزعمون أهلية الكتابة، والنقد، والبحث، والتحقيق، والتقرير والكتابة في النحو، واللغة، قد يسطون على إنتاج الغير، لكن بطرق غاية في الذكاء، وتلمس سبل الخلاص، لو تم بعد ذلك اكتشافه أو اكتشافهم؛ كل ذلك مدون ومسطور في طرس معلوم، والإعجاب يعمى عن هذا، وهذا كفيل بسريان السطو، وسريان التكرار مع سريان التعاظم، قلتُ، وهذا مرسوم على سبيل مُقيم، وإذا كنتُ أُشيرُ. هُنا. إلى الإعجاب، فإنَّ هذا وحده هو دائرة المهم في هذا العصيب من وقت يحتاج فيه العلم والنقد والثقافة إلى الإضافات والتجديد، لكن هُناكَ، وأصدقك القول -قارئي الفاضل- هُناكَ حالاتٍ غير ما سبق تدعو للأسف بجانب الإعجاب أمر عليها مرور الواضحات من جبال لا تريم، فمن ذلك مثلاً:

1. العجلة في القراءة.
2. المصالح المتبادلة.
3. التزلف.
4. الصحبة.
5. الكتابة عن النفس باسم مُستعار.
6. تكليف الغير.
7. التعريف بذلك.
8. تقمص المسألة.
9. الإسقاط العام الذاتي.

فالقراءة ومن ثم الكتابة عن المقروء، لا يعدو كل ذلك إلا لما ذكرتُ العام والمشهد الخاص في الحال الحاضرة. اليوم. ولهذا أجدُ وتجدُ أنت كذلك: طغيان الخطاب المباشر، والإنشاء التأليفي، وحضور. الأنا. بين كل سطر وسطر، وورقة وورقة، ولعلَّ النَّقدَ إذا تمّ نقد

أي عمل فيه ما فيه، فإنَّ المؤلفَ يتجافى عن الرد أو على الأقل البيان، بيان وجهة النظر، وإيضاح الحاصل، خذ مثلاً كتاب (الأغاني) أو (أخبار الحمقى والمغفلين) أو (خاص الخاص) أو (مقاتل الطالبيين) أو (مروج الذهب)، ومن المتأخرات من كتب، خذ مثلاً: (في الشعر الجاهلي) (الثابت والمتحول) و (أولاد حارتنا) إلخ.

تدبر، ووازن، وتحرر من العاطفة، أو من العقل المغطى بترسبات قديمة بالية، فإنَّك تجد السطو واضحًا، وكذا السرد العبثي (والأنا) دون حياء أو خشية، فهناك في هذه الأسفار آثار باطلة، لم تصح، وهُناكَ لطشٌ من كتاب (إخوان الصفا)، وهناك سرد انتقائي أعمى.

بل (وما يوم حليمة بسر)، فهذا كتاب (ابن الجوزي)،) أخبار الحمقى والمغفلين)، يسير بين جملة من القراء، يسير سريان سيل منحدر من عل، أو كصخرة امرئ القيس في زمن قديم، يستشهدون به، ويكررون قراءته، مع أنَّه ليس له، ولا يصلح أن يكون له لو كان (ابن الجوزي) رَحِمَهُ ٱللَّهُ هش التوحيد فكيف به وهو من خيرة الكتاب الخالدين؟

ألستُ مُحقًّا؟

ألستُ ألتمس بابًا مُهمًّا؟

ألا يصح أن نبدأ من جديد، ولا نحرث في البحر؟ إذًا على الله تعالى التوكل، ولنُعطِ العقل ما خُلقَ له من عظمة التدبر، وحرية النظر المكين.

المسؤولية بين الدولة والعلماء

1. السجية هي ما خُلق عليه المرء، ويستوي في هذا الذكر والأنثى، أو هي استعداد جبلي يكون مع المخلوق، ويعرف به طُرًا، وهذه وتلك يتضح من خلالهما سماتٌ جليلةٌ، تظهر من خلال إرث الإنسان أبد الدهر.
2. والسجية يمكن تحصيل كثير من سماتها عبر الاكتساب الدائم لصفاتها وحالاتها ومواقفها، بشرط التنبه الإرادي الحر المطلق.
3. والسجية أيًا كان مدّعيها، لا ينفع فيها فرضها على أرض الواقع بالقوة، أو الجاه أو المال أو الذكاء، لأنها ترفض (أي السجية) مدّعيها مهما كان ذلك المدّعي.

ومن هنا ينشأ الحسد بين الأقارب والوشاية والكلام خاصة في (العرض)، كما قد ينشأ بين ذي السجية ومدّعيها عداوةٌ وقطيعةٌ، وقد يقف (المدّعي لها) في وجه صاحبها حثيثًا حثيثًا.

وعلم اللغة كما كنت قد بيّنت (قبلاً)، إنما هي أعني (اللغة) استعداد فطري جيد لها، قراءةً وفهمًا وتطبيقًا، حتى إذا سما ذو السجية عبر السنين، فإذا هو يسمو بعلو خلقي جبلي، كأنما ينحدر من صبب، فإذا هو يعلو عن قوة، ولهذا يعز مثل هذا، ويندحر المدّعون ولو دبجوا وكتبوا وألّفوا، وحاضروا ونافحوا وتصدروا. والذين لهم إلمام (جيد) صاف مكين على سير من سلف من (الأعلام)، الذين صنّفوا فيها، والذين لهم إلمام جيد قوي ثقيل بأساليب طرحهم لهذا العلم لعله حينًا من الدهر، لا يرى ما بين يديه اليوم، إلا عالة بيّنة على أخبار من آثار من سلف. ولو شئت لأنبأت وأخبرت ودلّلت وعلّلت، لحال على حال، وخبر على خبر، وسفر على سفر، وبذل على بذل.

فخذ مثلاً عشرة تصانيف مما يصنّف الآن، وخذ عشرة بحوث، وخذ مثلها أضربه بمثلها من المقالات المطروحة والزوايا المنشورة، فإنه يهالك الهول كله، ما سوف تجد من أمور، لعلي آت على بعضها، وإذا أنت دقّقت النظر، وسبرت الغور، وجدتني كما ذكرت، فمن ذلك:

1. كثرة الاستطراد.
2. عدم ترابط الأسلوب.
3. إظهار الذات.
4. تكرار المعنى.
5. الاستماتة على الاستمرار.
6. محاولة كسب المتلقي ليس إلا.
7. الخلط بين علم وعلم، وعالم وعالم.

8. تبادل التزلّف ونشدانه.
9. ضعف فهم قواعد ومنهج السابقين.
10. الاختصار المسف.
11. تخطئة كبار العلماء بوجه وقح.
12. تخطئة كبار العلماء (كابن جني) مثلاً، ومحاولة تصحيح ذلك الخطأ. من باب التجديد بجرأة وعشر كلمات. ولما كان غالب الناس لا يقرأ ثقيل العلم وقويه، فإنهم يصدّقون ما يُكتب ويُنشر هنا وهناك، من أجل ذلك حصل أمور خمسة، وذلك من خلالها تتبعي لما يُطرح ويُنشر: إما من: (مجامع وهيئات علمية)، أو (مجالس)،أو شخصيًّا ممن يكتب مقالاً ما.

ضعف الأسلوب.

الجمع، والعرض.

مجرد النقل، والتكرار.

عدم التفريق بين الأصول، والفروع.

عدم الإضافات غير المسبوقة.

وهذا وذاك علاجه إنما يكون بصدق مواجهة الواقع بمواجهة النفس، ألا يكون إلا ما يجب أن يكون.

وهذا كله مسؤولية الدول ممثلة جدًّا بالمعنيين عن: العلم، والثقافة، والنشر، والنقد وقوة، ونباهة المتابعة، وذات مصداقية النتيجة في كل من هذا كله.

تـدهور الاطلاع

العلم هبة ربانية، العلم المتصف صاحبه بسعة البطان، وجودة الفكر، ودقة النظر، وإضافات حية مستديمة، ناهيك بقوة الرأي، وحسن الخلق، وجمال الطرح الكريم، ولهذا قد تجد عالمًا ما، أو تجد كاتبًا، وقس على هذين تجد لهم من الكتب والحضور والشهرة ما لا قد يحده حد، ومع هذا فليس ثمة معول على بذلهم، أو ما ينتجون ذلك أنه تكرار، أو هو مجرد نقل من هنا وهناك، أو لعله في أصله لنشدان (الأنا)، ولهذا تجد هذا النوع لا يمل الكتابة، بل قد يغضب إذا لم يخرج له شيء، قلت وهو شديد في نقده، بل قد يسقط على المنتقد ما ليس يقر له قرار.

وقد رأيت خلال هذا الحين خلال تجوالي أنواعًا من هذا القبيل، لكن ما يطرأ اليوم يتم بتسويق مثل هذه الكتب، ومثل هذه الكتابات، والسبب يعود في غالب ظني إلى هذه الحيثيات.

1. ضعف الخلفية القرائية.
2. العجلة، وحب النتيجة على أي صفة.
3. القراءة لمجرد التسلية.
4. تغييب العقل، وإبراز القلب.
5. عدم الاهتمام بأهمية الوقت.
6. الميل للدعة وطلب الخفيف.
7. عدم وجود النقد الموهوب للمطروح، وإنما الموجود: آراء ودراسات للعمل العلمي أو اللغوي أو الثقافي.
8. الانشغال (بالإعلام المرئي) على حساب التأمل وقوة التدبر.

وخذ على هذا أمثلة:

1. ضعف الأداء من خلال حوار ما.
2. كثرة الحركة، والتشبث بالرأي عند المناقشة.
3. إسقاطات معلنة على الطرف الآخر. والخروج إلى جزئيات لا أصل لها.
4. التسيد الملحوظ، وهذا التسيد الملحوظ نجده كثيرًا في السياسة الاقتصادية، والطرح الفقهي، والحوار اللغوي.
5. الإصرار على الرأي الأحادي، مع العلم بأن صاحبه يدرك الزلل، من أجل ذلك لا تجد اليوم من يدخل في نقد أو حوار أو مناقشة، مع مثل هذا النوع رقم **(4)**، و**(5)**، ولو تدبرت (أخلاق العلماء) للآجري، أو(أدب الكاتب) لابن قتيبة، أو (صيد الخاطر) لابن الجوزي، أو (الفروق) للقرافي، أو (هدي الساري) لابن حجر.

بل لو تدبرت أيها الأخ الكريم ما دونه ابن خلدون في (المقدمة) حول سياسة الحضارة العلمية، والكتابة وأصول النظر، ثم عولت على ما كتبه (ابن تيمية) في سفره (درء تعارض النقل والعقل)، لذهبت أيها الفاضل تنحو باللائمة على سنة أو سنين قضيتها على نظر المكرر أو المنقول أو الإنشائيات على غير طائل.

لهذا لدي طمع كبير وقوي، بتعديل مسار التلقي لدى القارئ، على الاقل فقط بقراءة ثلاثة كتب، مما ورد ذكرها هنا، لكنها يتقدم فيها العقل على ما سواه من دوافع العاطفة أو شذرات القلب، ولعل تأمل كتاب (وحي القلم) للرافعي بذائقة ثقيلة، وأريحية متأنية متعمة، تقود إلى خبايا الزوايا.

انحدار اللغة بين أهلها، ونقدُ السَّبب

أقدر: أمكن على صيغة أفعل، وأقدر من المُشترك اللفظي على اختلاف في المعنى، ويُحددُ ذلك في غالب الذكر القرينتان (الحسية، والمعنوية).

وترى أنت أنَّ الهمزةَ، والقافَ، والدَّال، والراء، تُشكلُ من حيث الذوق اللغوي حِسًّا قويًّا، يُنبي عن صفة قوية ماثلة أمامك.

وأقدر ذات اشتقاقات كثيرة، فتقول: قادر، يقدر، قدير، قادرون.

وتأتي هذه الكلمة على الحقيقة، كما تأتي على صيغة المبالغة.

فيُقال على الحقيقة: الأسد أقدر من الذئب.

ويُقال على صيغة المبالغة: هذا العالم أقدر من ذاك.

وقد يشتركان، وليس ثمة نكير، وهي كلمةٌ تخضع للعوامل قبلها، فيُقالُ:
أ. إنَّ محمدًا أقدرُ على المسؤولية.
ب. كان الولدُ أقدرَ من أخيه.

وهكذا تكون.

وأقدر كلمةٌ حسب ميزانها المعجمي ذات تحديدٍ كبيرٍ نحو المراد منها، سواء على حقيقتها أو المبالغة فيها، وترد الكلمات مثلها أكثر من إيرادها في الحكمة، والأمثال، والشِّعر، وقد يرد غيرها، وتُرادُ هي على سبيل لا يصرف إلا إليها، لاسيما إذا لم يعِ المتكلم مراد الألفاظ.

فمثلاً: ناصر أحسن من كريم في تحمل المسؤولية، ويريد القائل: (أقدر) بدليل كلمة (تحمل)، وهذا دليل حسي واضح بقصدها، ويرد هذا إما للجهل بدلالة المفردات على المعاني، أو العجلة في الكلام، أو لظن المساواة بينهما، بين: أقدر وأحسن في المثال الآنف الذكر، وهذه الحقيقة تتضح جليًّا من خلال الشعر الجاهلي والإسلامي، ويتبين منها كيف دخلَ التوليدُ الفجُّ على اللغة؟

وكيف طغتْ لهجة المولدين خلال القرون: **(2-7)** خاصة مع نهاية القرن (الثاني).

فقد انتشرت مِثلُ ألفاظ كثيرة، زاحمت مفردات اللغة الحقة، في مشاهد كثيرة، خاصة بعد توسع مكتبة (دار الحكمة) في زمن (المأمون) -عفا الله عنه- وقد بيَّن الإمام ابن عساكر في كتابه (مختصر تاريخ دمشق)، وكذا الإمام الحجة ابن قتيبة في (عيون الأخبار)، ومثلهما الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء)، ذلك أن من تأمل طرح هؤلاء وعرضهم للتاريخ

السياسي والأدبي والاجتماعي والشرعي والاقتصادي يلحظ جيدًا عن طريق الرواية، والأمثال، والتجربة، والأخبار، والقصص، والعرض، يلحظ كيف أن اللغة تضاءلت مشاهدها القوية، ومفرداتها العالية، بعد تداخل مفردات مولدة، حتى لقد نُظم الشعر بعبارات ركيكة سيئة، ونُسب هذا الشعر إلى حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لكي ينتشر ويدوم.

وكذا طغت الآثار الباطلة على الصحيح منها، وذاعت، وحملها العوَّام يزفونها من بلد إلى آخر، مع أنها ذات ركاكة، وسوء مفردة، وقبح معنى، مثل ما جاء مما لم يثبت بحال:

1. اطلبوا العلم ولو في الصين.
2. الأرض على قرن ثور.
3. سلمان منا آل البيت.
4. لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح.
5. حُبب إليَّ من دنياكم ثلاث.

وجملة القول هنا كما في جملته هناك: إن اللسان الإسلامي العربي تأثر كثيرًا، وخرجت اللغة عن مسارها، وانعطفت شمالاً صوب اللهجة الخفيفة الرديئة، بألفاظ هشة هينة، يدرك معها اللبيب العاقل الردى الذي أصاب اللغةَ، خلال تلك القرون المتراصة.

وسوف تجد كلمة تُجعل مكان كلمة أخرى، كأنها هي، وتجد كلامًا مكان كلام آخر تنطقه، ولا تكاد تسيغه، انظر مثلاً:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع   وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أبدًا ليس من شعر أول البعثة المباركة، بل لعله نُظم في قرون متأخرة بدليل الركاكة والأنوثة في المفردات، مع ضعف اللفظ في كل القصيدة.

ومثل هذا ما نسب إلى (عنترة العبسي):
لا تُسقني ماء الحياة بذلة
بل فاسقني بالعز ماء الحنظلي
فهل عنترة يقول مثل هذا؟!

هل قال ذلك؟

لا جرم الأبيات مُوَلَّدةٌ، فجَّة خفيفة متضاءِلة.

لكن ومما زاد الطين بلة سعي الناس الكثير منهم إلى خفيف القول، وخفيف الرواية، وبسيط مشهد النقل، وخذ مثلها كتاب (الأغاني)، كم ترى فيه من عيب، لكن لا على الحصر:

1. **415** حديثًا مكذوبًا.
2. **118** رواية باطلة.
3. **211** بيتًا مولدًا.
4. روايات لمجاهيل.

طالعه شيئًا فشيئًا، تفطن إلى لغة الكتاب، وطريقة حكاياته، وسبيل إيراد اللغة، واستطراد الأخبار، ولعل خير مثال قائم، كتاب: (الثابت والمتحول) لأدونيس، (فقه اللغة) للويس عوض، طالعهما بتأن وقوة حضور لغوي مكين، وتجرد جيد نزيه، جدًّ نزيه، ما أنت إلا كما وجد (حاطب الليل)، أراد أرنبًا فوقع على أفعى نافخة قليلة السم، فعاش يرى الحياة من خلال سمها.

أصل قبيلة عُتيبة (باب أعتب)

أَعْتَبُ هي على وزن أفعل، والعتبُ اللَّومُ، والعتبُ أصلٌ فيه، والعتاب بكسر العين اللوم برفق مع حدة.

وعتب يعتب لام يلوم، والعتبُ غالبه في دائرة السِّر، وهذا إنَّما يكونُ بين والد وولده، ووالدة وولدها أو ابنتها، وصاحب وصاحبه، وقريب وقريبه؛ ذلك أنَّ اللَّومَ إنما يكون عتابًا مع حكمة وتنبيه وتوجيه وبيان، وغالبه إنِّما يردُ على سبيل الترفق، ويدخله التَّعريضُ والمعاريضُ، إذا كان المعاتبُ حصيفًا عاقلاً لا يكرر الخطأ والسفه والتعالي.

وعتب فلانٌ على فلانٍ: لامه مع نصحٍ، وبيانٍ لحصول ما عُوتبَ به عليه، والعتابُ بخلاف النَّقد؛ فالنَّقدُ يكونُ مع ظهور الأمر بيانًا للناس، والنقد بخلافه؛ لأن النَّقدَ قد يكونُ دوافعه كثيرة، منها على سبيل المثال:

1. الجهل بحقيقة المطروح.
2. التعالم.
3. حب الانتصار.
4. تعويض نقص ما.
5. الكتابة لمجرد الكتابة.
6. الحسد مع التجهيل.
7. قد يكون واجهة لغيره.
8. إظهار العظمة والتفرد.

لكن النقد له واجهة حسنة، لم تزل الإنسانية بحاجة إليه، لو وُجِد على حقيقته. ومن علامات النقد الجيد المفيد ما يأتي:

1. الموهبة الواعية.
2. نقد المطروح ذاته دون طارحه.
3. البُعد عن الإسفاف والتنقص.
4. بيان وجه النقد بحيثيات وشواهد.
5. إيجاد الأعذار للمنتقد.
6. التجديد في آليات الطرح النقدي.
7. السبق في إيجاد ركائز عالية القيمة الأخلاقية في أصول الحوار وبيان الخطأ والصواب.

واليوم **99 %** مما يُطرح مما يُسمى نقدًا ليس كذلك، إنما عرض أو دراسة لعمل ما، ولا وجود للنقد، خاصة كُتّاب المقالات أو الكتيبات المسماة نقدًا، بدليل أنَّ هُناك إسقاطات نفسية، يبثها هذا وذاك، قد تشبعت بالوصاية، أو انتخاب مفُردات غير خُلقية، أو التَّجهيل، أو الاستكبار، أو النبش عن النوايا.

قالَ ابنُ لحيدان: وأعود لعتب يعتبُ، فهذا كلامي، لكن أدخلتُ النقد هُنا لأهميته، ولمعرفة أصوله، والتفريق بين نقد ونقد، ولئلا يتم الخلط بينه وبين اللوم على حال تدوم.

وإذا عرفنا جميعًا هذا وسابقه، فقد رأيتُ أن أبيّن أمرًا ذا بال حول (عتبة ابن غزوان). وعُتبة على وزن فُعلة بضم الفاء وإسكان العين، وإنَّ هُناك من زعم أن قبيلة عتبة، القبيلة المشهورة، تعود إليه، ولم يصح هذا، لافتقاره إلى ناهض مادي بسند صالح.

وقبيلة (عُتبة) قبيلة هوازنية لا قحطانية، كما يزعم مَنْ يزعم ذلك، وأصلها -حسب فهمي الاستقرائي لها ولغيرها- أنها هي: (هوازن)، وتعود إلى (قيس) ابن منصور بن عكرمة بن خفصة بن قيس عيلان.

وكانت تسكن الحجاز، وتفرقت خلال العهود، ما بين الحجاز ونجد، خاصة وسطه وشماله الشرقي. وعتيبة ليست من ثقيف، بل هم (حُلفاء)؛ فقد كانت ثقيف وعتيبة تسكنان الطائف معًا، وإن تفاختت عتيبة بين حين وحين، ما بين الطائف وقراها، ولا سيما الشرقية منها، والشمالية الغربية.

ومن هذه القبيلة الجيدة (بنو سعد)، سكنت شرق جنوب الطائف، منهم (حليمة السعدية)، ولها بنت تُسمى (الشيماء)، وفدت على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يوم (حُنين) فبسط لها رداءه ورحب بها، وهي أخته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من (الرضاع)، صحابية جليلة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، وهي أسن منه بكثير.

ولولا أن (المعجم) ليس بذي تطرقٍ واسع لمثل هذا، لتوسعتُ فيه طرًّا، لكنَّه خاص بمعاني المفردات، ودلالاتها، وما ترمي إليه، سواء أكانَ خاصًّا أو كانَ مُشتركًا، بين لفظٍ ولفظ، وبين لفظ ومعنى، وكل ذلك مني لتدبر المعاني الواردة في الآثار والروايات وسوى ذلك.

العلماء والمحققون وكُتّاب الزوايا. أين اللغة؟

علم اللغة، أحسب أنه سليقة وغريزة فيمن أراد الله تعالى له ذلك. وغالب ظني أنه هذا دون سواه. إن المتتبع للقروم من كبار العلماء، خلال تعاقب العصور، من حين الصحابة إلى زمن شارحي الآثار، ومدوني الخطابات النصية، من الحديث والرواية والشعر والحكمة والأمثال، يجد أنهم يتسمون بسمات سامقة، منها على الأقل:

1. سعة البطانة.
2. نباهة الحدس.
3. سعة النظر.
4. قوة الرأي المكين.
5. الفهم الصحيح للكلام المدون.
6. قوة القريحة وصفاؤها.
7. حسن الخلق والمداومة عليه.

إن الناظر في أسفار الأقدمين مما دونه كبار العلماء إلى زمن: العيني، والمستملي، وابن رجب، وابن الأثير الجزري، وابن عساكر، والعقيلي، والمزي، والزيلعي، وابن فرحون، يجد ذلك الاختيار الحسن لمشاهد طرح اللغة، من خلال إيراد المفردات الحية الداعية لأن تقرأها، وتكرر ذلك ما شاء لك أن تكرر.

إن الموهبة لدى العلماء السالفين تتبين في حالات كثيرة؛ منها أنك لا تمل القراءة، ناهيك أخرى مثلها: أنك حينما تعاود النظر، تستفيد بما لم تستفد في القراءة قبلها.

إن كتابًا واحدًا مثل: (المجموع) للنواوي تتصفحه حين تتصفحه تجد (عداك السوء)، و(خطاك الشر)، تجد غزارة اللغة، ودقة النحو، وضخامة البلاغة وفخامتها، ومع أنه كتاب: (حديث وفقه)، لكنك أخي العزيز. واجد فيه سابقات العاديات من الخيل الجياد، من قوة القريحة، وشدة الاستحضار الحي الجيد.

إنك حينما تسامر ابن قتيبة، وتسهر معه في سفره (عيون الأخبار)، وتقرأه وأنت في حال تأمل، وصفاء ذهن، وهدوء نفس، وصدق تلقٍ، وجلب نباهة، تحسب حينها أنك بعد تبدأ القراءة على واحد من عالم، قال عنه الكبار: ثقة، وقالوا عنه: الفحل، وليس من فراغ، إن (اللغة) لا ينفع فيها لك طول القراءة، حالها كحال الحديث: المتون، والأسانيد، وطبقات

الرواة، والعلل، والبلدان، لا ينفع في أي من ذلك طول القراءة، ورصف الكتب، والتزين بها، وجمعها ما لم يكن لديك قبلاً استعداد خلقي فطري، لأن تكون: لغويًّا - أو نحويًّا - أو محدثًا.

إن هذه العلوم. نفع الله تعالى بك. علم عقلية شديدة الحساسية، إلا لمن صدق وتورع، وحاز سبقًا من موهبة، وقدرات فذة، وحسن خلق جيد.

إن الذي هو كائن اليوم، وما يكتب عنها، ويكتب فيها إنما ذلك محاولات، بعد لم تصل إلى العلو المراد، إن ذلك كثيره عالة على ما دونه الأقدمون.

ان الذي يطرح في الساحة في هذا الحين من كتب -وزوايا صحفية- ورسائل، كل ذلك (غالبه) مكرر، وفيه من الحشو، والاستطراد، والإنشاء، والثناء من هذا على ذاك، والنقد العجول، غير المؤصل والمقعد الشيء الكثير.

إن اللغة، والنحو، وعلم الحديث، كل ذلك مواهب.. تستدعي قول (شعبة ابن الحجاج)، و(محمد بن المنكدر)، و(البخاري) و(ابن وارة)، والعجلوني)، و(مسكويه)، و(الخطابي)، و(الترمذي)، من ذلك: (تعبرنا قبل طلب العلم)، (النيّة قبل البداية)، (إن هذا العلم دين)، (من تصدر قبل أوانه هلك وأهلك)، (من ساءت خلقه ضد غيره عذب نفسه)، (العلم نور تبعده المعصية وطلب العلو)، ومثل ذلك تجده (مدونًا) عند: (الذهبي)، و(ابن قيم الجوزية)، و(القرافي)، و(ابن الجوزي)، وسواهم خلق من كبار العلماء، (مدونة) أقوالهم في أسفار كثيرة.

إن هذا الكلام من هؤلاء، وإن الكلام مني ومنك، كله يصب في مصب واحد، إنه العقل الحر المكين، ذلك العقل الذي تلبسته الموهبة الواعية، التي إنما كانت لتكون أصلاً في التجديد. دونما إنشاء، أو خطاب مباشر، أو مجرد ادعاء، أو نقل من هنا وهناك.

إن الذي أعنيه في علم اللغة، كنت قد عينته من قبل في كثير من آرائي وكتبي وشعري كذلك، إنني أعني بذلك كله: أن التجديد بأسلوب فحل، وعرض فحل، واستشهاد فحل، لا يتأتى كيفما اتفق، إنما يتأتى لمن أعطي السجية، والموهبة، وحسن الخلق، وطول التأمل، وبعد النظر، وكمال الرواية، وحسن الطرح المتين.

ذلك كله يعني أننا فيما نطرح الواقع: واقع الكتابات، وما يكتبه كثير من كتاب الزوايا، وما يصنفه بعض العلماء، ويحققه كثير من المحققين على أرض التمحيص. (المتخصص الموهوب النزيه). نجد كثيرًا منه ليس بمستوى المراد المطلوب.

إن الوضع يحتاج إلى نقلة نوعية مرة، وثورة نفسية عاقلة، عالمة، متأنية، عادلة، متجردة.

إن الحال حال (التأليف) و(الكتابات)، خاصة الدائم منها، كل ذلك إنما هو اجترار نفسي خاطئ، وتسلية لا شعورية للنفس، إياها على أن هذا وذاك من (المؤلفين)و(المحققين)، وأن

(كتابات) فلان وفلان تصب في دائرة الإبداع والجدة والأستاذية.

وهذا الشعور وذاك، يغطي مساحة كبيرة من (العقل الفطري)، الذي غطاه من قبل: الادعاء وحب الخير، لكن بطريق غير ذي طريق سليم.

إن النقلات الحرة الخالدة عبر القرون، التي هي زيادة العلم: الحديث، واللغة، والنحو، والبلاغة، والمصطلح، والأصول، وسياسة العبادات، وسياسة المعاملات، والتي هي ريادة الإضافات في الاقتصاد، والإدارة، والقضاء، وعلم الفتيا.

إن هذه النقلات الباقية من لدن الفحول الكبار، لم تكن لولا فضل الله تعالى، ثم ما فيها من تجديد لم يسبق إليه من قبل، ولنجرب قراءة خاطفة ما خطه يراع الإمام (الرامهرمزي) في كتابه الذائع (المحدث الفاصل بين الراوي والسامع)، لنجد أن التقعيد والتأصيل كل ذلك ذاهب اليوم.

وإنني أضيف كذلك هذا الكتاب لنجد حقيقة القول على خالد مخلد يدوم، ألا وهو: (الجرح والتعديل) (لابن أبي حاتم)، لنجد كيف كان النابهون على طول العهود؟

وكيف هو العلم، وعلى أي أساس يكون؟

اللغة. اللغة. والجهات المسؤولة

تتولد الموهبة خلال تقدم العمر، لمن وهب الموهبة أصلاً، خاصة في علوم العقل ذات العمق والفطنة، والدهاء وسعة المدارك، وحسن الخلق.

ولا يتضح ذلك كله إلا بقراءة سير تراجم العلماء، الذين صنفوا أنهم:موهوبون، وهم قلة، بل هم في الأزمنة المتأخرة، قد يكون لا وجود لهم للخلط اليوم بين الذكاء والدهاء، والمركزية والقوة، وسعة الحيلة، وبين الموهبة، ولعل (اللغة) هي ذلك العلم، الذي لا يدركه عالم ما في علم من العلوم، إلا ويقع في زلل ما، ويقع في خطأ، حيث أراد هنا أو هناك الصواب. ومن جهل شيئًا عاداه.

ولم يزل كبار العلماء يوصون بها: كثرة قراءة ونظر، وتدبر، واستيعاب ذلك، لأنها المنطلق لفهم المفردات والدلالة على المعاني، وإني لواضع ما عساه يشد الأزر، ويقوي الشعور بالمسؤولية، وينبه إلى حال لابد من مراعاتها، ولو شيئًا فشيئًا، وهذا كله يستفاد مما دوّنه الأقدمون، ما بين العراق والحجاز، والشام واليمن، وما وراء النهر، ومرو ونيسابور وبخارى.

فمما أدونه نحو هذا ما يلي:

1. انظر اللغة، فإن صحت سلموا.
2. تمام العقل بعد التوحيد قيام اللغة.
3. ما دخلت العجمة إلا بجهل ما.
4. ما سلم اللسان بمثل الأمانة.
5. ما تعالم أحد وتشمخ، إلا وهومريض.
6. لا يقرأ القرآن ولا السنة إلا بلغة صالحة.
7. آية الفلاح سلامة اللغة وجودة الفهم.
8. ادعاء العلم بتكرار الكتابة سقم ظاهر.
9. الصمت علامة العقل، واللغة علامة السؤدد.
10. ما حافظ على اللغة ودرأ عنها إلا جليل.
11. لم يبلغ البخاري ما بلغ إلا بنية صالحة. ولغة القرآن.
12. لا يكون اللغوي ولا النحوي حسودين.
13. علامة حكم النظر عدلاً: الخوف من العاقبة.
14. إنما بلغ سيبويه ما بلغ إلا بعد قراءة السنة.
15. لا يعرف صحيح السنة وضعيفها، إلا بسلامة اللغة.

16. حينما يذهب الموهوبون يقوم غيرهم، فتذهب اللغة.
17. العدل مع النزاهة، واللغة مع الفقه والتجديد.
18. وأنت حينما تقرأ: الكرماني، والنواوي، وابن رجب، ومسلم، والعيني، وابن حجر، وحينما تقرأ: الفروق، والتمييز، وهدى الساري، ونصب الراية، ودرأ تعارض النقل والعقل، والمعركة تحت راية القرآن، وأباطيل وأسمار، فأنت تجد هذه اللافتات الجليلة من علم ولغة ونحو، تجدها في ثنايا وأطراف ووسط هذه الأسفار، لتتأكد جزمًا كم نحن. اليوم. أحوج على ألا نكون على الأقل عالة على من سلف، من قوم جددوا بعد علم وفهم، وبعد رواية ودراية، وبعد وعي وتطبيق.

ولعل من أسباب تقدم القوم وظهورهم شدة الحرص على سلامة النية لله تعالى، وبذل الوسع لتحصيل الموهبة، وجلبها من خلال كثرة وقوة القراءة والتدبر، وسعة الاطلاع وشدة الدعاء، مع بذل السبب للوصول إلى الصحيح. من قدرات حية صادقة عاملة واعية، لتسمو اللغة بسمو العلم، ويسمو العلم بسمو اللغة، وها نحن الآن ما بين بذل وبذل، وحرص وحرص، وسعي وسعي، ومع ذلك نحن نرى الحاجة في طلب المزيد، لاكتشاف الموهبة، وتنميتها، وحمايتها، ورد محاولات تدمير اللغة بتدمير وسائلها، ولعل مما يساعد بداية لذلك قوة الأمر ومتابعته على ألا يتحدث متحدث إلا بلغة سليمة وافية، حتى مدرسو الابتدائية، إلى كتابة الدعاية والإعلان، والخطابات والتوجيهات، والمحادثات، والحوارات، ومناط هذا كله تهويل أمر اللغة، والحرص على ذلك ما وسع الحرص، وقوة المتابعة، وبذل التقارير، ودراستها ومعرفة أوجه الخلل، وأوجه التقصير، كل جهة بحسب المسؤولية فيما بين يديها.

أحور

أحور ميزانها الصرفي: أفعل، وهي لغة سماعية، وردت في الكتاب، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة:٢٢]، ووردت في الشعر، والمثل، والحكمة، وجاء كثيرًا في روايات متعددة في وصف (حلاوة العينين).

وحلاوة العينين تختلف عن جمالهما، فالجمال هو السعة، مع طول الهدب، ونقاوة البياض.

أما (الملاحة) فهو الحلاوة مع صغر أو كبر العينين، مع شدة بياض أو عسل (عسلية)،وفيهما غالبًا نعسٌ بين، وفيهما كذلك ميل لقوة الشخصية، بخلاف جمالهما، فلا يصاحبهما، وفي (الدراسات النفسية التحليلية)، ودراسة علم الطباع: لا يمكن لصاحب أو صاحبة العينين المليحتين أن تخون أو تغدر، وذلك لميل صاحبهما أو صاحبتهما لرهافة الحس، وشدة قوة الطبع، لا سيما إذا كان الصوت (فيه بحة خفيفة).

ويندر هنا أن يكون لصاحبة العينين معاندة أو مكابرة، بل مواجهة حادة جميلة، توحي بالتأثير المباشر، لخروج ما تقول من عقل ممزوج بعاطفة، بخلاف جميلة العينين فكلامها غالبًا فيه عناد وكيد، وذلك لخروجه (كلاهما) من القلب فقط، وتميل أحيانًا إلى التورية، أو الكذب المبطن.

وفي قول (طرفة بن العبد) واسمه: عمرو

طحوران عوار القذى فتراهما كمكحولتي مذعورة أم فرقدِ

وذلك أن الملاحة في العينين تكون أجمل ملاحة، إذا خاف صاحبهما بشدة خوفًا متوقعًا، بخلاف العسلية الواسعة الجميلة، أو الشهباء، أو الجريئة، فليست كذلك، وينطبع (الملح) على الحركة والكلام، حتى إن كثيرًا من (الحكماء) شحوا بمجازاة من هذه طباعه، لنزوعه إلى الشفافية، وصدق حرارة النفس.

(والحور) يُقال عنه: ملاحة بتخفيف اللام، ويمكن أن تُشدد كذلك، ومن العجائب السائرة منذ أقدم العصور: أن من كانت هذه صفة عينيه من ذكر أو أنثى، إذا لقي تربية حرة كريمة، ذات قوة وصفاء ونبل، كان الأمر هنا أن صاحبهما أو صاحبتهما قد يجعل له (بصمة في التاريخ) في حال ما منعلم أو أدب أو نقد أو طب... إلخ.

وذلك عائد إلى ما ركب في الطبع من الخلقة، ووضوح الرؤية، وبروز العملية العقلية في مسار الاتجاه.

وقد يخالفني غيري في هذا، لكن الذي لعله يكون سببًا في الخلاف هو الخلط بين عين وعين، فهناك خلط بين الملاحة والجمال. والسعة وطول شق العين. وشدة السواد وكثرة الدعج. لكني هُنا أركز على الوصف الإشعاعي للعين مع التركيز على صفتها العضوية.

وقد جرى نظر مكين في هذا في (دراساتي القضائية والنفسية التحليلية) يُوضح مُرادي الذي أعنيه، ولستُ أرى مجالاً لذكره في هذا (المعجم)، لكن كثيرًا من هذا يدرك من خلال: التذوق الطبعي.

أبين: أفعل (بفتح الياء) بمعنى أوضح، هذا أبين من هذا، وهي لغة مُنتشرة، وقد تُشدد الياء على سبيل الإيضاح في المسائل اللغوية أو العلمية أو الطبية مثلاً، فيقال: (هذا أمر بيّن) بحذف الألف المهموزة، من بان يبين: وضح وظهر، وأبين يدخلها الاشتراك اللفظي، وذلك يُدركُ من خلال الحركات أو القرينة المعنوية، فيقال:

1. أبين: أوضح.
2. أبين: مدينة في اليمن.
3. أَبيَّن: بتشديد الياء على صيغة السؤال.
4. أي هل أوضُح الأمرُ. وبيّنه؟
5. أبين: يحكي (بتسكين الياء)
6. أبينا للمذكر: امتنعنا، وليس هذا من هذا. لكن من باب المشاكلة.

ملاحظة: ورد في لهجات متنوعة:

1. بينه: لغة بين أسد.
2. أبينه: عامة قِحة. (بتشديد الياء).
3. أبينه: يمانية قحطانية (بتخفيف الياء).
4. أبنه: (بفتح الباء) ساحلية مشهورة.

سر الباء) الأمر بالإبانة.

5. وترد (أبنه له) أبنه له، ووضحه.

(أبـصر.و الـبصرة.وسيـبويـه)

أبصر: ميزانها الصرفي (أفعل)، من الإبصار المجرد بالعين الحسية. أبصر: أدق وأجود بصرًا من غيره، ويدخله المشترك اللفظي.

1. أبصر فلان: رأى.
2. فلان أبصر من سواه.
3. عمرو أبصر في العلم من زيد مثلاً، ويبصر يرى، أبصره رآه، ولهذه اللفظة صيغ منها:

باصر.

بصير.

ذو بصر.

أبصر بهم على فعل الأمر.

بصره: عيناه.

يبصر: يرى.

ويأتي على هذا: كافة الأفعال.

ومن باب التداعي يرد اسم البصرة. مدينة في العراق. خرج منها أئمة كبار في الحديث، والفقه، والمصطلح، والأصول، والطب، والقضاء، والهندسة، والفتيا، واللغة، والنحو. ولما كنتُ في المعجم أسير على سبيل اللغة، وفك معاني الألفاظ، حسب فهمي، فإن (سيبويه) هو إمام النحويين في البصرة، وإليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرد مذهب البصريين في: النحو.

وسيبويه[56] هو: أبو بشر. من البشارة، واسمه عمرو بن عثمان، أصله من بلاد (الفرس)، فمنَّ الله تعالى عليه بلزوم علم الحديث، الذي هو أصل اللغة والنحو بعد القرآن الكريم، فقد لزم الإمام الحجة: حماد بن سلمة شيخ الأئمة: مُسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجة والترمذي.

لزمه طويلاً وأخذ العلم عنه، ووعى حقيقة سياسة مجتمعه، وما هو عليه، وقد جلس إليه يومًا، فكان حماد يملي على سيبويه، قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ليس من أصحابي أحد إلا من لو شئت لأخذت عليه، ليس أبا الدرداء[57]، لكن سيبويه قال: ليس أبو الدرداء، فنهره الإمام ابن سلمة المحدث الجليل، قال له: (لحنت)، (إنما هذا استثناء). عندها قال سيبويه: لا جرم، لأطلبن علمًا لا يحلنني معه أحد). ومكث طويلاً مع: (حماد بن سلمة)، فلما أدرك أغوار

النحو، كسب بجانبه حسن الخلق، وشدة التواضع، وعدم ادعاء السبق، مع هدوء وسكينة، وكثرة عبادة وورع، ثم لزم بعد ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي[58]، وأخذ كذلك عن يونس وعيسى بن عمر، وأطال المكث معهم، وكان يُعاود شيخه المجدد: حماد، وقد نال سيبويه لما حباه الله تعالى من حسن الخلق، وحسن التودد والتواضع، وعدم الإعجاب بما يكتب. نال محبة الخلق، والذكر الحسن، وحين برع في النحو وأجاد، ألف كتابه السائر بين الخليقة (الكتاب)، وبين فيه ما أخذه عن الخليل، بل أضاف إليه جديدًا، ونقل عن علماء النحو البصريين، ونسب كل نقل إلى صاحبه.

وفهمت أن البصريين أجلّوا كتابه وتجديده فيه، وسبقه فيه، وحلاوة طرحه، فسموه (الكتاب).

وقد شهد له بالسبق كثير من العلماء. فهذا المبرد والمازني، وسواهما خلق كثير، عظموه، واعترفوا بفضل كتابه، ونجابته، وحسن نقده، دون تعدٍ أو سوء كلام. بل:نزاهة وأمانة، وحسن خلق، وجمال طرح متين.

وقد وفد إلى بغداد[59]، لكنه تركها لأسباب دوَّنها المؤرخون.

قلتُ: ونعود على بدء حميد، فأذكر هُنا:

أن: بصيرة لا تنصرف إلى ذات العين المجردة، بل إلى بصيرة المعنى.

ولم أسمع: معبار على وزن (مفعال) بتشديد (العين)، وقد يرد هذا، والله تعالى أعلم.

أنـبل علـى وزن أفـعل

على وزن أفعل من النبل، وهو: جمال الأخلاق مع الكرم، ومنه نبل: بز وسبق غيره بالأخلاق، ومنه نبيل على وزن فعيل، ولا يرد: نابل. حسب نظري في المطولات من معاجم اللغة، لكن يكون ذلك على لفظة (نبل)، والصيغة المستديمة النبيل، ولا يوصف بها المرء لجاه أو مال أو قوة، ما لم ينبل أصلاً بالبعد عن الجور، والأدعى والطلب من الصفات ما ليس يستحقه.

والنبيل هو أحد شيوخ البخاري، ترجم له ابن عدي والمزي والذهبي وابن حجر، فهو: ثقة ثبت حجة، كان ورعًا عادلاً، فاضلاً خيرًا، بعيدًا عن المظاهر، وكان كلامه قليلاً، وله هيبة مجردة، أي أن هيبته جبلة، لا تتعلق بسبب مادي. وكان يأكل من عمل يده.

ويوصف الأسد، والديك، والصقر الحر، والعقاب الجبلي، والعصفور، توصف هذه كلها بالنبل.

ولا يوصف بها (الغراب)، لأنه حاسد، حذره وعيشته لنفسه وفراخه.

وكذا: الحدأة، والنسر، والوشق، والصقري، طير صغير، له منقار معكوف.والنبل أنواع:

1. جبلي بكسر الجيم، وتشديد اللام.
2. ومكتسب.
3. وتلبس به فقط.

ولا يحل محله الكرم، أو الشجاعة، أو بذل اليد عن سعة، لأنه يجمعها كلها. وقلَّ اليوم من يدرك مراد ذلك.

وينبلون من النبل، وهو إرسال السهم، وإنما ذلك بفتح (الباء)، وينبلون، وهذا بضم: (الباء)، ونبل ينبل أرسل سهمًا من ذبابته للصيد، أو دفع الأذى من صائل ونحوه.

ونبَّال: لفظ مشترك من: بيع النبل، أو صفة لمن هو شديد النبل.

وأنبل هذا مشترك لفظي، مختلف من حيث المعنى.

فيقال: هذا أنبل من ذاك: أجود وأكرم.

ويُقال: هذا أنبل من ذاك: أشد ضربًا من غيره للنبل. إرسال السهام مع الجودة والدقة.

أسعد:

أفعل، ويتضح المراد من خلال دلالة ما بعده عليه، فيقال: أسعد من تقي، أسعد من عادل، يُراد بهذا: لا أسعد. أو لا أحد أسعد من عادل. وأصل أسعد، سعُد بضم الدال، و(سَعُدَ): فرح مع الدوام به، والسعادة تنطلق من مصدرين:

1. القلب فهو: فرح.
2. العقل فهو: مطمئن.

وإذا كان كذلك دام السعد.

وهي صيغة مبالغة على حقيقتها، وهذا أمر معلوم من حال التقي والعادل بالضرورة، ويُسعد بضم الياء: يفرح خيره، ويبهجه بأمر جليل دائم. وصفة الدوام على صيغة فعيل: (سعيد)، وسعد بضم الدال، وفي النجوم سعد بلغ، وسعد الذوابح، وفيها سعد السعود، ويرد قليلاً، وقيل: السعداء سبعة:

1. عادل قوي، يدفع بعدله الإساءة.
2. تقي واعٍ مُتجرد.
3. ورع فطِن.
4. داهية عالم خائف.
5. مضيوم بينه وبين الله سر كثير الدعاء.
6. حذر، نزيه، أمين.
7. تاركًا للشبهات، يترقب ما يرجو.

هل تموت اللغة العربية أو أوشكت؟

هناك علوم جمة، يفيد في إدراك غالب المراد منها، الاكتساب، وتكرار القراءة بين حين وحين.

بينما هناك علوم، لا ينفع فيها إلا استعداد وموهبة، وهذا النوع يخطئ كثيرًا من يزعمه، ولهذا نجد كثيرًا ممن يدعيه، تزل به القدم، مهما حاول جاهدًا أنه هو هو.

فعلم الحديث أحوال الرواة، علم الأسانيد، الجرح والتعديل، لغة المتون.

وكذا اللغة، ومثلها سياسة فقه الاقتصاد، لا ينفع في هذا كله إلا الموهبة. والاكتساب يجدي، لكنه لا يوصف صاحبه به: أنه محدث، أو لغوي، أو اقتصادي. ولهذا مع مرور دهر طويل، لم يكن هناك تجديد ما في علم من هذه العلوم، اللهم إلا آراء مبثوثة، تتلمس الصواب، وتقترب منه، لكن ذلك لم يحرك ساكنًا، ولم يجد نفعًا في الحياة، ومع تقديري وثقتي التامتين في كثير من مراكز اللغة، والمجامع اللغوية، والهيئات العلمية الجيدة المهتمة بها، ومع الدراسات والبحوث التي تصب في شأن اللغة، أرى وغيري من العلماء المهتمين في سياسة الواقع العلمي التأصيلي واللغوي: أن هناك ازديادًا في لهجات دخيلة وعبارات متناثرة، لا صلة لها بلغة عربية، هي أرض العلم، وقاعدة منطلقاته أبدًا.

ولعلي لا أبعد النجعة إذا قلت: إن اللغة العربية تتضاءل إلا في أماكن خاصة: كالمحاضرات والندوات وأروقة الجامعات في أثناء الدرس، لست أكتب جزافًا من القول، أو أرمي الكلام على علاته، كلا، لكن الحال تدعو إلى مزيد نظر، وبحث أسباب هذا، وكيف يحصل؟

كيف يحصل مع زحم مادي لا بأس به؟ مع كثرة الاهتمام والبذل والنشاط والبحوث، كيف حصل هذا وزاد؟

هناك في كل حالة في كل شأن من شؤون الحياة، وليست حالة اللغة ببعيد عما يجب تداركه، ولا أقول دراسته، هناك قاعدة ليتها تطبق في حالات صعبة، حتى في مجال الاستشارات العليا في سياسة الدول، قاعدة جميلة، وفي الوقت نفسه جليلة، تكلم هي كما يلي:

أولاً: ما حقيقة المشكلة؟
ثانيًا: لماذا حصلت المشكلة؟
ثالثًا: ما هو الأصل في هذا؟
رابعًا: نظر الفرق بين العرض والمرض.

خامسًا: ما أسباب المشكلة؟
سادسًا: ما هو أشد الأسباب؟
سابعًا: ما هي أفضل الحلول؟
ثامنًا: الفرق بين التكرار والتجديد في ثنايا الحل ولا بد.

فلو أن أي مجمع لغوي، ولو أن أي مركز لغوي، ولو أن أي هيئة علمية، اتخذت هذه القاعدة بطول تأمل متين، وجعلت هذه الأسئلة نصب العين، أنا زعيم أن شيئًا ما سيحصل بإذن الله تعالى.

وليس ثمة معارض على هذا، إذا كان أمامنا شيئان:
الأول: ضرورة التجديد البكر.
ثانيًا:
أهمية الشعور بالمسؤولية، تجاه هذا كله، وبتأمل الآنف ذكره. وخلاك ذم. يصبح المستحيل ممكنًا بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ.

ليست البحوث، وليست الدراسات، وليست الكتابات العابرة، بصانعة أيما شيء، ما لم يتبع تفعيلاً على أرض الواقع العملي المتحرك، صوب هذا الطغيان، من لهجات شتى، تزداد حينًا بعد حين. بل مما زاد الطين بلة كثرة الإعلانات غير العربية، واللوحات والعناوين على كثير من المحلات التجارية، فنادق، معارض تجارية، بنايات كبيرة ومتوسطة وصغيرة، تؤجر شققًا مفروشة.

كيف حصل هذا؟

كيف تم هذا؟ والحبل على الغارب. بين زيادة وزيادة وسط دراسات وبحوث، وصيحات من كثير من العلماء.

هذا ولا جرم. أننا نحاول، ولعلي واحد ممن يهتم بمثل هذا، لكن لعل شيئًا يحدث نقلة نوعية ضرورية، تكون على سبيل تفقد اللغة، من حيث تفعيل النظر إلى إلزام بضرورة كتابة اللغة على شكل شارف تجاري، مهما كان، وعلى وضع أسس ملزمة، لنطق اللغة صحيحة في المراحل كلها، مع ضرورة المتابعة دوريًّا برفع تقارير حول هذا بصادق مع عزم متين. خلال القرون إلى السابع، كانت اللغة سيدة، لكن تصاب حينًا بوهن ما، وحينًا بغياب، وآخر من حين ثالث تصاب اللغة بتغييب؟

فتطغى لهجات متنوعة، مختلفة دائمة حينًا ومتقطعة حينًا آخر.

كيف كان هذا؟ كيف صار؟

هنا أعود بكم. أعود بالمجامع اللغوية والمراكز اللغوية. وليست الهيئات العلمية عنا ببعيد.

أعود بكم إلى تلك القاعدة، من ثماني خطوات مهمة.

فهل لهم من خروج جديد؟

نتمنى ذلك، نتمناه.

أجمـة

أجمة: أجمة جمع (آجام) [60]، وميزانها الصرفي (أفعلة)، ولا يُقام على هذا أجم، بل لا بد من التاء المربوطة، لكن لعل أجم لغة غير ناهضة. والأجمة بضم الجيم وفتحها لغتان، والفتح هو الأصل حسب فهمي، وهي المرتفع من الأرض، من أحجار أو جبل صغير له رأس، أو ما يكونه الإنسان من أحجار، بعضها فوق بعض، علامة على شيء ما. [61].

(والأجمة) هي الطرف، والمرتفع، والعلامة، والحد.

أنجم من التنجيم، وهو معرفة علم آثار النجوم، وهو علم فيه صدق وكذب، وصدقه: تخمين وظن ومقاربة، وهو ضرب من الكهانة، ولما كان العربُ يعتقدون بالنجوم قبل الإسلام، وأن لها تأثيرًا في الحياة: كالمطر، والثمر، والترحال. إلخ. بيَّن سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أنها مخلوقة، تسير بتدبيره تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ۝٤٩﴾]النجم:٤٩[، وقال قتادة [62]: خلقت النجوم لثلاث: (علامات يُهتدى بها، وزينة للسماء، ورجوم للشياطين). وقد جاء هذا في الكتاب الكريم، قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝١٦﴾]النحل:١٦[، وكذلك جاء غيرها.

والنجوم منها ما هو ثابت، ومنها ما هو يسير، بإذن الله تعالى، ومنها ما هو دائر حول نفسه [63] ولكل نجم منزلة، وهُناك نجوم معروفة، جاءت في الشعر والخطب والأمثال والحكم، مثل: سُهيل، الثرياء، المرزم، الجدي، التَّابع، التّويبع، النسر اليماني، النسر الشمالي (الشامي)، عطارد، زحل، المشتري.

والضرب بالنجوم كله لم يثبت به شيء ما، فلم يصدق برج العقرب ولا الثور ولا الجدي ولا السرطان. إلخ فيما يعتقده المنجمون: أن له تأثيرًا فيمن ولد في هذا البرج أو ذاك، إنما هي إيحاءات وتخييلات فاسدة ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾]فاطر:١٤[.

أسفل وأسفل رباعي الحرف، وهي أصلية على وزن (أفعل)، وهو ليس بمعنى تحت، وإن كانا ظرفي مكان؛ لأن المعنى مُختلف، لكن العامة يشكلون بينهما، فيُقال: تحت البيت،

وأسفل البيت. لكن جرى العرف اللغوي على ذلك، وهناك مشاحة في هذا. وأسفل أبلغ من تحت، ولهذا فإن استعمال أسفل إنما يكون في الدون في كل شيء، قال سبحانه في المنافقين: ﴿فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾]النساء:١٤٥[،وقال: ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾]التين:٥[،أي نهاية الأسفل، وهذا كناية في المعنى، وحقيقة في الحس، وذلك إنما يكون حسب الحاصل، وتقول سفُل الرجل: سقط من حيث المعنى، وقلّت قيمته عند العقلاء. إذا باع دينه، أو مارى، أو فجر، أو راءى، أو ظلم، أو أكل الحرام، ونحو ذلك، وأصل أسفل وسفُل وسفُلتْ، أنها صيغ يؤتى بها للتعبير عن المراد الموضوع لها، من حيث حقيقة وضعها، كما قدمتُ آنفًا، وفي الجماد هُنا إشكال، لكن لكل جماد تعبير معروف به، فيُقال: أسفل الوادي. وأسفل الجبل. ويُقال: تحت الشجرة. وتحت الغطاء. وهكذا تكون الحال.

واعلم. نفع الله بكَ. أنَّ علم اللغة والنحو، مثل علم الحديث، كل ذلك إلهام[64] وموهبة ونور، يؤتاه العالم، ولهذا لا ينفع في هذا البتة التصور بمجرد النقل، أو كثرة القول، أو محاولة النقد، هكذا [65] فتدبر هذا.

(اللّٰه). (الـسؤ ال الأو ل)

لم يسألني أحد ما، لا من العلماء، ولا من الباحثين، ولا من عامة المثقفين أو القراء، لكنه سؤال يطرأ وقلَّ، أو لعله قلَّ، مَنْ يدرك الإجابة عنه.

السؤال: ما المراد بلفظ الجلالة: (اللّٰه)؟

الإجابة عنه من حيث الدلالة اللغوية الحديثية أنه: عَلَمٌ. قال سيبويه: أعرف المعارف. وعند عامة المحدثين، وأهل التفسير، وعلماء النحو: أنه الاسم الأعظم؛ فهو عَلَم مستقل جليل، يوصف فيما بعده بجميع الصفات العظيمة؛ ولهذا يكون ما يرد بعده في الذكر الحكيم أو السنة الصحيحة، إنما هو وصف له.

فتدبر معي (عزيزي القارئ) هذه الآيات: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر:٢٢-٢٣].

وهناك سر جليل: على تطاول القرون، لم يتسم أحد أبدًا من الجبابرة، أو زاعمي العظمة، أو من ذوي الكبر والعتو وسعة الحيلة وفرض القوة بالدهاء والمكر بهذا الاسم (اللّٰه).

فقد حمى الله جل في علاه اسمه من أن يتسمى به أحد ما على هذه الأرض، على مر الأحقاب من عهود باطشة وغير باطشة.

وهذه حكمة وآية عقلية لمن أوتي سعة البطان وعظم المدارك، وتأمل سير الأمم منذ بدء الخليقة، بل حتى فرعون مع قوله، كما حكى الله تعالى عنه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، لم يتسم به مع ما أُعطي فرعون من الدهاء وقوة الشخصية وموهبة الإقناع والاحتواء لغيره.

جاء عن ابن عباس في الموقوف عنه أنه قال: الله: ذو الألوهية والعبودية. والذي يظهر لي على هذا أنه اسم مشتق. وجاء في شرح كتاب (التوحيد) وذكر سيبويه عن الخليل: أن أصله (إله) مثل فعال، فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة. قال سيبويه: مثل: الناس أصله: أناس.

وقال الكسائي والفراء: أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام الأولى في الثانية.

قال الشارح: وعلى هذا، فالصحيح أنه مشتق من إله الرجل: إذا تعبد. كما قرأ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾]الأعراف:١٢٧[،أي عبادتك. وأصله الإله، أي المعبود، فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة، والتقت اللام التي هي عينها، مع اللام التي هي للتعريف، فأُدغمت إحداهما في الأخرى، فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشددة، وفخمت تعظيمًا.

وقال ابن قيم الجوزية: وزعم السهيلي وشيخه أبو بكر ابن العربي أن اسم (الله) غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له، فيستحيل الاشتقاق.

وقال شارح الطحاوية ابن أبي العز، وكذا الإمام الطحاوي، كما شرحه ابن أبي العز: قديم بلا ابتداء.

قلت: وكلام ابن قيم الجوزية والطحاوي جيد، لكن لا يوصف الله عَزَّوَجَلَّ بالقديم، فليست هذه اللفظة القديم من صفاته سبحانه، ولا يمكن أن تكون اسمًا.

فإن ابن قيم الجوزية في قوله ذاك: ذات الاسم لفظ الجلالة (الله) ليس إلا، فهذا مقارب من حيث الدلالة اللغوية.

قلت: كذلك وما ذكره شارح كتاب التوحيد مقارب للمراد المنشود.

ولعلي أبين هنا ما يحسن بيانه نحو هذا الاسم العظيم، الذي تفرد به سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ:

أ. أنه اسم مهمل، فتاؤه المربوطة غير منقطة.

ب. أنه اسم لا يُقسم إلا به غالبًا.

ج. أن الضعيف من الخلق ممن وقع عليه ضيق، أو تجاوز عليه، أو هضم حق، أو وشاية عند الدعاء، لا يقول إلا (يا الله. يا الله. يا الله)، ولا ينطق داعيًا ولاجئًا بصفة له أخرى، عَزَّوَجَلَّ. وهذا فيه دلائل عظمة هذا الاسم في الضراء، عند إرادة زوالها عن الضعيف، أو المهضوم الحق حسًّا، أو المهضوم الحق معنى.

ولا يصار في الدعاء إلى صفة: كالرحمن أو الرحيم أو الحليم، إلا عند طلب العفو والسماح، ورد المظالم إلى أصحابها، وطلب الإعانة على ذلك، وإن كان لفظ الرحمن أو الرحيم، وإن كانا اسمين حقًّا، فلا يكونان إلا كذلك، وهما غالبًا يعقبان اسم الله.

وقول فرعون: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾]القصص:٣٨[، كما حكى الله تعالى عنه، ليس إلا من باب التفكير والتنكير، إنما كان على سبيل التعاظم والاستخفاف بالعقل، كما هو معلوم من حال فرعون بضرورة شيطنته ودهائه واستحواذه، ولهذا جاء في المنزل الكريم: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا فَٰسِقِينَ﴾]الزخرف:٥٤[؛ لأنه كان يعلم من حال الفطرة بالضرورة: أنه يستحيل عليه

أن يقول: إنه هو: الله. وكان الله سبحانه قد قال عنهم: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤]، مبينًا حال معرفتهم به سبحانه وتعالى، لكنهم جحدوا لما جحدوا ظاهرًا. ولهذا نزلت سورة الأنعام، يحف بها سبعون ألف ملك، لهم هزيج من التسبيح، يسبحون الله تعالى، لما اشتملت عليه هذه السورة من حقائق هذا اللفظ (الله)، وما حوته هذه السورة من مخاطبة العقل حينًا، والقلب حينًا آخر، وما دلت عليه من حقائق الكون المقروءة والمنظورة، ومخاطبة الروح والوجدان، وتحريك العقل صوب كثير من العبر، والتدبر نحو هذا الاسم، فيما من سالف الأمم، قد كان لهم أو عليهم.

كيف تتمثل اللغة

تتمثل سلامة اللغة بسلامة موازينها من العلة، سواء كانت علة من ذات النطق على وجه قويم، أو كانت العلة من المولدين والشعوبيين، أو كانت العلة من قاصد سوء ومكر، من أهلها الذين تلبسهم الردى، فانحازوا إلى غير الهدى في القديم والحديث، وهنا أمور ثلاثة لا تستقيم حال العلم إلا بها، ناهيك بأمور غيرها، وإنما أذكر الثلاثة، لأنها وخلاك ذم سبيل متين للولوج إلى سر علم الأثر، وعلم اللغة، وعلم الموازين، وكم نبهتُ طلاب العلم والباحثين إلى:

ضرورات تقوم عليها راسيات عقول (العلماء النابهين). والنابهون المدركون لمسؤولية ما بين أيديهم من علم يقومون به، فمن ذلك مثلاً:

1. صدق وصلاح النية.
2. الدوام على ذلك.
3. جودة أخذ العلم من مظانه أو أهله.
4. الفهم السديد للعلم.
5. حسن التصور له.
6. حسن التصرف فيه.
7. بذل الجهد للاجتهاد الصواب.
8. الفهم الخاص للمسألة: الخاصة.
9. مرارة الشعور بالمسؤولية تجاه: العلم.
10. حسن الخلق.
11. البعد عن مظاهر: الجاه.
12. البعد عن: المركزية بأي صورة تكون.
13. سلامة القلب من حسد أو حقد ما.
14. سعة النظر وعمق الفكر وطيب الكسب.
15. التأني ومراجعة العلم بطول نظره.
16. قبول الحق بناهضه الصحيح.

وأما الثلاثة تلك التي لا بد منها: كراسية أحد والنور، وثابتات الأخشبين، ودارعات العوالي، فناهيك بها أيها (القارئ الكريم) من ثلاثة، وإن أسف بها بعض القوم، وأرنَّ ودرنَّ وعرنَّ، فالأولى (موازين اللفظ وموازين الفعل)، فهذه لا بد منها لإقامة القول على أصله الصحيح، لطرد دخيل اللفظ، وعور الطرح، وسفه الكلام، وإنما دخل السوء والوحش، ودخل

العوار بسبب التعالم، وتفرد النظر ودعوى العلم، وقرن الجاه والمركز بسيادة العلم، وإنما ذلك دعوى لا تقوم على الإدعاء، فالناس يعلمون ويفرقون ويفهمون، حتى العوام يقفون على الفرق بين هذا وذاك، ولا ينفع العقل والدهاء صاحبهما، ولو ساد سنين طويلة بدعوى العلم وحواشيه، فالموازين التي يقوم عليها: اللفظ، ويقوم عليها: الفعل، كنتُ قد بينتُ طرفًا منه خلفًا، وإنما أذكر هذا هنا للإشارة إلى ضرورة فهمه وفقهه على خلاف (فقه) و(فهم)، لويس عوض، وأحمد عبدالمعطي حجازي، وأمين محمود العلم، وسلامة موسى، وقسطنطين زريق، ومحمود أبو رية، وحسين أحمد أمين، ومن نحا نحوهم، وأما الثانية: فتلك ما يقع فيه العجب العجاب، من: الخلط بين اللغة والعامية واللهجة، ممن أحملهم اللوم، وبسبب هذا، وكونه من بعض العلماء والباحثين، سوف أنقل بعضًا مما سمعتُ، ليكون مثالاً على نتيجة سيئة للعلم، ولغته عليه وعليها خذ الأمثلة:

نعم، والجواب يا خوي: أن طواف الإفاضة ركن مهم من الحج، وأما المرة يقصد (المرأة) فعليها (فدي).

والغسل واجب يوم الجمعة، لكن اللي يحتلم هو اللي يغتسل.

وخذ مثالاً ثالثًا: (والنقد الأدبي ضرورة حياتية، ويرحم الله النقد الصحيح الجيد). هكذا، و: (الأدب اليوم فج، فلغته فجة، ونقده فج، (وأيه) هكذا الإخوان يجب أن نُدرك لغة الأدب، وصدق نطقها).

أمثلة حية على وجوب (الرثى) في حال كهذه الحال، وما ذكرته غيض من فيض.

وما الثالثة فالحكم على المنقول حين نقله من: أثر أو كلمة أو شاهد، فإن الأمانة تقتضي ذلك على وجه واجب يقبله العقل، ويوجبه (لازمًا) الشرع، وكم من أثر وكلمة وشاهد، لا تُعزى إلى أصلها، مما يكون معه الباطل والدخيل والمسروق خاصة واليوم قد كثر ادعاء: العلم والريادة وسداد الفهم.

ثلاث (هن) يحسن نظرهن كثيرًا على لازب من لازم دائم.

الآثار بين العلماء، والدعاة، والمقالات الصحفية

أصل النبوغ في العلم أيًّا كان إنما بسبب فضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ثم وجود الاستعداد لدى الإنسان، رجلاً كان أو امرأة، وللوراثة دورها في الاستعداد فيسيولوجيًّا، إنما تكون في الولع في: العلم، وفهم المراد منه، والحرص عليه، وضرورة إضافات ملموسة عالية القيمة، بحيث تقول: سبحان من خلق هذا العلم.

ووجود الاستعداد يعطي الأهلية لهذا العالم في ميدانه، الذي يقوم عليه، ويقوم به ما لم يقف في طريق عائق كوشاية أو استعداء، أو تقبيح صورته بصفة ما، أو إهمال متطلباته، ولهذا شنع الذهبي على كثيرين ممن وقفوا في وجه: (البخاري، ومسلم، وإسماعيل ابن عُليّة، وسليمان بن مهران، وأحمد بن محمد بن حنبل، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية، والعز بن عبدالسلام، وابن تغري بردي، وكذا: أبو حنيفة النعمان، وابن إسحاق).

وسواهم خلق كثر، لكن الله عَزَّوَجَلَّ إذا أراد شيئًا تم، فقد بقي البخاري ومن ذكرت، وذهب من ناوأهم شذر مذر، ولعل كثيرًا منهم تفرقوا (أيدي سبأ)، بل لعلهم كلهم كانوا في (مهب الريح) ذهابًا، لم يكد يعرفهم أحد. ذلك أن العقول تتلاقح بوافر من القبول، إذا كان ما يرد إليها تقبله الفطرة، ويقره العقل.

وهذا ما كان من أولئك من كبار العلماء: البخاري ومن أسلفت، ومن ابن خلدون، وكذا: الحجة أبو بكر بن العربي، وابن الأثير الجزري صاحب (الجامع)، ومثل هؤلاء الأجلاء الزيلعي صاحب (نصب الراية).

ولقد يكون. ولا جرم. في زمن واحد في بلد واحد (**300** عالم)، كلهم من العلم بمكان، لكن لم يكد يذكر منهم إلا (عشرة فقط)، فكيف يتم هذا؟

كيف يكون؟

ما السبب؟

كلا. ما العلة؟

يجيب ابن حجر في (هدي الساري) عن هذا السؤال؟

كما يجيب عنه النواوي في شرحه: (مقدمة صحيح مسلم بن الحجاج)، وكذا بيّن هذا الشاطبي في كتابه: (الموافقات)، لكن هذا الكتاب يحتاج إلى صبر طويل في القراءة والتدبر،

وفهم حقائق:

1. العلم وأسسه.
2. العقل وطرقه وحقيقته.
3. تصوير حقائق الأدلة.
4. شروط العقل الحي.
5. معارضة العقل بعضه لبعض.
6. الفهم والاستنتاج لحقيقة النص.
7. عوارض الأدلة وحقيقتها.
8. ضابط العقل وأصله.
9. حقيقة ضوابط الأدلة.
10. نشوء الاختلاف والخلاف.
11. القدرات، والاجتهاد.

هذا ما فهمته من كتاب: (الموافقات) بعد نظر في مرماه ومبتغاه واتجاهه ومنحاه، وهو مع تفسير سورتي (الأنفال) و(براءة) عند أبي بكر بن العربي في: (أحكام القرآن) أو عند ابن كثير الدمشقي، ينقلان القارئ المتمكن المتمرس المائل إلى النزعة الجريئة الحرة، ومن يميل إلى العمق، واكتشاف حقيقة العقل، وسبق الفهم، وفقه الواقع.

ينقلانه جزمًا إلى منهج حي دائم إلى جو من (فقه الحياة، وفقه العقل)، ودراية وقائع الأمور، التي لا يستغني عنها عالم ولغوي وباحث وكاتب ومثقف، بل وشاعر وأديب.

أما القاضي المتجدد. أما المفتي الرزين، أما المحقق الرصين، فحسبك أن ذلك له كمن ارتوى في صيف صائف، وفي جو حار، يوشك صاحبه أن يؤخذ دون شرب الماء، لشدة عجزه عنه، لكنه قد تمكن، إذْ ما ذاك على الله تعالى بعزيز.

ولعل غالب من قرأت لهم اليوم، واقرأ، أو يعرض عليَّ ما يكتبونه، لعل غالبه يميل إلى الطرح العجول، ومعالجة العرض قبل المرض، ولا سيما من ينهج أسلوب الهجوم الإنشائي من الكتاب، ولهذا فلا تجد من يرد عليهم، لأن مثل حالهم ينفسون عن أنفسهم فيما يطرحون، وينحالون أنهم على نهج سليم في مثل هذا السبيل.

ولهذا هم فقراء إلى الكم، ولو كان قليلاً، إلى مثل: (الموافقات).. (وبراءة)، و(الأنفال)، ولعلهم ينظرون إلى (وحي القلم)، و(فقه اللغة) للثعالبي، (لا لويس عوض)، فقد زل زللاً كبيرًا، حتى قال أحد اللغويين عن كتابه هذا: (فقه اللغة)دمر اللغة، وهو يعلم، ولا أدري كيف فعل؟

وكل هذا أسطره تبيانًا لحقيقة يحسن أن نبدأ منها من جديد. والخطوة الأولى حقًّا تؤدي إلى ذلك المنشود، الذي ننشده جميعًا، حيال إعمال العقل للوصول إلى الأهلية الحقة، للعمل

على بناء العقل على التجديد، وصيرورته صوب فك انغلاقه، ليكون هذا العقل فاعلاً زاخرًا بالعطاء والتسامح والحب والتقدير، تلك التي كانت شرطًا للانعتاق من التقليد، والسكون بالخوف، والتردد حيال حرية العقل، وبذل الجهد نحو: النزاهة والأمانة، وتمام العطاء المتجرد، من ذات المصلحة الذاتية، أو نشدان الاستحسان من هذا المنطلق، فإني أدون بعض الآثار التي تكلم العلماء بمنطق علمي، بحيث يوافقه العقل السليم، الخالي من شوائب الريب، ولا سيما ومن تكلم عن هذه الآثار كبار العلماء قضوا ما بين (**20** إلى **30** إلى **40** و**50** سنة) ينظرون ويرحلون ويبحثون، ويتذاكرون حولها، خلافًا لتحكيم منطق العقل المجرد، لأنه لولا هذه الجهود الجبارة، لما كان ما كان، ولولا السند كذلك لقال كل: برأيه وهواه واجتهاده، من تلك الآثار التي سرت حتى بين بعض العلماء اليوم، وبعض كتاب الصحف.

من تلك الآثار ما يلي:

1. (الأقربون أولى بالمعروف).

ديث أصلاً.

2. (النظافة من الإيمان).

ديث.

3. (خير الأسماء ما عُبِّد أو حُمِّد.)

يصح.

4. (من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له).

ح

من هذا المنطلق، فإنني سوف أذكر بعض المصنفات المهمة، ذات العلاقة الضرورية لما تتضمنه من آثار، لا بُدَّ لكثير من الكتاب والمثقفين، الذين يلقون الدروس العلمية في الجوامع والندوات العلمية من الاطلاع عليها لتثبيت الآثار، التي يذكرونها أمام طلاب العلم، ومن يقرأ المقالات، ومن يكتبه كثير من الباحثين، ولا ضير أبدًا، لا ضير من السؤال عن الأثر المراد طرحه، سؤال العلماء الحفظة للمتون والأسانيد، ومعرفة حقيقة (الجرح والتعديل)، ليس اليوم، لأن (الجرح والتعديل) انقطع منذ القرن الثالث للهجرة، أما اليوم وما يحصل بين بعض الناس، خاصة بعض الدعاة، وهذا نقل إليَّ كثيرًا، فليس إلا (غيبة وبهتان)، ولا علاقة له بجرح أو تعديل أبدًا، فليتق الله تعالى الجميع، فإنَّ الغيبة والنميمة من كبائر الذنوب.

أخلص الآن إلى ذكر بعض هذه الكتب:

أ. كشف الخفاء والإلباس. للعجلوني.

ب. المنار المنيف. لابن قيم الجوزية.

ج. الموضوعات. لابن الجوزي.

د. الفوائد المجموعة . للشوكاني.

هـ. الرفع والتكميل. اللكنوي.
و. العلل. لابن أبي حاتم.
ز. تخريجات (إحياء علوم الدين) للحافظ العراقي.
ح. تحفة الأحوذي. المبارك فوري.
ط. زوائد ابن ماجة - البوصيري.

وبعد هذا فقد عاينت من ضعف حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وقِهِ العذاب دعا له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذا طالعت من صحح حديث: أحلت لنا ميتتان، وهو ضعيف.

وكذا حديث: الشفعة كحل عقال، وفيه ضعف. وما يتردد على ألسنة العامة وبعض المتعلمين:

السارق من السارق كالوارث من أبيه.

وهو باطل، لا يصح بوجه من الوجه، والوضع فيه ظاهر.

وهنا أبين أن د. أحمد أمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ له كتاب تحت عنوان (فجر الإسلام)، وكذا: (ضحى الإسلام) فيهما قرابة: **113** حديثًا لم تصح، فيما عالج رَحِمَهُ ٱللَّهُ حقيقة دراسة المتون والأسانيد، وقد يعذر لجهله بحقيقة الضوابط العلمية الدقيقة، التي لعله لم يطلع عليها، مع توافرها لدى (مكتبة القاهرة)، ولا يحسن هنا إخضاع الحالات المادية الواضحة جدًّا للعقل، مهما بلغ هذا العقل من الفهم، وهذا أمر معلوم وبيّن، ولم يترك الأول للآخر شيئًا.

ولهذا زلت (المعتزلة) القدرية والمؤولة، كلاهما زل زللاً بينًا، كما هو مدون في آرائهم ومذهبهم، من تقديم العقل على النص، وجرهم هذا كثيرًا إلى رد أحاديث الآحاد، مع أنهم يعملون بمقتضاها، لأن غالب الآحاد الواردة بأسانيد صحيحة، قد وردت بسياسة العبادة والمعاملة، سياسة ما يقومون به في الصلاة والزكاة والحج والصيام، وما سوى ذلك من سياسة الحكم، والأمر والنهي، والقضاء والإدارة، إلخ.

والعقل إذا تم فتح المجال أمامه فيما لا يقدر عليه زل، ولهذا رسم القرآن هذه الحقيقة، بما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٩﴾ [يونس:٣٩].

وقد يجنح العقل إلى السخرية والتندر بما لم يقدر على فهمه، وقد يدعي الفهم بجرأة وجسارة وتندر، كما حصل عند المعتزلة والخوارج والمرجئة والقدرية. من أجل ذلك فإنَّ الكتب التي ذكرتها آنفًا ضرورية لأهل هذا الجيل بالذات، ممن ينشدون الحق وبه يعدلون.

ولا ضير أن يجعل العالم والداعية والكاتب والباحث الصحفي كل واحد منهم ركنًا خاصًّا لهذه الكتب، فيعود إليها عند الاقتضاء، مضيفًا إليها ما يلي:
أ. أصول السرخسي.
ب. إعلام الموقعين.
ج. الحاشية. لابن عابدين.

د. السياسة الشرعية - لابن تيمية.

وهذا قمن جدًّا بفواتح، فنواتج ضرورة ما لا بُدَّ منه.

(الْـعِـلَـلُ)

أفاد غالب من كتب في لغة المعاجم اللغوية، ومن نظر في أصول النحو: أن هذا وذاك كلاهما (موهبة)، إذ لا ينفع فيهما مجرد النقل، وما من: لفظة مركبة مع أخرى، وما من لفظ ولفظ، يدل كل ذلك على وصف أو ظرف أو علم، إلا وله مراد، ولهذا لا نجد من كتب في كل واحد منهما بعد القروم الكبار، إلا وأخذ منهم بحال ما، أو صورة ما، وحال الضرر هنا تكمن في التقمص والادعاء والجرأة في الطرح، على مثال يتركه الحطيئة والجاحظ، ومن كان على وتيرتهما، على سبيل يخلد، ويدل على نفسه بنفسه، أن ترك الطرس خير من الكتابة فيه، لكن ما باليد حيلة، ولهذا. أجاد. ابن قتيبة، ومن بعده خاصة: الرافعي، ومحمود شاكر، وأحمد شاكر، وعلي الجارم، وسواهم في نقل إنشائيات الكتابة، وإقحام النفس فيما من شأنه انحطاط الإضافات العلمية على تطاول العهود.

وعلى هذا أبين لفظة تكلم عليها وعنها علماء الحديث والمصطلح، واللغة، وتلك هي: (أعلَّه) يعله.

وأعل: أمرض. وهوّن بتشديد الواو.

وأعله: انتقده ببيان حكيم سليم، ويعله. يبين علته بتفسير ناهض.
وناقة مُعلة: مريضة.
وشاة مُعلة: مريضة.
وفيها علة: مرض خفي.

وأصل هذا عند علماء الحديث: أن العلة (مرض خفي)، يقدح في صحة السند، أو صحة المتن، وإن كان الظاهر في السند أو المتن السلامة من العلة، وذلك مثل حديث: أدبني ربي فأحسن تأديبي.

العلة هنا في المتن.

ومثل حديث: خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء.

العلة هنا في المتن.

وذلك لمخالفة المتنين لقواعد صحيح الأثر، ومثل حديث: استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان.

فالعلة هنا في السند، ففيه راوٍ لا تصح روايته، فبسببه بطل هذا الأثر.

وقد أطنب الأئمة الرامهرمزي واللكنوي والسيوطي والترمذي والدارقطني في هذا كثيرًا، وفي كتاب: (نقل آراء ومرويات العلماء والمؤرخين) أمثلة كثيرة على غالب هذا، كله مع تعليل وتدليل وبيان، والكتاب هذا يقع في (قرابة **700** صفحة)، سامره كثيرٌ من العلماء واللغويين.

والعلة قد تكون حسية كظهور المرض بعد خفائه.

وقد تكون خفية كالإعجاب بالنفس مثلاً، وقس على هذا، تجد بفطنتك عللاً خفية منتشرة، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ١٤﴾ [فاطر:١٤].والعلة والعالة أمران مختلفان، فالعالة هو الثقيل الملزم غيره بقبوله، والعلة الفضيحة، والعالة من العول، وهو: الزيادة على أصل الشيء، وفي علم (الفرائض) عالت المسألة عولاً.

يقال: فلان عالة على فلان، وفلان عالة على العلم، وأصل هذا أنه ضار مُضر، ذلك أن العالة يتسم بثلاث:

أ. ثقل الشخصية وفضولها.
ب. سوء تقدير العواقب.
ج. سوء الخلق.

ويقال: أعله، أبان علته، وأبان مرضه الباطن.

وأعل الأثر وأعل الخبر: أبان عوره وعيبه، لكن بدليل مادي ظاهر، بعيدًا عن لمز الشخصية، أو التعالي عليها، لأن مراد الإعلال بيان الحق بدليله.

قـام.فـهـو يـقـوم

أصل القيام.. هكذا أنه مصدر قام قيامًا.

وعلى هذا، فالقيام من المشترك اللفظي، ولا خلاف فيما أعلم. والله تعالى أعلم.

1. فيقال: الناس قيامًا. أي في حال وقوف.
2. وقيّام (بتشديد الياء)، وهو قليل: أي يقوم على غيره.
3. ويقال قيام هو النهوض فجأة، النهوض طرًّا، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾]الزمر:٦٨[.
4. وقيام: صفة مستقلة، إذا أخرجنا ذلك من المصدرية.
5. وقام: نهض وترك.
6. ويقوم: على الفعل المضارع يتحرك ناهضًا.
7. ومثل ذلك ما يختص بالأنثى سواء بسواء.
8. ويقوم: يعمل، يُقال: قام، ويقوم بالعمل. يقوم به.
9. ويقومون يقفون. أو يعلمون بحسب القرينة.
10. وقام الأمر. بدأ. يبدأ.
11. ويقوم الأمر يطبق ويستمر.
12. وقامت الساعة: جاءت إن هي، أو بعلاماتها.
13. وقامت الأرض: ازدهرت، واخضرت.
14. وقام الماء: استمر جاريًا.

والقيام له حالات ثلاث، حسب علمي من خلال السياسة القضائية، وسياسة الإدارة العليا، والتحليل النفسي.

فالأول القيام المطلق: وهذا يوصف به العظماء، (الذين تمكنوا تحمل الأمور الثقيلة ابتداءً، دون مؤازرة أومعاضدة، وهذه (موهبة) في أصلها الجبلي الخلقي.

وهذا النوع قليل خلال القرون.

لكم من صفات هذا النوع مايلي:

1. استواء البدن (الجسم).
2. سجية العدل والخُلق (بضم الخاء).
3. قلة الخطأ وعدم تكراره.
4. الميل للنوم مبكرًا، وتكاد هذه الحالة أن تصل إلى **99%**.

5. ترك الشك مطلقًا.
6. شدة الاعتبار بالتجارب والحوادث.
7. الحذر ممن يتزلف، فهو بنيه قوي القطع.
8. لديه كره طبعي للعبث أو الدعابة، وإن كان هو بنفسه حسن الخلق جدًّا.
9. تشعر بالأمن والراحة إذا صاحبته، فأنت تهابه جدًّا، لكنك لا تخاف منه لعدله وشهامته.
10. قليل الكلام، قليل الحركة، يهابه القريب أولاً.

الثاني القيام المقارب:

1. يميل هذا النوع إلى الطول قليلاً.
2. سريع الغضب، لكنه يكتمه.
3. شديد الحذر، ولهذا قد يخطئ كثيرًا.
4. يميل لحب المتعة والطرفة.
5. ذكاؤه أوسع من (دهائه)، ولهذا قد تفوته كثير من الأمور.
6. له آمال طويلة وعريضة.
7. ينحو نحو العجلة، وقليل الندم.
8. يبذل المال، لكنه لذاته وآماله.
9. لا يعرف نفسه كثيرًا، لكنه يظن ذلك.
10. لديه أريحية جيدة، وروح فراحة، لكنه يتحامق.
11. مشكلة هذا أنه يتقبل الإهانة ممن يخافه أو يرجوه، لكنه أبدًا لا يتقبلها من الضعيف.
12. لم يوجد بين هذا النوع من أفاق.

الثالث القيام المقيد:

هذا النوع مسالم جدًّا، وله حالات منها:

1. أنه مسالم في كثير من المواقف.
2. قد يقدم والدته على والده، (وهذا وجد كثيرًا).
3. له طموح، ووضوح رؤية وذكاء.
4. يجامل ليصل إلى مراده.
5. يتصف بقوة الشخصية المركبة..
6. يقبل الوشاية دون تحليل، أو معالجة عقلية جيدة.
7. لديه (صفاء ذهن)، لكنه صفاء ذاتي.
8. لا يحب أبدًا أن يوقف له على خطأ.
9. يمتاز هذا النوع بمحبة ولده، والسعي لهم وعليهم، حتى ولو كان على حساب أبويه.
10. له هيبة وحضور، لكن ذلك ذاتي النفس.

11. يعلل الأخطاء حتى الكبائر، ليسلي نفسه.
12. حلو المعشر جدًّا وخدوم، لكنه إذا كره، كره.
13. غالب هذا النوع والثاني لا يسلمان من (دعوة مظلوم).
14. لم يوجد بين هذا النوع ممن يعتذر خاصة كبائر الجرائر.

بقي القول عن هذا وما سبق: أن الحياة على قصرها يراها الثاني والثالث هي كل شيء، بينما الأول (القيام المطلق) ليس كذلك، لأنه ذو حذر عقلي جيد سباق، ولهذا يتصف هذا النوع سياسة الحياة على وجه جيد قائم متين، من أجل ذلك كم كنت وغيري من ذوي الاختصاص الدقيق نود أن يصالح المرء نفسه، ويصدق معها ليعرف ما له وما عليه.

وليس عيبًا استشارة قريب عاقل متمكن، ولو كان عاميًّا، أو زيارة طبيب نفسي جيد موهوب، لا للعلاج، لكن من باب التبعير، لأن التبعير حالة ضروية مثلها مثل الدم كل ستة أشهر مثلاً.

ولعل كتاب (الإنسان ذلك المجهول) وهو مطبوع ومشهور، وكذا كتاب (مذكرات تشرشل) تفي ببعض الفرص، إذا وهب القارئ حسًّا جيدًا.

**وأصدق إذا قلت: إن لحيل النفس، وطغيان العاطفة، وتلاعب الهوى أمرًا بالغ الضرر على العقل، وما تأتي مشكلات الحياة غالبها إلا بسبب النفس، وسبل حيلها، وتغطية العقل أن يتدبر أويحاكم، أو يبصر الطريق الصواب، أو يبصر السبيل الدائم، لتكون الشخصية سوية، وقائمة على سوقها بسبيل واضح، ونهج سليم مبين، وليس ثمة أصغر على المرء رجلاً كان أو امرأة من لوم العقل له، حينما يتحرر من النفس، ويتحرر من العاطفة، لأن لا يبقى هناك إلا الندم بعد مضي العمر والحسرة، وإن برر المرء وعلل، فإن الندم والأسف والحسرة، كل ذلك هو الوبال، فيما يمضي رويدًا رويدًا، وتقترب الشمس إلى الأفول.

Notes

[1←]
ذكره ابن تيمية في أحاديث القصاص (ص117-118)، وقال: المعنى صحيح، ولكن لا يعرف إسناد ثابت. وذكره أيضًا بدر الدين الزركشي في التذكرة في الأحاديث المشتهرة (ص160)، وقال: معناه صحيح أيضًا، لكنه لم يأت من طريق يصح. وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص327)، وقال: لا يعرف له إسناد ثابت. وضعفه السخاوي في المقاصد (ص73)، والعجلوني في الكشف (170)، والألباني في الضعيفة (رقم72).

[2←]
في كتابه: (مقالات الإسلاميين).

[3←]
في شرحه صحيح البخاري (كتاب القضاء).

[4←]
حتى ص12 بشرح النواوي.

[5←]
شرحه لكتاب (سيبويه) الطبعة المشرقية.

[6←]
(شمس الإسلام تسطع على العرب) لهونكة.

[7←]
(يسألونك) للكاتب (3/4-110).

[8←]
أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (13/349 رقم 10469)، وضعفه الحافظ ابن حجر كما في بلوغ المرام (حديث رقم 1405)، وابن الملقن في البدر المنير (9/617-618)، والعجلوني في كشف الخفاء (2/72)، والزيلعي في نصب الراية (4/82)، والألباني في إرواء الغليل (8/423).

[9←]
أخرجه أحمد (28410 رقم17174)، وأبو داود (4328 رقم4606)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم2643).

[10←]
أخرجه البخاري (5/9 رقم 3676)، ومسلم (4/1862 رقم2393).

[11←]
أخرجه البخاري (6/154 رقم4905)، ومسلم (4/1996 رقم2584).

[12←]
السيرة لابن هشام ج1، والسيرة لابن إسحاق ج1.

[13←]

أخرجه أحمد (13/291 رقم7912)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم3650).

[→14]
أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (11/382 رقم20803).

[→15]
أخرجه الحاكم (4/465-466 رقم8439)، وأحمد (2/125 رقم13299)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (1/405 رقم466)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[→16]
أخرجه البخاري (4/130 رقم3320).

[→17]
أخرج البخاري شطره الأول (7/122 رقم5678)، وأحمد بلفظه المذكور هنا (6/50 رقم 3578)، وصححه ابن حبان والحاكم كما قال ابن حجر في فتح الباري (10/135)، والألباني في الصحيحة (1/735 رقم451).

[→18]
أخرجه البخاري (4/37 رقم2898)، ومسلم (1/106 رقم112).

[→19]
أخرجه البخاري (1/16 رقم39).

[→20]
أخرجه أحمد (20/346 رقم13052)، والضياء المقدسي في المختارة (2/445 رقم2115)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (1/229): رواه أحمد ورجاله موثقون، إلا أن خلف بن مهران لم يدرك أنسًا. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم2246).

[→21]
أخرجه أحمد (11/310 رقم6707)، وأبو داود (2/251 رقم2278)، والحاكم (2/208 رقم2830)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه ابن الملقن في البدر المنير (8/317)، بينما حسنه الألباني في إرواء الغليل (7/244 رقم2187).

[→22]
أخرجه الدارقطني (3/196 رقم336)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم6153).

[→23]
أورده الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام (467)، وقال: رواه الدارقطني بإسناد ضعيف. وتعقبه محقق البلوغ بقوله في الحاشية: موضوع. ولعله مأخوذ من قول الصنعاني في سبل السلام (2/56): وذلك أنه من رواية عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وعبدالعزيز قال فيه أحمد: اضرب على أحاديثه، فإنها كذب أو موضوعة، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: منكر الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز أن يحتج به، وفي الباب أحاديث لا أصل لها.

[→24]
لم أجده عند البخاري، بينما رواه مسلم (2/589 رقم860).

[→25]

أخرجه أبو داود (1/23 رقم63)، والترمذي (1/97 رقم67)، وصححه ابن خزيمة (1/49 رقم92)، وقال النووي في خلاصة الأحكام (1/66): رواه الثلاثة، وهو صحيح، صححه الحفاظ. والألباني في إرواء الغليل (1/60).

[←26]
نقله الفقي في حاشية بلوغ المرام.

[←27]
أخرجه البخاري (2/27 رقم1010).

[←28]
أخرجه أحمد (33/417 رقم20301)، وأبو داود (3/160 رقم3123)، والنسائي في الكبرى (6/265 رقم10846)، قال ابن الملقن في البدر المنير (5/194): أعل هذا الحديث بالوقف وبالجهالة وبالاضطراب. وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (2/244-245): وأعله ابن القطان بالاضطراب وبالوقف وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه، ونقل أبو بكر بن العربي عن الدارقطني أنه قال: هذا حديث ضعيف الإسناد، مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث. وضعفه النووي في خلاصة الأحكام (2/925)، والألباني في إرواء الغليل (3/150رقم688).

[←29]
أخرجه أبو داود (2/3 رقم1564)، وذكره ابن حجر في بلوغ المرام (رقم623)، وقال: إسناده لين. وضعف إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (3/211 رقم4377)، وضعفه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (1/407 رقم1811).

[←30]
أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (5/179 رقم10134)، والطبراني في أوسط معاجمه (3/140 رقم2731)، قال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام (رقم717): ورجاله ثقات، إلا أنه اختلف في رفعه، والمحفوظ أنه موقوف. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم2729).

[←31]
أخرجه البخاري (5/177 رقم4408)، ومسلم (2/873 رقم1211).

[←32]
أخرجه البخاري (3/4 رقم1785)، ومسلم (2/879 رقم1211).

[←33]
أخرجه أحمد (39/192 رقم23775)، وأبو داود (2/148 رقم1977)، والترمذي (3/289 رقم955)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في إرواء الغليل (4/280 رقم1080).

[←34]
أخرجه أحمد (3/280 رقم1752) وأبو داود (1/397 رقم1035)، ضعفه النووي في خلاصة الأحكام (2/641 رقم2211)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم5647). وهو عند المؤلف صحيح لغيره، كما نص على ذلك.

[←35]
أخرجه أحمد (10/229 رقم6042)، وأبو داود (3/178 رقم3181)، والترمذي (3/329 رقم1007)، وابن ماجه (1/475 رقم1482)، وصححه ابن حبان (7/317 رقم3045)، وابن الملقن في البدر المنير (5/225)، والنووي في خلاصة الأحكام (2/999 رقم3571).

[←36]

أخرجه أحمد (38/486 رقم23499)، والترمذي (4/134 رقم1566)، وحسنه، والحاكم (2/55 رقم2334)، وصححه، وكذا صححه ابن الملقن في البدر المنير (6/519)، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (2/156 رقم1796).

[37←]
أصل الحديث عند البخاري (7/7 رقم5089)، ومسلم (2/867 رقم1207) بلفظ: **اللهم محلي حيث حبستني** .

[38←]
أخرجه البخاري (8/31 رقم6133)، ومسلم (4/2295 رقم2998).

[39←]
(جامع الأصول) لابن الأثير الجزري/ نشر مكتبة الحلواني لعام ١٣٨٩هـ /مكتبة دار البيان/ مطبعة الفلاح.

[40←]
أخرجه البخاري (7/46 رقم5273).

[41←]
أخرجه البخاري (3/177 رقم2663)، ومسلم (4/2297 رقم3001).

[42←]
أخرجه مسلم (4/2297 رقم3002).

[43←]
أخرجه البخاري (8/25 رقم6094)، ومسلم (4/2012 رقم2607).

[44←]
جزء من الحديث السابق.

[45←]
انظر: مجمع اللغة، بالقاهرة. ومؤسسة آل البيت، بالأردن. والمجمع الفقهي، بمكة. وجمعية التراث بالدوحة.

[46←]
وحي القلم، الرافعي (1/118-130).

[47←]
حال المتهم في مجلس القضاء، لابن لحيدان، ط2، (المقدمة) فقط.

[48←]
تذكرة الحفاظ للذهبي (4/218-219).

[49←]
أخرجه أبو داود (1/63 رقم162)، وحسنه الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام (رقم60)، وفي فتح الباري (13/289)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (1/140 رقم103).

[50←]
ذكره ابن كثير في البداية والنهاية من قول أمير المؤمنين عثمان بن عفان (2/12).

[51←]
سورة هود، بتأمل عميق، حتى آية (24).

[52←]
أدب الكاتب للإمام ابن قتيبة (115)، وفتح الباري للإمام ابن حجر (2/5-51، 213).

[53←]
الأحكام للإمام الآمدي (1/3-211)، (2/8-59-111).

[54←]
سورة القصص بتأمل عميق حتى آية (54).

[55←]
أخرجه الترمذي (4/668 رقم2517)، وضعفه الترمذي بينما حسنه الألباني. وهو عند المؤلف صحيح لغيره.

[56←]
سيبويه: رائحة التفاح.

[57←]
اسمه: عويمر بن مالك الخزرجي صحابي فذ جليل.

[58←]
هو من وضع (علم العروض) وهو ذو دين وورع.

[59←]
قال أبوبكر اليربوعي: حسده بعض العلماء، ووشوا به، فأصبح غير مرغوب فيه، فبادوا بأمراض مختلفة، وتخلد ذكره آمين.

[60←]
ويجوز: أجمات.

[61←]
وكانوا يجعلونها دليلاً على: مواطن كل قبيلة، وقد تكون من: مرتفعات للدلالة على: الموقع المعين.

[62←]
قتادة بن دعامة عالم مُحدّث لغوي مُفسّر روى له الجماعة.

[63←]
كالجدي.

[64←]
عد ولا بد إلى كتاب: (العلل) لابن أبي حاتم (1/5-9).

[65←]
عد إلى (نقد آراء ومرويات العلماء والمؤرّخين) (1-15) .